المختار من ريدرز دايجست

فى كل مقالة لذة دائمة

مايو ١٩٤٧



من آيات العرب - ١

كتم السر

قيل لأعرابيٍّ: «كيف كتمانك للسرّ؟» قال: «ما قلبي إلا قبر». وقيل لمزيد: «أي شيءٍ تحت حضنك؟» فقال: «يا أحمق لِمَ خبأته؟». وقال عمرو بن العاص «ما استودعت رجلاً سرًّا فأفشاه فلمته، لأني كنت أضيق صدراً حين استودعته». وكان يقال: «من ضاق صدرهُ اتسع لسانهُ».

AL-MUKHTAR min READER'S DIGEST — Vol. 8, No. 45, MAY 1947.

مصر والسودان : النسخة ٣ قروش. الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً — شرق الأردن وفلسطين ٣٥ ملا
العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً. الاشتراك السنوى فى سوريا وشرق الأردن
والعراق وفلسطين ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً،
وفى سائر أقطار العالم ما يعدل ٧٥ قرشاً أو ثلاثة دولارات أو ١٦ شلناً.
العنوان: ١٤ شارع القاصد، القاهرة — تليفون: ٤٢٢٦٤

مطبعة مصر ش. م. م

السنة الرابعة

المختار من ريدرز دايجست

المجلد ٨
العدد ٤٥

كتاب فيه لكل يوم مقالة من مقالات ذات قيمة باقية الأثر

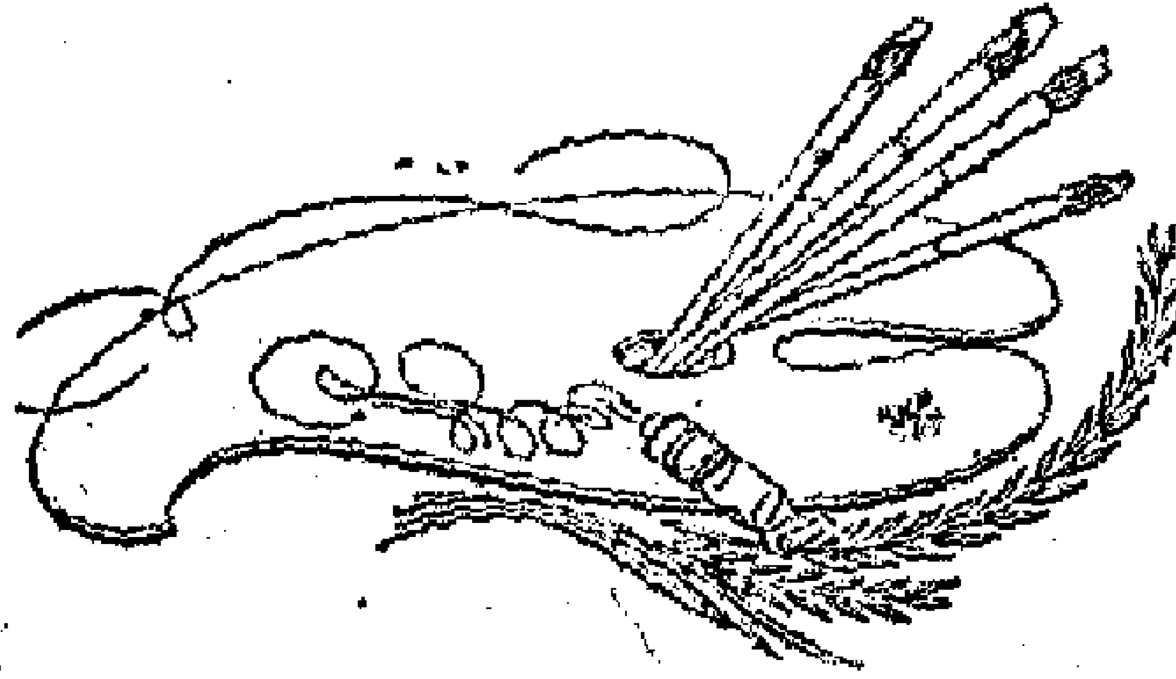
مايو ١٩٤٧

دعاية غريبة كشف أمرها مصادفة ، فإذا الناس يتساءلون ما قيمة المدخر من صور الأئمة فى المتاحف والمجموعات الخاصة ؟

أمصوِّر عبقرى ، أم مُزيِّف عبقرى ؟

إرفنج والاس

مختصرة من مجلة "ذى ستردای إیفننج بوست"



لم تكد تعرفُ مواقع السراديب التى خبأ فيها هرمان جورنج مانالت يده من التحف الفنية ، وهى مجموعة لاتقدر بمال ، حتى سارعت إليها فى أواخر شهر مايو سنة ١٩٤٥ لجنة من رجال الحلفاء المتخصصين فى الآثار والفنون الجميلة ، لتتولى فرز هذه الأسلاب . فانبهرت أعين هؤلاء الرجال حين رأوا تلك المجموعة التى تضم ١٢٠٠ لوحة منتزعة من كافة متاحف أوربة ، فلا عجب إذا لم يدهشوا كل الدهشة حين رأوا بينها لوحة زيتية تعدّ من روائع الآثار ، وتمثل «المسيح والخاطئة» وعليها توقيع جان فرمير المصور الهولندى الذائع الصيت والذى عاش فى القرن السابع عشر .

ولم يدر بخلد هؤلاء الباحثين أنهم بسبيل اكتشاف أعجب ما شهدته العصور الحديثة من الفضائح فى عالم الفن . وكانت هذه الفضيحة جريمة ، غير أنها كانت فى بادىء الأمر ضرباً من الدعابة ، ثم إذا بها تصبح تهديداً بضياع ثلاثة ملايين من الريالات ، وتلويث سمعة نفر من أكبر خبراء الفنون فى العالم .

ولم تثر الشبهة الأولى التى أدت إلى كشف النقاب عن تلك الفضيحة حين وجدت هذه

اللوحة الفريدة بين مجموعة جورنج ، بل حين ثبت أنها ليست بمسروقة . فقد هبّ خبيرهولندى غيور على نفائس بلاده يراجع أوراق جورنج الخاصة، فتبين له منها أن رجلا فى أمستردام باع هذه اللوحة فى سنة ١٩٤٣ بمبلغ ٦٠٠ ألف ريال إلى والتر هوفر الوسيط الذى يستخدمه جورنج فى شراء تحفه . وبيع لوحة من عمل فرمير إلى الألمان ، هو عند الهولنديين ضرب بغيض من معاونة أعدائهم الألمان . ذلك أن فرمير ، يعدّ كما يعد رمبرانت ، من أبطال هولندة ، وقد أطلق اسمه فى هولندة على شوارع لاحصر لها ، وترى نسخاً من لوحاته معلقة فى دور القوم كافة ، وإن كانوا فقراء . أما لوحاته الزيتية فمن الكنوز التى تعتز بها الدولة .

وثار حنق الخبير الهولندى ، فسارع إلى وطنه ومعه اللوحة ، فتبين أن بائعها إلى وسيط جورنج قد فرّ ، ولكن السلطات علمت أنه اشتراها من أحد تجار التحف الفنية ، وباعها هذا التاجر لحساب رجل يدعى راينسترا واستوفى أجره على البيع . ثم قرر راينسترا أنه حصل عليها من هانز فان ميجرين المصور المقيم فى أمستردام .

وهذا المصور من ذوى الثراء ، ويملك عدداً من الدور ، وقد جمع ثروته من بيعه ستّ لوحات كانت عنده من رسم فرمير ، خمسة منها باعها للهواة والمتاحف فى لاهاى ورتردام وأمستردام. أما السادسة فهى لوحة « المسيح والخاطئة » التى اقتناها جورنج . ولما سئل من أين له هذه اللوحة ؟ قال إنه اشتراها فى إيطاليا. فتمسكت السلطات بهذا القول الذى ينطوى على الاعتراف بأنه كان يشترى من الفاشيين ويبيع للنازيين ، وقبضت عليه فوراً .

ومكث الرجل فى السجن ثلاثة أسابيع ، وكانت الشرطة الهولندية تأمل أن تستخلص منه اعترافاً بأنه باع إلى الألمان لوحة تعدّ فى وطنه من الذخائر التى لايفرّط فيها. فلما أبى أن يدلى بهذا الاعتراف ، زادت الشرطة فى تضييق الخناق عليه، وأخيراً انهدّت عزائمه وصرخ قائلا : « يالكم من حمقى ! إنى لم أبع شيئاً من ذخائر الوطن إلى الألمان. لقد بعت لهم لوحة عليها توقيع فرمير ، ولكنها من صنع يدى أنا » .

وأملى اعترافه، فتبين منه أنه رسم مابين سنة ١٩٣٧ وسنة ١٩٤٣ ست لوحات نسبها إلى فرمير ، وأنه باع هذه اللوحات الكاذبة بمبلغ ثلاثة ملايين ريال، وأنه خدع فاحصيها من جهابذة العلماء ومؤرخى الفنون، كما خدع نفراً عديداً من نقاد الفن فى أوربة وأمريكا، حتى كالوا المديح لهذه اللوحات الكاذبة . وها هو يفخر بأنه لايقل براعة عن أساتذة

الفن القدماء، وأن النقاد الدائبين على انتقاص موهبته ليسوا إلا حميراً .

فإذا صح هذا لم يعد فان ميجرين متهما بمعاونة العدو ، بل بارتكاب غش امتدت آثاره إلى أكثر من دولة واحدة . ودعى كبار خبراء الفن فى هولندة ، فجاءوا وقد تملكهم القلق والغضب لكرامتهم، وأصروا جميعاً على أن هذه اللوحات من رسم فرمير حقاً وصدقا ، كما شهدوا بذلك عند فحصهم لها أول مرة . ولا عجب فى إصرارهم هذا ، فإن سمعتهم وأرزاقهم متوقفة على براءة هذه اللوحات من الغش .

وثار الجدل فى صحف هولندة ومقاهيها ودورها ، ثم امتد إلى لندن وباريس ورومة وإلى نيويورك وشيكاغو .

وأخذت السلطات الهولندية تتشاور فى الأمر، فإذا بأحد الموظفين يتقدم باقتراح: « لماذا لاندع فان ميجرين يرسم على أعين البوليس صورة جديدة يقلد فيها أسلوب فرمير ؟ » فهذه اللوحة السابعة هى التى ستثبت : أهو قادر على تقليد أساتذة الفن القدماء أم هو يحاول بهذا الادعاء أن يبرىء نفسه من تهمة معاونة الأعداء ؟

ومنذ سنة أو أقل ، أخذ فان ميجرين يعمل للدفاع عن نفسه بهذه الوسيلة العجيبة ، وأذنت له السلطات بكافة المواد التى يحتاج إليها، وحبسته فى معمل كبير لأحد المصورين.

وقد قال لصديق جاء يزوره : « إن مهمتى شاقة ، فإنهم لايحضرون لى زيتاً من النوع الذى أريده ، ولا يترك لى وقت للتفكير ، فهم يحثوننى على العمل حثاً ، وإذا جلست أرسم تجمعوا خلفى ومدّوا أبصارهم من ورائى. وبرغم هذا كله فأنا أعتقد أننى سأرسم لوحة جميلة » .

وبدت من أخلاط الألوان حين تمت اللوحة صورة تمثل المسيح وهو طفل فى المعبد ، وحواليه نفر من الناس . وتضمنت اللوحة كافة الخصائص التى يمتاز بها أسلوب فرمير — كجمال ألوانه الزرق والصفر ، ودقة الرسم والعناية بالتفاصيل . ولو فحصت مواد اللوحة كلها لما تطرق الشك فى صدقها، فالقماش متخذ من منسوجات القرن السابع عشر ، والألوان قد مزجت كما كان يمزجها فرمير ، والريشة المستعملة مماثلة لريشته .

وأخيراً تمت الصورة وعينت السلطات الهولندية محكمين من الخبراء العالميين لدراسة اللوحة ، واتخذ هؤلاء المحكمون مقرّهم فى متحف أعدّ لهم خاصة، وعلقت فيه اللوحات الست التى نسبها ميجرين إلى فرمير ، ومعها لوحته السابعة التى ارتبط بها مصيره . وأخذ المحكمون يدرسون اللوحات ويجادل بعضهم بعضاً ، ولم يصدر قرارهم إلى اليوم ، بل هم

يدعون إليهم من كافة أرجاء أوربة كثيراً من النقاد والخبراء فى كشف اللوحات الزائفة ليعرفوا آراءهم .

ويعتقد المراسلون فى أمستردام أن هذه قضية لن يتسنى إصدار حكم حاسم فيها . وقال أحد هؤلاء المراسلين : « ليس من المعقول أن يصدر مثل هذا الحكم ، لأن القضاة يعلمون الآن أن اللوحات منحولة لفرمير ، وأنهم خدعوا عشر سنين ، ولن تطيب أنفسهم بالاعتراف بأنهم كانوا مخدوعين » . وقد سألت ثمانية من كبار الخبراء الفنيين فى هولندة ، فقرروا أن ميجرين هو الذى رسم اللوحات المنسوبة إلى فرمير ، ويشاركهم هذا الرأى قلم المخابرات السرية التابع للحكومة .

ويقول الخبراء أيضاً إن هذه القضية ستثير الشك فى قيمة مجموعات فنية كثيرة . ويتندر أحد النقاد الهولنديين بفكاهة قديمة تقول : « رسم كورو فى حياته كلها ٢٥٠٠ لوحة ، منها ٧٨٠٠ لوحة هى اليوم موجودة فى أمريكا ! » ، ويستشهد نقاد آخرون بأمثلة فى تاريخ الفن على حدوث مثل هذا الغش ، إذ ظهرت مرة نسختان من لوحة « الصبى ذى الثوب الأزرق » لجانزبورو المصور الإنجليزى الذائع الصيت ، فأحدث ظهورها ضجة كبيرة . واكتشف أيضاً فى باريس أخيراً « مصنع » ينتج عشرات من الصور المنسوبة كذباً إلى بيكاسو وأتريللو ، وقد بلغ من إتقان غش هذه الصور أن أتريللو نفسه كان يحتاج إلى أن يدقق النظر فى الصورة التى تحمل توقيعه قبل أن يقرر أنها ليست من رسمه .

وقد قال الدكتور ماكسمليان توخ — الخبير فى متحف مانهتان والمتخصص فى كشف الصور الكاذبة : « إن عدد اللوحات التى تباع بين الحين والحين باسم رمبرانت يبلغ ستة أمثال كافة اللوحات التى كان فى مقدوره أن يرسمها أو عشرة أمثالها . أما اللوحات الزائفة المعزوّة إلى غيره من المصورين كفان دايك مثلا فهى أكثر من ذلك ، فإن اللوحات المنحولة له تبلغ ألفين ، مع أنه لم يرسم على الأرجح سوى سبعين لوحة » .

ويقول أنصار ميجرين إن لوحاته التى ينسبها إلى فرمير قد لقيت من الناس تصديقاً وإقبالا على اقتنائها ، وفى هذا دليل على أنه نابغة فى فنه . ويقولون إنه لم يعد يعمد قط إلى نسخ لوحات فرمير الخالدة ، بل ابتدع لوحات لاتقل عنها سموّا ، ورسمها بالأسلوب الذى انفرد به ذلك الأستاذ العظيم . ومثل هذا العمل يسمى فى هولندة « التزييف الأصيل » وهو لايعد من الجرائم ، بل يعد

من صميم الفن . ولهذا فإن فان ميجرين من أكبر من عرفه التاريخ فى العالم من المصورين المختصين فى هذا الضرب من الفنون .

وهانس فان ميجرين فى الثامنة والخمسين من عمره ، وقد بدأت موهبته فى التصوير تتجلى وهو فى المدرسة الابتدائية ، وما وافت سنة ١٩٢٠ حتى اكتسب شيئاً من الشهرة . فلما كانت سنة ١٩٣٠ ، إذا هم يطلبونه لتصوير النبلاء فى لندن ، وتصوير نفر من أصحاب الملايين الأمريكيين فى ساحل الريفييرا .

ومن يومئذ نشب الخصام بينه وبين النقاد والمصورين الهولنديين ، فقد أنكروا أسلوبه الذى انفرد به وكرهوا حدّة لسانه ، وحسدوه على إقبال الثراء عليه . وقصده بعض النقاد الذين لا ذمّة لهم يعدونه بامتداح معارضه إذا هو بذل لهم شيئاً من ماله ، فلما ازدراهم وصدّهم ، انقلبوا عليه وأخذوا يهاجمونه ، فصمم فى سنة ١٩٣٦ على أن ينتقم لنفسه منهم .

وأخذ يحكم وضع الأسس التى يقيم عليها خدعه ، واستعرض أساتذة الفن القدماء ممن رأى فى نفسه القدرة على تقليد لوحاتهم . وأخيراً وقع اختياره على فرمير ، ولكن لماذا اختار فرمير دون غيره ؟ اسمعه يجبك : « لأننى كنت أعجب به إعجاباً شديداً ، ثم لأننى وجدت تقليد أسلوبه أسهل علىّ ، ولأن حياته كانت محاطة بالغموض بحيث لا يثير ظهور لوحة جديدة له كبير دهشة أو ريبة » .

حرص هذا الرجل على أن تكون لوحاته محكمة لا يفضحها الاختبار ، فإن الخبراء يمتحنون الألوان بفحص تأثير الكحول عليها ، ويستعينون بإبرة الحقن الجلدية لاكتشاف العناصر الكيميائية التى تتركب منها مواد الألوان ، ويستخدمون أيضاً الأشعة السينية والأشعة فوق الحمراء لتصوير قماش اللوحة ، ويلجأون إلى مصابيح الكوارتز للنفوذ خلال طبقات الألوان طبقة بعد طبقة . وقد توقع ميجرين أن تستخدم هذه الوسائل كلها فى امتحان لوحاته .

وأخذ ينقب عن المخطوطات القديمة ليتعلم منها سر تركيب مواد الألوان التى استخدمها فرمير . فاللون الأصفر مستخرج من مادة صمغية ، والأزرق من مسحوق حجر اللازورد ، والأبيض من الزنك لا من الرصاص . ولم يحجم ميجرين عن دفع ألفى ريال ثمناً لأنبوبة واحدة من مسحوق اللازورد . وهو يقول : « أما العقبة الوحيدة التى صادفتنى فهى الزيت اللازم لمزج الألوان ، فالمصورون فى عصرنا هذا يستخدمون زيت بذرة الكتان ، وهو لا يصلح لما أريده ، لأنه يجعل اللوحة غير قابلة لأن يتماسك سطحها بحيث تبدو عليها دلائل العتق والقدم ، وقد عثرت لحسن حظى فى مخطوط قديم على وصف دقيق

اتركيب الزيت الذى كان يستخدمه فرمير ، فاستخدمته أنا أيضاً ،وبذلك احتملت لوحاتى امتحان ألوانها بالكحول » .

واختار ميجرين أول ما اختار فى تقليده أعمال فرمير ، موضوعا يمثل المسيح وهو يقتسم الخبز مع الحواريين . وعكف على إجادة رسم اللوحة بلا كلل ولا ملل يوما بعد يوم إلى أن مضت سبعة أشهر ، وتكتم عمله فلم يشعر به أحداً من الناس حتى ولا زوجته. فلما تمت اللوحة راجعها من جديد موضعاً موضعاً حتى اطمأن على أنها تحتوى كل الخصائص التى توحى بأنها من صنع فرمير ، حتى أنه لم يغفل عن أن يجعل فى سطح لوحته شقوقاً كأنها من آثار القدم. فهو يعلم أن اللوحات التى رسمت قبل عهد فرمير كانت تنشأ فى ألوانها شقوق واسعة ، أما ألوان لوحات فرمير فزيتها كان يحميها أن تصاب بهذه الشقوق الواسعة، بل تلحقها شقوق صغيرة تتصل على شكل سلسلة . وقد بذل فان ميجرين غاية جهده وحيلته لتصبح شقوق لوحته مضاهية لأمثالها فى لوحات فرمير .

وقد أعانته درايته بحياة فرمير على أن يختلق قصة مستساغة لاكتشاف تلك اللوحة. فهو يعلم أن فرمير كان يعمل ومعه طائفة من التلاميذ الإيطاليين ، وقد رسم هؤلاء التلاميذ موضوع اقتسام الخبز بين المسيح والحواريين، وأنهم حملوا معهم تلك اللوحة إلى بلادهم، فأغلب الاحتمال إذن أن أستاذهم فرمير كان قد رسم قبلهم الموضوع نفسه ، فعسى أن يكون سافر فى إحدى الفترات المجهولة من حياته إلى إيطاليا . وإذن فلتكن إيطاليا هى المكان التى تكتشف فيه لوحة فرمير الجديدة . ودبر ميجرين الأمر بحيث يصله من صديق له هناك خبر العثور على تلك اللوحة ، فيشتريها منه بثمن بخس،ثم يبيعها بعد ذلك .

وحمل لوحته إلى أمستردام ، وقبل أن يعرضها للبيع اتصل بأحد نقاد الفن فى هولندة يدعى أبراهام برديوس ، وهو رجل يبلغ من العمر ثمانين سنة فابتهجت نفسه حين رأى أنه لايزال مقصد الناس لطلب مشورته ونظر إلى اللوحة ببصره الكليل وفحصها متعجلا ، ثم سلمه شهادة بخطه تشهد بأنها لوحة صحيحة النسبة .

وفى سنة ١٩٣٧ تولى متحف بويمانز فى روتردام فحص هذه اللوحة بالمواد الكيميائية وبالأشعة واطمأن إلى أصالتها ، ودفع لفان ميجرين نصف مليون جيلدين ثمناً لها . ثم وضعت فى مكان الصدارة فى معرض ضم ٤٥٠ لوحة هولندية من عمل أساتذة الفن القدماء ، وكان المعرض قد أقيم احتفالا بعيد

الملكة ولهلمينا ، فتقاطر لمشاهدتها نقاد من لاهاى ولندن وباريس . وبلغ من إجلالهم لها أنهم طالبوا إدارة المتحف بأن تفرش الحجرة التى عرضت فيها بالأبسطة حتى لا يعكر عليهم وقع الأقدام صفاء استغراقهم فى تأملها، فلبت إدارة المعرض طلبهم . وكتب بعض النقاد يشيدون باللوحة ويصفونها بأنها تفوق كافة لوحات فرمير إبداعاً .

وابتهج ميجرين أيما ابتهاج ، فقد أثبت بلاهة خصومه وأنه حقيق بالثراء الذى وافاه . وأصبح الطريق أمامه مأموناً ، فاستمر فى عمله ، وظل يواليه إلى أن يبعث إحدى لوحاته إلى جورنج ، فكانت — كما يقول هو — بداية النهاية . وفان ميجرين اليوم رجل منهوك محطم ، وهو رهين المنزل ، ولا يؤذن له إلا بقسط ضئيل من الحرية ، ولا يشد من أزره سوى رغبته المتقدة فى أن يثبت بأدلة لا تدع مجالا لأقل الشكوك ، أنه قلد فرمير وخدع جهابذة الفن ولا ينفك يقدم أدلة جديدة على صدق هذه التهمة المنسوبة إليه.

فالكرسى الذى يجلس عليه المسيح فى اللوحة الأولى والسادسة ، شبيه بالكرسى الحديث الذى يستخدمه فى معمله ، وكذلك الحال فى طريقة رسم يدى المسيح ، فإنها تختلف عن أسلوب فرمير ، إذ هما صورة صادقة ليدى فان ميجرين نفسه . أما الألوان فإنه يقدم أدلة تثبت أنه كان يشتريها بثمن باهظ من لندن .

ولا يزال المحكمون فى جدل مستمر إلى اليوم . ويعتقد بعض الناس ، وهم أقلية ، أن القضية ستحفظ فى بحر سنة أو سنتين ، وأن ميجرين سيستعيد حريته . ولكن الأكثرية تظن أن المحكمين الدوليين سيضطرون إلى الاعتراف بأن هذه اللوحات مكذوبة ، فإذا صح هذا الظن فأغلب الرأى أن يحكم على فان ميجرين بالسجن لمدة تتراوح بين سنتين وست سنوات ، وبغرامة قدرها مليونا ريال . ويتمنى فان ميجرين أن يصدر عليه هذا الحكم ، إذ هو اعتراف بموهبته ، وقضاء على غطرسة النقاد وكبريائهم.



قيل إن رجلا من أصحاب مذهب « اللاأدرية » أنبأ الرئيس ودرو ولسن أن المتاعب التى تلازم الناس تثبت أن الأديان قد أخفقت فى رسالتها ، فقال ولسون : « تدبر هذا — إذا كان الناس أشراراً ومعهم الدين ، فكيف يكونون بغيره ؟ »

[وتر واشل]

الجناح الطائر

فرانك ج. تايلور
مختصرة من مجلة "حقائق الطيران"

قصة الرجل والطائرة الغريبة الخليقة بأن تحدث انقلاباً فى عالم الطيران

وقف جاك نورثروب ثائر الأعصاب أمام لوحة الرسم يتصنع الاهتمام بعمله ، ولكنه كان يصغى كالقلق إلى هدير المحركات الدائرة فى أرض المطار خارج مكتبه . وجاك نورثروب هو رئيس شركة نورثروب للطيران ، وهذا الهدير الذى يصغى إليه هو هدير طائرته المعروفة باسم « الجناح الطائر » ، فهى أول طائرة صنعت بغير جسم أو ذيل ، وهذه محركاتها تدور توطئة لتجربتها الأولى ، وهى تختلف فى تصميمها اختلافاً عظيما عن كل طائرة كبيرة سواها ، فكيف تركب متن الهواء ؟

وأرادت قيادة سلاح الطيران الأمريكى أن تهوّن الأمر على الطيارين وإدارة الشركة فأمرت بمنع المتفرجين من الوقوف على حواشى المطار . فالتزم نورثروب مكانه فى حجرة الرسم كما لزم كل عامل مكانه من المصنع . وكذلك حيل بين الرجل الذى ظل ٢٣ سنة يحلم ببناء طائرته هذه ، وبين رؤيتها ترتفع فى الهواء أول مرة .

وازداد هدير المحركات ، ثم خفت حين أبعدت الطائرة ، ولكن نورثروب لم يصب شيئاً من الراحة حتى حمل إليه التلفون صوتاً متهدجاً من فرط التأثر يعلن له أن الطائرة قد نزلت سالمة . فكان ذلك النبأ نهاية جهادٍ دام عشرين عاماً بين الأمل والخيبة ، حتى صنعت هذه الطائرة (XB-35) .

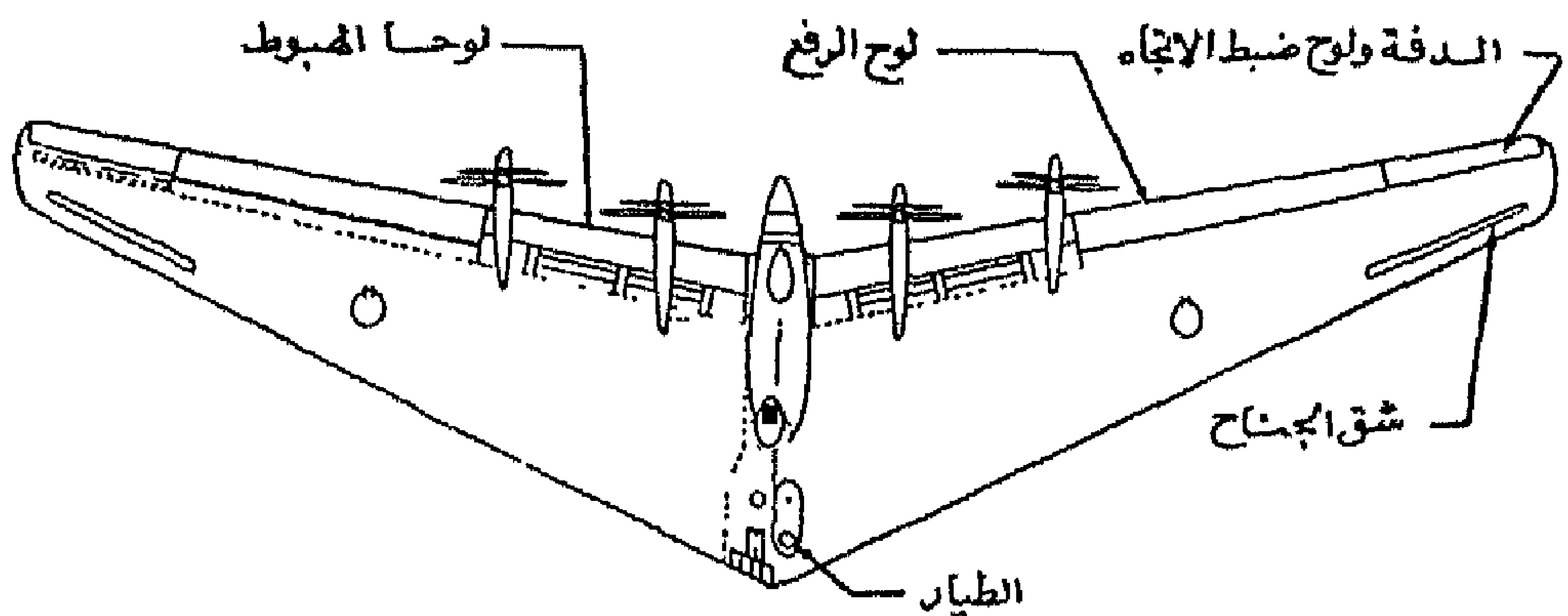
هذا الجناح الطائر الغريب الشكل ، يُعَدُّ مرحلة جديدة فى تاريخ الطيران . فإذا نشبت حرب أخرى ، فقد يكون لواء الظفر معقوداً بهذه الطائرات التى لا ذيول لها ، لأنها أقدر من جميع الطائرات المعهودة على الوصول إلى أية بقعة من بقاع الأرض ، بسرعة أعظم وبحمل من القنابل أكبر . وإذا ساد السلام فالأجنحة الطائرة خليقة أن تحدث انقلاباً فى ركوب متن الهواء للرحلة والنقل ، فإن فى وسعها أن تنقل المسافرين مسافة ألفى ميل فى خمس ساعات ، فلا يكلف نقل المسافر الواحد سوى عشرة ريالات أو أقل . ومهندسو نورثروب يعتقدون أن الجناح الطائر سيكون قطار الشحن الطائر وسفينة الجو فى المستقبل .

والأرقام تؤيد ما يرون ، فالمسافة بين

طرفى الجناحين ١٧٢ قدماً ، والطائرة تندفع فى الجو بقوة أربعة محركات مركبة فى مؤخرة الجناحين ، وتولد قوة ١٢ ألف حصان، ويبلغ وزن الطائرة ٩٠ ألف رطل، وتستطيع أن ترتفع فى الجو بحمل يبلغ ١١٦٠٠٠ رطل . ولو كانت طائرة الجناح الطائر متاحة يوم كانت حرب اليابان دائرة الرحى ، لكان فى وسعها أن تحمل من جزائر ماريانا إلى اليابان ما وزنه ٥٠ ألف رطل من القنابل ، بدلا من ١٠ آلاف رطل كانت تحملها الطائرة من طراز القلاع الطائرة الضخمة . وقد صمم مهندسو الشركة طائرة أخرى من طراز الجناح الطائر أكبر مرتين من الطائرة الأولى (XB-35).

صنعت هذه الطائرة الجديدة حتى تستطيع أن تطير على ارتفاع ٣٠٫٠٠٠ قدم، وأن تمضى بسرعة معدلها ٤٠٠ ميل فى الساعة . وأما شقيقاتها التى صممت ، فسوف تزوّد بأجهزة خاصة تتيح لها أن تكون أعظم سرعة وأعلى تحليقاً . وطائرة الجناح الطائر تستطيع أن تقطع عشرة آلاف ميل دون أن تهبط لتتزود بالوقود ، ولكن نورثروب ينوى أن يجعل مراحلها أقصر من ذلك حين تُقلُّ الناس أو تنقل البضائع . وتدلُّ دراسة الأرقام التى توازن بين النفقة والدخل ، أن أجدى المراحل على الشركة ، مرحلة طولها ٢٫٤٠٠ ميل ، وهذا يكفى للانتفاع بالطائرة أحسن انتفاع فى أطول الرحلات الحربية والتجارية المعهودة الآن . أما الركاب فيجلسون على مقاعد وراء نوافذ فى مقدمة الجناحين ، فيستمتعون بمشاهد كانت حتى اليوم وقفاً على الطيار وحده ، وجوف الطائرة رحب يتسع لخمسين راكباً ، وفى وسعهم أن ينهضوا من مقاعدهم وأن يتمشوا دون أن تصطدم رؤوسهم بالسقف.

وقد وصف نورثروب بأنه أحد كبار المهندسين المبدعين فى عصرنا هذا . ولعلّ نورثروب وجلين مارتن يستطيعان دون غيرهما



من رجال صناعة الطائرات ، أن يضعا تصميم طائرة، ثم أن يركبا بأيديهما أجزاءها المعقدة ، ثم يتوليا قيادتها بأنفسهما . وقد علم نورثروب نفسه بنفسه ، فقد تخرج من مدرسة ثانوية فى كاليفورنيا ، ثم اشتغل فى مصانع شتى للطائرات. وكان يضايق رؤساءه بشدة إلحاحه عليهم أن ينفقوا مالا كثيراً فى صناعة الجناح الطائر . بيد أنه ليس رجلا تستهويه فكرة واحدة فيجن بها ويهمل كل ما سواها ، فقد أسدى أيادى كثيرة إلى صناعة الطائرات ، فصمم طائرة « ڤيجا » المشيقة التى جعلت طائرات لوكهيد فى الطليعة بين الطائرات السريعة ، واستنبط لشركة « دوجلاس » ضرباً جديداً من الأجنحة ، فإذا طائراتهم تقل معظم ما ينقل فى الهواء ، وقد صمم أيضاً مطاردات قاذفة للجيش والأسطول ، ولكنه ظل خلال ذلك كله برماً ساخطاً لأنه لم يلق من يعنى بما يقوله ويدعو إليه فى شأن الجناح الطائر .

غير أنه انتفع بساعات فراغه فصنع بيديه فى حظيرة سيارته جناحاً طائراً صغيراً ذا ذيل قصير ، فكانت تلك الطائرة وسطاً بين الطائرة المعهودة والجناح الطائر الخالص .

وقد طار بها هو وغيره من الطيارين سبعين مرة فى سنتى ١٩٢٩ و ١٩٣٠ فجمعوا حقائق لا تقوّم بمال ، فانتفع بها نورثروب فى طائفة من النماذج تلت نموذجه الأول .

وما فتىء مهندسو الطيران فى أرجاء الأرض يتطلعون منذ سنين إلى الطائرة المثلى — طائرة ليس فى سطح بنيانها كله رقعة لا تعين على رفعها فى الهواء ، ولا أجزاء بارزة تحدث حولها تيارات من الهواء تعوقها أو تقلل سرعتها . وقد عمد بعض مهندسى الطائرات إلى الاحتفاظ بذيل الطائرة ، ولكنهم وصلوا بين الجناحين والذيل برقعة من القماش كالجلد بين الأصابع فى أرجل البط . وقد صنع نورثروب النموذج الذى صنعه سنة ١٩٢٩ على هذه القاعدة . وعمد مهندسون آخرون مثل « بلانكا » و « برنلى » إلى الاحتفاظ بالهيكل والذيل ، ولكنهم جعلوا شكل الهيكل كشكل الجناح حتى يكون أكثر عوناً على رفع الطائرة . وكان فى ألمانيا مهندسان شقيقان من آل هورتن صمما طائرة أدنى ما تكون إلى الجناح الطائر الخالص . أما مهندسو الطيران فى بريطانيا فقد بحثوا بحوثاً وجربوا تجارب نافعة ، ولكنّ أحداً من هؤلاء لم يوفق فى تصميم طائرة خلو من الهيكل والذيل كليهما ، إلى أن صنع نورثروب طائرته هذه .

وقد حاول بعض أعوان نورثروب أن يجمعوا له فى سنة ١٩٣٩ مالاً يمكنه من أن يستقلّ بعمله . واهتمّ بذلك رجل يدعى

لاموت كوهو كان قد اشتهر بتنظيم كثير من شركات الطيران الناشئة وتدبير المال لها، فجمع مليون ريال لنورثروب ونظمت الشركة، فعين نورثروب رئيساً وكوهو رئيس مجلس الإدارة ، وشيدوا مصنعاً يُعَدُّ من أحسن مصانع الطيران وأعظمها كفاية.

وقد كان الغرض الأول من الشركة الجديدة أن تتولى البحث العلمي والتجربة ، ولكن ما من أحد من الناس يستطيع أن يكسب رزقه من البحث — على ما يقول كوهو . فلما نشبت الحرب كان كوهو في أوربة وتعذّرت عليه العودة فوراً ، فعزم على أن يزور النرويج موطن زوجته، فوجد هناك بعثة عسكرية تهمُّ بالسفر إلى أمريكا لتشترى قاذفات مائية تتولى عمل الدوريات على السواحل . فأقنعها بأن تعرّج على مصنع نورثروب، ثم عجل في عودته ليستقبلها حين تصل إلى المصنع . وقد وصلت قبل أن يتمّ بناء المصنع ، فسار بها إلى بيته ، وباعها ٢٤ طائرة مائية دون أن يروها . وإذا نورثروب يلفى نفسه منصرفاً عن جناحه الطائر إلى صنع الطائرات التي باعها زميله ، وقد كانت يوم صنعها أسرع الطائرات المائية، ولم تزل كذلك .

وجاء النداء من الجنرال أرنولد ، قائد سلاح الطيران الأمريكي ، يطلب مطاردةً ليلية تستطيع أن تحارب القاذفات الليلية النازية . فظفر نورثروب في المباراة، وكانت طائرته رشيقة سريعة أطلق عليها اسم « الأرملة السوداء » ، كان في وسعها أن ترى وتبصر في ظلام الليل البهيم بجهاز من أجهزة رادار ركب في رأسها . فلما أمر سلاح الطيران الأمريكي مصنع نورثروب أن يقف وقته وقدرته على صنع « الأرامل السود » ، بدا لنورثروب أن الجناح الطائر عاد ثانية حلماً من الأحلام .

ومن محاسن الحظ أن نورثروب كان قد صنع أربعة من الأجنحة الطائرة طراز (N9M) تتسع كلٌّ منها لرجل واحد . فلما اطلع سلاح الطيران الأمريكي على نتائج تجربتها طلب أن تصنع خمس عشرة طائرة مثلها . وقد أنشأوا مخيّماً كبيراً أحاطوه بأشد الكتمان ، ومن هذا المخيّم أخرج نورثروب أول طائرة تامة من طراز الجناح الطائر في أول مايو سنة ١٩٤٦ ، فكانت تزكية قوية لرأى ظل يكافح في سبيله عشرين سنة .

واهتمام نورثروب لا ينحصر في الطائرات فإنه لما عجز أطباء الجيش عن أن يحركوا اهتمام الجرحى من الجنود أو الذين أصيبوا بمرض نفسي، حتى يحفروا الخشب أو يعملوا بعض الأعمال التي يراد بها علاجهم ، عنى نورثروب بالموضوع، فجزأ بعض الأعمال

الصناعية اللازمة لإنتاج «الأرامل السود» حتى يستطيع من كان طريح الفراش من الجنود أن يتمها على طبق يوضع أمامه، أو فى ورشــة تبنى فى أرض المستشفى . وكان الجنود الناقهون ينالون أجراً كأجر العمال فى المصنع، فقويت نفوس الجرحى والمرضى، فلما شفى بعضهم كانوا قد تدربوا تدريبــاً يؤهلهم للعمل فى المصنع ، فعينوا فيه . وكان نورثروب يراهم ذوى أرجــل أو أذرع صناعية ، فلم يرضه ما رأى من قلة الإتقان فى صنعها ، فقال : « لايزالون يصنعون الأرجل والأيدى فى دكاكين الحدّادين، فلِمَ لاندخل فى صنعها ذلك الإحكام الدقيق الذى نعتمد عليــه فى صناعة أجهزة الطائرات ؟ »

وكذلك عمد مصنع نورثروب إلى صنع الأعضاء الصــناعية ، وعين له نورثروب طائفة من أبرع المهندسين ، وإذا به يظفر بمجموعة من الأعضاء الصناعية خفيفة الوزن مصــنوعة من اللدائن ، وأخرى من الصلب الذى لا يصدأ ، وقد زودت جميعاً بما يمكن مَن يستعملها من السيطرة على الرجل أو اليد أو الركبــة أو المعصم سيطرة دقيقة . فيستطيع من بترت ساقه أو ذراعه أن يمسك قلماً باليد الصناعية فيكتب به ، أو يعتمد على الساق الصناعية فى التصعيد إلى أكمة أو الانحدار منها فى يُسْر وراحة — بل هو يستطيع أن يرقص .

ومع أن نورثروب وكوهو أسَّسا شركة غرضها الأول أن ترود الآفاق الجديدة فى عالم الطيران ، تراهما قد استحدثا أيضاً شيئاً كثيراً فى علاقات العمال بأصحاب العمل ، فترى همهما منصرفاً إلى جعل أجور عمالها فى الطليعة بين أجور عمال الطيران. وتهيء الشركة لعمالها أسباب التأمين على الصحة والحياة والإصابة بالحوادث العارضة، وتسيِّر سيَّارات نقل خاصة تنقلهم من بيوتهم إلى المصنع ، ثم تعيدهم إلى بيوتهم ، وتعينهم على حل ما يعترض كلا منهم من مشكلات خاصة به. ومديرو المصنع لايكتمون الأخبار عن العمال، فكل خبر من أخبار المصنع ، ساء أو سرّ، يطلع العمال عليه فى صحيفة خاصة بالمصنع .

وللشركة ملاعب كثيرة للرياضــة ، وضروب شتى من اللهو والتسلية تبلغ تسعين ضرباً ، منها فرقة الموسيقى وجماعة التصوير الشمسى وغيرها .

يقول جاك نورثروب : « بدأت حياتى مســاعداً لميكانيكىّ فعرفت رأى العامل ، ولعل هــذا هو ما حملنا على أن نتخذ : «أحبّ لأخيك ما تحب لنفسك» دستوراً لنا ، حتى يصير المصنع مكاناً يطيب العمل فيه » .

فهذا هو الرجل الذى حلم بالجناح الطائر ، فرأى حلمه قد صار حقيقة واقعة .



جيش من حشرات فتاكة لا ترحم يزحف فيلقي الرعب في قلوب البشر والحيوان جميعاً .

خرجت ذات يوم أنا وزوجي ، حتى إذا أوغلنا في غابة بجمهورية كولمبيا ، بزغ الفجر فإذا بنا نرى فجأة مئات من الطيور آكلة النمل وهي ترفرف مهتاجة في أرجاء الغابة ، ثم تنقضُّ إلى الأرض ، ثم ترتدُّ صاعدة إلى أغصانها . وكنا نعلم معنى هذا ، وكذلك كل سكان الغابة ، فإذا الحشرات والحيات وسائر الحيوان قد لاذت بالفرار ، فتسلق بعضها رؤوس الأشجار ، وأوغل بعضها ذاهباً في جوف الأرض .

لقد بدأت جيوش النمل زحفها ! ففي فصلي الأمطار من كل سنة تزحف آلاف مؤلفة من هذه اللاعنة المصبوبة على الغابات ، ميممة شطر القرية التي فيها مساكننا .

فترجلنا عن ظهور بغالنا وأخذنا نجوس خلال الغابة بحثاً عنها ، فوجدنا فرقة من هذا الجيش لابدة تحت جذع شجرة ، ولم تتهيأ بعد للمسير . وإذا أرجلها قد تشابكت حتى صارت على هيئة كرة يبلغ قطرها نحو ياردة . وكان طول النملة من هذه النمل البراقة الظهور نحو بوصة ، ولها فكّان كالكلابتين تستطيع أن تمزق بها فريستها إرباً إرباً .

فلما أسفر النهار بدأت الكرة تتنمّش وتضطرب ، وما هو إلا أن ذابت ، وإذا الجيش الزاحف قد غطى أديم الأرض . وأخذ ضباط هذه النمل يصدرون الأوامر بتحريك القرون ، فإذا الجيش يتحرك قدماً في صف عريض منظم يبلغ طوله مئة قدم . وإذا طائفة من الحراس تذهب وتجيء على الجناحين ، وكل منها قد أشرع فكيه محركا قرنيه .

أما الطيور آكلة النمل التي كانت تتبعها ، فهي على الأشجار تتحين الفرصة حتى تنقض على كل من يتخلف أو يعييه المسير .

فلما جاء موعد إفطار النمل ، تفرقت آلاف من الرواد في كل وجه باحثة عن الطعام ، وإذا الطيور آكلة النمل تنقضُّ فتختفي في مناقيرها مئات من هؤلاء الرواد ، بيد أن الباقين ظلوا في سعيهم باحثين عن الفرائس . وكان أول من عاد من الرواد قد حمل

إليهن نبأ شجرة تموج بالدود والأساريع ، فانبرت إليها كتيبة من النمل ، وصعّدت فى الشجرة وانتشرت على أغصانها ، وأخذت تمزق أوصال الأساريع وتلتهمها التهاماً .

وعاد رائد من النمل وهو يترنح ، فقدْ فقدَ ثلاث قوائم من قوائمه الست ، ولم يبق من قرنيه سوى نصف قرن . ولقـد شق عليه أن يهتدى إلى سواء سبيله ، فإن قرونه الدقيقة الحس بما تلمسه وما تشمه ، كانت له بمنزلة العينين والأنف . فلقيته على الطريق جماعة الإسعاف من النمل ، فمـد كل منها فكيه حتى تشابكت وصارت كالمحفـة ، وحملوه وعادوا به أدراجهم ليبلغ النبأ الذى وقف عليه : لقد عثر على عش للزنابير يتدلى من أغصان إحدى الشجيرات .

وساروا به وهو على المحفة فقاد الجيش إلى مكان تلك الوليمة ، وضرب الجيش نطاقاً على ذلك العش ثم انقض عليه انقضاض الوحش فمزقه تمزيقاً . وجنّ جنون الزنابير فطفقت تدافع مستميتة عن بيتها وأطفالها ، ولـكن على غير جدوى . فلما فرغت النمل من طعامها مضت فى سبيلها .

وجيش النمل يقطع فى مسيره نحو ميل فى ثلاث ساعات ونصف ساعة ، إذا لم يعقه عائق . فلما أرخى الليل سدوله ، كفّت النمل عن المسير كعادتها إذا أظلمت الدنيا ، وتشابكت قوائمها حتى صارت على هيئة الكرة ثم نامت ملء جفونها . فلما أسفر الصبح اصطفت صفوفها مرة أخرى ، وكان قد لحقت بها طوائف أخرى من النمل .

وكان على قريب من مدبّ هذه النمل أصَلة عاصرة (نوع من الحيات) قد تحوّت على خـنزير برّى فهشمت عظامه ثم ابتلعته جملة واحدة ، ثم التفّت على جذع شجرة ونامت حتى تهضم ما التهمته .

فتشممت النمل رائحة الطريق الذى سلكته الأصلة حتى بلغت الشجرة فانتشرت صاعدة إليها . وكأن التخمة قد خدّرت أوصال الحية فلم تشعر بزحوف النمل التى تسيل على بدنها كأنها زفت مُذاب . وكان أول ما فعلته النمل أنها سملت عيون الأصلة حتى أعمتها ، وظلت سائر اليوم تلتهم لحمها التهاما وتنهشها نهشاً حتى تركتها عظاما عارية ، ثم تجمعت النمل مرة أخرى على هيئة الكرة حتى تنام الليل إلى أن يصبح الصبح .

فلما كشف الصبح لثامه ، يمّم جيش النمل شطر قريتنا وهو يسوق أمامه كل ما لاقى فى طريقه ، وكان حسّ هذه الآلاف المؤلفة من النمل وهى تدبّ فى الغابة الساكنة ، كحس رذاذ المطر وهو يتساقطُ على الأرض .

وجاءهم فجأة ماراع قلوبهم وملأها رعباً ، فقد حمل حراس الجناحين نبأ مفزعاً إلى

قائد الجيش. وذلك أن آكل النمل الأرقط، وهو عدوهم الفتاك، قد هجم عليهن وهو الساعة يلتهم الكتيبة إثر الكتيبة، ومايكاد يخرج لسانه اللازج حتى يغيب فى ظلام جوفه عشرات بعد عشرات من النمل.

وكان أمامهم نهر، فاندفع الجيش كله قاصداً نحوه. فلما بلغ الشاطىء رأى صخوره العالية، فاجتمعت طليعة الجيش وتشابكت بأبدانها حتى صارت كالسلم، فأخذ من وراءهم يرتقى هذا السلم وينشىء بأبدانه جسراً بعد جسر من صخرة إلى صخرة. وأخذ الجيش يزحف على هذه الجسور بسرعة مدهشة حتى بلغت الماء وأصابها رشاش تياره، ثم بدأت الطلائع تجتمع وتكون كتلة على هيئة الكرة، فيأتى الجندىّ بعد الجندىّ ويأخذ مكانه منها، وتركوا نفقاً ينفذ إلى جوف الكرة. ثم جاءت النمل العاملة تحمل الصغار والطعام، واندفعت داخلة فى النفق إلى جوف الكرة، وجاءت مؤخرة الجيش فسدّت مدخل النفق بأبدانها سدًّا محكما، ثم هوَت الكرة كلها إلى عُباب الماء.

وظل تيارُ الماء يتقاذف الكرة حتى ارتطمت بمنحنى شديد الانحناء من اليابسة، وفكت النمل قوائمها المتشابكة وانطلقت ساعية على الشاطىء. وعندئذ ظلت تجوس فى أرجاء المكان باحثة عن مدبّها المعهود، وأخيراً اصطفت ومضت قدما، لقد انصرمت ستة أشهر منذ دبّتْ على هذا الطريق نفسه، ولكنها اهتدت إليه، وظلت تسير فيه نهارَها كله وزُلَفاً من الليل.

وبلغنا القرية وقد أطبق الليل، وشغلتنا مراقبة النمل عن أن نرسل إلى أهل القرية من يبلغهم نبأ مقدمه، فانطلق دليلنا فردريك يعدو فى أرجاء القرية وهو ينادى: «جاءت جيوش النمل».

فأضاءت الشموع فى كل كوخ، وخرج الأطفال عراة أو كالعراة، وتبادروا إلى الفراخ يحملونها فى أيديهم، ثم انطلقوا يعدون إلى سفح التل. واندفعت الأمهات خارجات من أكواخهن يحملن صغارهن وهم عراة، وأسرع الرجال إلى أبقارهم جرّوها إلى ملاذ أمين. لقد ألف القوم منذ سنين طوال أن ينفروا هكذا من بيوتهم فى السنة مرتين.

ولم تلبث الجيوش المغيرة أن غزت الأكواخ من كل ناحية، وكانت دارنا على تل فى طرف القرية، فجاء زوجى معه بمئتى رجل من أهل القرية.

فلما كان الفجر عقدنا العزم على الفتك بهذا الجيش كله، فأمر زوجى الرجال بحفر خندق عميق يحدق بالبيت، على أن يتركوا ممرًّا بين البيت والقرية. وأخذ نساء القرية

يغلينَ الماء فى المراجل ، وجعل الأطفال يحملون سَعَف النخل ويلقونه فى الخندق ، ولبس بعض الجماعة أحذية طويلة من المطاط ولف بعضهم سيقانه بالخرق القديمة . وظللنا ننتظر الجيش الغازى متلهفين مترقبين .

وعـدا فردريك شطر القرية ليعرف أخبارها ، ثم إذا به ينادى : « إنها زاحفة عليكم ! استعدوا » .

وصعّـد الجيش الزاحف فى التل ، ثم اجتاز الممر إلى البيت ، ثم تفرقت جماعة الجيش إلى كتائب ، وأخذ الغزاة يتسلقون الجدران إلى روافد السقف ، فيفتكون بكل ما يجدون من الحشرات ويلقون بها إلى الأرض . وانقضوا فجأة على الوطاويط النائمة المتعلقة بالسقف فقتلوها ، وألقوها إلى أعوانهم فجروها إلى الفناء حيث تلتهمها الجماعة وخرجت فرق من النمل تجوب مخزن البيت بحثاً عن الفئران ، وتنقب فى خزانات الكتب بحثاً عن الخنافس والصراصير ، وتندسّ فى شقوق الأرض طلباً للجرذان .

فلمـا عبرت آخر نملة الممر المفضى إلى البيت ، بادر الرجال فأتموا حفر الخندق ، وبذلك قطعوا سبيل الرجعة على هذا الجيش النمازى . وظللنا ست ساعات ننتظر عودة الجيش الغازى المحاصر ، وأخيرا خرجوا من البيت عائدين .

فأسرعنا وصببنا البترول على سعف النخل الذى فى الخندق ، وأذبنا شمعاً فى الماء المغلى . وأشعل فردريك النار فى الخندق ، وأخذ جماعة من رجالنا مجارفهم بأيديهم وظلوا يجرفون بها النمل الخارج من البيت ويغطسونه فى الماء المغلى الذى يطفو على وجهه الشمع الذائب . وبذلك أفنينا بعض الجيش فرقة بعـد فرقة . وأطار الذعر ألباب النمل ، فهامت على وجوهها إلى كل ناحية ، وكان مصير الآلاف التى بلغت حافة الخندق أن ألقى بها فى النار .

فلم تمض عشرون دقيقة حتى كان كل ما وقعت عليه العين من جيش النمل قد أفنى وأبيد ، إلا أن مئات من الفُرّار قد لاذوا بالبيت يطلبون النجاة ، ولكنا ظللنا ننتظر ، لعلمنا أن شهوة الطعام سـوف تدفعهم إلى الخروج من مكامنهم .

وما لبثنا حتى رأينا الطيور آكلة النمل قد أقبلت تحـوم حول مكاننا ، وظلت هى الأخرى تترقب .

ظللنا على ذلك حتى كان وقت الأصيل ، فإذا النمل تخرج من مخابئها واحدة فى إثر واحدة ، فجعلنا نرقب الطيور وهى تنقضّ عليها فتمّ العمل الذى تولينا نحن أوائله .

لقد انكشفت الغمة ، وعاد السلام إلى القرية فأظلها مرّة أخرى بظله الوارف .

كيف اتخذنا قرار إلقاء القنبلة الذرية



هنرى ل. ستمسون
مختصرة من مجلة "هاربرز"

> كان هنرى ل. ستمسون وزير الحربية الأمريكية بين ١٩١١ـ١٩١٣، فوزيرالخارجية بين ١٩٢٩ـ١٩٣٢، فوزير الحربية بين ١٩٤٠ ـ ١٩٤٥ ، فوقع على عاتقه فى منصبه الأخير أن يشير على رئيس الولايات المتحدة بما ينبغى فى أمر القنبلة الذرية .

كان القرار القاضى بإلقاء القنابل الذرية على اليابان ، من أخطر القرارات التى اتخذتها الحكومة الأمريكية ، فلذلك عزمت أن أدوّن رأيى فى الحوادث التى أفضت إلى هذا القرار .

فى خريف ١٩٤١ أطلعنى الرئيس روزفلت على خبر الطاقة الذرية ، فكان ذلك أول ما عرفتهُ عنها . ثم كرّت أربع سنوات كنت فى بحرها ذا يدٍ فى جميع القرارات الكبيرة الخاصة بخطة تحسينها واستعمالها . فمنذ اليوم الأول فى مايو ١٩٤١ إلى يوم استقلت من وزارة الحربية فى ٢١ سبتمبر ١٩٤٥ ، كان إلىّ مرجع الأمر فى إدارة المشروع كلهِ ، وكان مرجعى أنا إلى الرئيس وحده .

ولم يضنّ الرئيس روزفلت بمجهود ما فى سبيل الوصول إلى سلاح ذرىٍّ فى أول فرصة مستطاعة . وكان البحث العلمىُّ الأول فى الانشطار الذرّى قد تمّ فى ألمانيا سنة ١٩٣٨ ، وكان من المعروف أن الألمان قد واصلوا تجاربهم ، وكان الرأى أنهم أسبق الأمم فى مضمارها ، فكان مما لا غنى لنا عنه أن نسبقهم إلى الانتفاع بأسلحة ذرّية فى ميدان القتال .

ولم أسمع الرئيس روزفلت يشير مرة واحدة إلى أن الطاقة الذرّية ينبغى أن لا تستعمل فى الحرب . وقد حدثنى مراراً عن إدراكه لما ينطوى عليه عملنا من قدرة التدمير ، ولكننا كنا نخوض غمار حرب ، فكان هذا العمل أمراً لا بدّ منه .

وقد روى غيرى قصة القنبلة الذرّية وما فيها من عجب أحسن رواية ، فحسبى أن أقول هنا إنه يوم وافى ربيع سنة ١٩٤٥

كان مجهودنا المرهق المديد قد أوفى على غايته .

وفى يوم ١٥ مارس ١٩٤٥ دار بينى وبين الرئيس روزفلت آخر حديث دار بيننا ، وما دوّنته في مذكراتي اليومية يرسم صورة واضحة لما كنا نفكر فيه في تلك الأيام . وقد حذفت من نصّ مذكراتي اسم الموظف الكبير الذى كان يخشى أن ينتهى مشروع منهتان (وهو الرمز الذى كنا نطلقه على مشروع صنع القنبلة الذرية) إلى الإخفاق ، وقد كان رأيه هـذا رأياً يشاركه فيه الذين لم يطلعوا أوفى اطلاع على الحقائق :

« بحثت أولا مع الرئيس مذكرة أرسلها إلى ... فقد أقلقه ما انتهى إليه من الإسراف فى بذل المال لمشروع منهتان ، وقد بين ... أن المشروع قد يكون مآله إلى أن يصير كارثة ، واقترح أن نجمع طائفة من العلماء من غير المشتغلين بالمشروع ليصدروا رأيهم فيه ، لأن الشائع أن الرئيس قد أقنع بالإقدام على عمل مقضى عليه بالخيبة ، فينبغى أن يفحص الأمر فحصاً دقيقاً . وقد عرضت على الرئيس كشفاً بأسماء العلماء العاكفين على المشروع ، وكان بينهم أربعة من حائزى جائزة نوبل ، وكل عالم طبيعى نابه الذكر تقريباً . وراجعت معه الرأيين فى مستقبل الهيمنة على الطاقة الذرية بعد الحرب ، وكان أحدهما الرأى القائل بوجوب الكتمان وحفظ مقاليـد الهيمنة على المشروع فى أيدى الذين يهيمنون عليه اليوم . وأما الرأى الآخر فأن تكون الهيمنة دولية ، وأن تقوم على حرية العلم ونشر المعرفة . وقلت له إن هـذه الأمور ينبغى أن يفصل فيها قبل أن تلقى القنبلة الأولى ، وأنه ينبغى له أن يعد بياناً فى هـذا الموضوع يذيعه عقب إلقاء القنبلة ، فوافق على ذلك ... »

ولم أرَ روزفلت بعد ذلك . فلما ذهبت إلى البيت الأبيض ثانية لبحث الطاقة الذرية فى يوم ٢٥ إبريل ١٩٤٥ ، كان همى أن أشرح الموضوع لرجل (ترومان) لم يكن يعرف عن الموضوع شيئاً سوى ما سلم به يوم كان عضواً فى مجلس الشيوخ ، كما سلم سائر الأعضاء ، وهو إصرارنا على أن هذا الأمر ينبغى أن يظلّ سرًّا مكتما عنه هو نفسه . وها هو ذا اليوم رئيس الولايات المتحدة وقائدها الأعلى ، والتبعة العليا ملقاة كلها على كاهله .

والمذكرة التى اعتمدتها فى هذا البحث ، هى أيضاً دليل حسن لما كان يجول فى فكرنا يومئذ :

١ — أغلب الرأى أن ننجز فى بحر أربعة أشهر سلاحاً هو أخوف ما عرف من الأسلحة .

٢ — ومع أننا اشتركنا مع إنجلترا فى صنعه ، فالولايات المتحدة

هى التى تسيطر اليوم على الموارد اللازمة لصنعه واستعماله ، وليس هناك أمة أخرى تستطيع أن تدرك ما أدركناه اليوم قبل مضى سنوات .

٣ — ومع ذلك يكاد يكون من المحقق أننا لا نستطيع أن نبقى فى الطليعة أبد الآبدين ... ومن أرجح ما يرجح أن تصير أمم أخرى فى المستقبل قادرة على صنع القنابل الذرية فى زمن أقصر من الزمن الذى استغرقناه .

٤ — وقد يصنع فى المستقبل سلاح كهذا السلاح ، فى السر والخفاء ، وقد يستعمل على حين بغتة بقوة مدمرة . والانتفاع به يتيح لأمة صغيرة أن تقهر أمة قوية غافلة فى بضعة أيام .

٥ — ويومئذ يكون عالمنا اليوم وما فيه من فرق بين تقدمه الخلقى وتقدمه الصناعى ، تحت رحمة هذا السلاح . وقد يقضى على الحضارة الحديثة قضاء تاماً .

٦ — فكل خطوة تخطى نحو إنشاء هيئة عالمية ، بغير أن يدرك زعماء بلادنا قوة هذا السلاح الجديد ، تكون خطوة غير مطابقة للحقيقة . وليس ثمة أىّ نظام من نظم الهيمنة التى بحثت حتى يومنا هذا ، يكفى للهيمنة على هذا الخطر . والهيمنة على هذا الخطر ، فى أية دولة أو بين الدول ، يقتضى من حقوق الرقابة الدقيقة وأساليب الهيمنة ما لا عهد لنا بالتفكير فيه من قبل .

٧ — وإذن فمسألة مشاركة الأمم الأخرى فى هذا السلاح ، وعلى أى أساس تكون المشاركة ، هى المسألة الأولى فى سياستنا الخارجية . فنجاحنا فى صنع هذا السلاح ، قد ألقى على كاهلنا تبعة أدبية لما قد ينزل بالحضارة من كارثة يكون مرجعها بعضه أو كله ، إلى هذا السلاح .

٨ — ويقابل هذا أن حلّ مشكلة الانتفاع بهذه القوة يمكننا من أن نسير بهذا العالم إلى حال تتيح لنا أن ننقذ السلام والحضارة مما يهددهما .

٩ — وقد جاء فى تقرير الجنرال جروفز (مدير مشروع منهتان) أننا اتخذنا التدابير اللازمة لإنشاء لجنة مختارة لتشير على السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية فى حكومتنا بالعمل الذى ينبغى أن يتمّ .

كانت هذه اللجنة تعرف باسم « اللجنة المؤقتة » ، وكنت أنا رئيسها ، ولكنّ عبء العمل فى توجيه بحوثها المديدة ، وقع على جورج ل . هريسون الذى تولى رياستها فى غيبتى . وأما سائر أعضائها فكانوا : جيمس برنز ممثلا خاصًّا للرئيس ، ورالف بارد وكيل وزارة البحرية ، ووليم كليتون مساعد وزير الخارجية ، والدكتور فانيفار بوش مدير مكتب العلم والصناعة ، والدكتور كارل كومتن رئيس معهد ماساشوستس الصناعىّ ، والدكتور جيمس كونانت رئيس جامعة هارفرد ورئيس لجنة البحث فى أمور الدفاع .

وقد شملت مباحثات اللجنة موضوع الطاقة الذرية كله من نواحيها السياسية والحربية والعلمية . فإشارة اللجنة باستعمال القنابل ضد اليابان ، لم تتخذ دون علم بالموضوع . وقد شمل عملنا وضع مشروع قانون للهيمنة فى الولايات المتحدة على الطاقة الذرية ، وضع توصيات كان هدفها قيام نظام لهيمنة الدولية عليها . ولكن الجنرال مارشال ، رئيس هيئة أركان الحرب الأمريكية يومئذ ، كان يشاطرنى الرأى بأن بحث الطاقة الذرية لا يمكن أن يقتصر على ناحية استعمالها فى الحرب ، بل ينبغى أن تبحث أيضاً من ناحية قيام صلة جديدة بين الإنسان والكون .

وفى اليوم الأول من يونيو ١٩٤٥ أقرت هذه اللجنة بالإجماع التوصيات التالية :

١ — ينبغى أن تستعمل القنبلة ضد اليابان فى أقرب فرصة .

٢ — ينبغى أن تستعمل ضد هدفين : منشأة حربية أو مصنع حربى تحيط به دور ومبان أخرى تكون عرضة للتدمير .

٣ — ينبغى أن تستعمل دون إنذار سابق يكشف عن حقيقة هذا السلاح . وقد غير بارد رأيه بعد ذلك وخرج على الإجماع فى هذه الفقرة .

كانت اللجنة قد تدبرت موضوع الإنذار السابق لإلقاء القنبلة ، أو التهويل بتجربتها فى أرض غير مأهولة ، وصرفت الرأى عن الاقتراحين ، لأنهما لا يحتمل أن يفضيا إلى قسر اليابان على التسليم ، وكان كلا الاقتراحين ينطوى على مخاطرة . والتجربة الموفقة للقنبلة الذرّية التى تمت فى نيومكسيكو لا تكفل انفجار قنبلة بعينها ساعة تلقى من طائرة ، ولو أنذرنا اليابان بما سوف نلقى من هذه القنابل ، ثم ألقينا قنبلة لم تنفجر ، لانهار ما نسعى إليه من الظفر بتسليم اليابان . وإلقاء قنبلة لا تنفجر كان أمراً خليقاً أن يكون . ثم إننا لم نكن نملك قنابل نبذّرها فى التجارب . فكان أمراً لا غنى عنه أن

نظفر من القنابل القليلة التى بين أيدينا بأكبر تأثير وأسرعه .

كانت مهمة اللجنة أن تشير وحسب . ولكن التبعة الكبرى فى المشورة على الرئيس بما ينبغى أن يصنع كانت واقعة على كاهلى ، ولست أرغب أن أتستر وراء أحد . وكان الرأى الذى انتهت إليه اللجنة مشابهاً لرأيى ، وقد انتهى كلٌّ إلى رأيه مستقلا عن صاحبه . وقد كان لباب هـذا الرأى أن نظفر من إمبراطور اليابان ومستشاريه العسكريين بتسليم صادق ، فينبغى أن تصدم اليابان صدمة قوية تنطوى على برهان مقنع بأننا قادرون على تدمير إمبراطورية اليابان . وصدمة من هذا القبيل خليقة أن تنقذ من الناس ، أمريكين ويابانيين، أضعاف أضعاف من تهلك .

وإليك الحقائق التى استندت إليها فى تفكيرى ، والخطوات التى خطوناها لتحقيق ذلك .

كانت اليابان فى يوليه ١٩٤٥ قد حل بقوتها وَهن عظيم ، وكنا نعلم أنها أرادت أن تسبر غور الحلفاء ، فاقترحت على حكومة السوفيت أن تتوسط فى عقد صلح مفاوضة واتفاق . وقد كانت هذه المقترحات الغامضة تشمل احتفاظ اليابان بالبلاد العظيمة التى استولت عليها ، فلذلك لم ينظر فيها نظرة جد وصدق . ولم يكن عندنا دليل ما على أن الوهن قد دبّ إلى عزم اليابانيين على مواصلة القتال ، وأنها تؤثر التسليم بغير قيد أو شرط ، فقد كانت قوتها الحربية لا تزال قوة ضخمة . ففى يوليو ١٩٤٥ عهد إلى قسم المخابرات فى هيئـة أركان الحرب الأمريكية، فقدّر قوة الجيش اليابانى بخمسة ملايين من الجند ، كان منها فى جزائر اليابان نفسها مليونان أو أقل قليلا . وقد ثبت بعد ذلك أن هـذا التقدير يطابق الأرقام اليابانية الرسمية .

أما الأسطول اليـابانىُّ فكان قد قضى عليه من حيث هو قوة بحرية متزنة تستطيع أن تتصدّى لأسطولٍ غازٍ . وكان سلاح الطيران قد ضعف حتى صار أكثر اعتماده على غارات الفدائيين من الطيارين . بيد أن هؤلاء الطيارين كانوا قد أنزلوا بالقوات الأمريكية أذى خطيراً ، والتعرُّض لأذاهم فى المعركة الأخيرة خطر يخشى شره .

وكان الرأى أن اليابان خليقة أن تحزم أمرها على المقاومة إلى النهاية فى جميع الأقطار الخاضعة لسيطرتها . فإذا صحّ ذلك لم يكن للحلفاء مفرٌّ من القيام بمهمة ضخمة ، هى القضاء على قوة مسلحة قوامها ٥٫٠٠٠٫٠٠٠ جنـــدى وخمسة آلاف طائرة من طـائرات الانتحار ، وهم من

شعب قد أقام الدليل حقًّا على قدرته أن يستميت فى القتال .

وفى يوليو كنا قد أعددنا الخطط لهزيمة اليابان دون أن نعتمد فيها على القنبلة الذرية ، فامتحانها فى نيومكسيكو لم يكن قد تمّ بعد . وكانت قواعد الخطـة أن نشدّد الحصر البحرىّ ونزيد قذف القـاذفات ، على أن يلى ذلك غزو الجزيرة اليابانيـة الجنوبية وهى كيوشو . أما الجزيرة اليابانية الكبرى ، هونشو ، فقد دُبِّر الأمر لغزوها فى ربيع سنة ١٩٤٦ ، وكانت القوة الأمريكية من الجيش والأسطول، والتى عينت لهذه الخطة الكبيرة ، تشمل نحو خمسة ملايين رجل .

وقدّرنا أنه إذا اضطررنا إلى تنفيذ هذه الخطة بحذافيرها ، فإن أعظم القتال لا ينتهى قبل أواخر سنة ١٩٤٦ ، وقد نفقد من رجالنا نحو مليون نفس بين قتيل وجريح . وإذا حقّ لنا أن نبنى التقدير على ما سبق لنا من قتال مع اليابانيين ، فعـدد قتلاهم وجرحاهم سيفوق المليون كثيراً .

كانت هذه الاعتبارات تجول فى ذهنى ، فكتبت مذكرة للرئيس فى ٢ يوليو ، أدعو فيها إلى توجيه إنذار لليابان يحكم اختيار ميعاده ، وأن يكون الإنذار باسم أكبر ممثلى الولايات المتحدة وبريطانيا والصين ، وروسيا إذا كانت قد خاضت الحرب ضد اليابان . وينبغى أن يكون الإنذار دعوة إلى اليابان إلى التسليم والرضى باحتلال أرضها حتى يضمن نزع سلاحها نزعاً تامًّا من أجل السلام فى المستقبل . فلما باحثت الرئيس فى هذه الخطة أعرب عن موافقته العامة .

ومن الضرورى أن نبين بأجلى بيان صفة الإنذار الذى رأينا توجيهه إلى اليابان ، فقد كان الغرض أن يفرغ إفراغاً ينذر اليابان بالدمار إذا قاومت ، ويمنيها بالأمل إذا سلمت .

وفى المذكرة التى كتبتها وقدمتها إلى الرئيس ترومان فى ٢ يوليو ١٩٤٥ لم يرد ذكر القنبلة الذرية . فضرورات التكتم الحربىّ كانت تقضى بالامتناع عن ذكرها إلا لضرورة لا مفرّ منها . وعلى كلٍّ فالقنبلة كانت يوم كتبت مذكرتى لم تمتحن بعد . وقد كان فى طليعة تفكيرنا طبعاً أن القنبلة ستكون خير معوانٍ على تنفيذ الشطر الأول من الإنذار إذا عزمت اليابان على المقاومة .

وكان إقرار المذكرة التى كتبتها فى ٢ يوليو أمراً يتعلق بالسياسة العليا ، فإذا ما قبلها الرئيس صار مكان القنبلة الذرية فى خطتنا شيئاً واضحاً .

وقد دار البحث فى وشنطن على الموعد

الذى يوجه فيه الإنذار إلى اليابان . فلما عين موعد مؤتمر بوتسدام لاجتماع الأقطاب الثلاثة ، حدد موعد الإنذار على أساسه ، وقد كان قرار الرئيس ترومان أن تشترك الولايات المتحدة وبريطانيا فى توجيه هذا الإنذار من مؤتمر بوتسدام ، وأن يكون بموافقة الحكومة الصينيـة ، حتى تتبين اليابان أن أكبر أعدائها يد واحـدة فيما يتضمنه البلاغ من إنذار أو رجاء . وقد تم ذلك فى بلاغ بوتسدام النهائى الذى أذيع يوم ٢٦ يوليو ، وجارى مجاراة دقيقـة ما جاء فى المذكرة التى أعددتها فى ٢ يوليو ، دون أن تكون فيه إشارة إلى إمبراطور اليابان .

وفى ٢٨ يوليو أبى سوزوكى رئيس الوزارة اليابانية أن يقبل هذا البلاغ ، فأعلن أنه (أى البلاغ) غير جـديد « بالاهتمام العلنى » ، فلما جاء الرفض لم يبق أمامنا إلا أن نقيم الدليل على أن البلاغ عنى ما جاء فيه .

وقد تمت تجربة القنبـلة الذرية فى ولاية نيومكسيكو فى ١٦ يوليو ، وكنا يومئذ فى بوتسدام . فتجلى لنا فى الحال أننا صنعنا سلاحاً لا عهد بمثله ، وأن استخدامه ضدّ العدوّ خليق أن يحدث فى نفوس الحكام اليابانيين تلك الصدمة التى نتوخاها ، وذلك ممّا يعزّز رأى اليابانيين الذين يطلبون السلم ، ويُضعف مقام الحزب العسكرى .

ولما كانت مهمة إلقـاء القنبلة الذريّة عملا خطيراً ، فقد جاءونى بخطتها لأوافق عليها . وقد وافقنى الرئيس ترومان ، فحذفت من كشف المدن التى جعلت أهدافاً للهجوم الذرّى اسم مدينة كيوتو . وعلى أن كيوتو كانت هدفاً حربيًّا عظيم الشأن ، فقد كانت عاصمة اليابان القديمة ، وكانت مزاراً لفن اليابان وثقافتها . وقد وافقت على أربعة أهداف أخرى ، منهـا مدينتا هيروشيما ونجازاكى .

وقد ألقيت القنبلة الذريّة على هيروشيما يوم ٦ أغسطس ، ونجازاكى يوم ٩ أغسطس . وقد كانت هاتان المدينتان زاخرتين بآيات النشاط الحربى اليابانى . فهيروشيما كانت مقرّ قيادة الجيش اليابانى المعيّن للدفاع عن جنوب اليابان ، وكانت أيضاً مستودعاً كبيراً للتموين الحربى واحتشاد القوات قبل سفرها . أما نجازاكى فـكانت ميناءً عظيما ، وكانت رقعتها تضمّ مصانع ضخمة لها شأن حربىّ عظيم . وكنا نرى أن ضرب هاتين المدينتين أمر خطير فى نظر زعماء اليابان العسكريين من رجال الجيش والأسطول على السواء . فلبثنا ننتظر ما يسفر عنه ضربهما ، فلم ننتظر أكثر من يوم واحد .

فقد عقدت الوزارة اليابانية اجتماعاً طويلا انقسمت فيـه فريقين ، وأصرّ كل فريق

على رأيه حتى فصل الإمبراطور نفسه في الأمر . فعرضت اليابان أن تسلم فى ١٠ أغسطس ، وكان عرضاً يستند إلى شروط إنذار بوتسدام ، إذا استثنى التحفظ الخاص بسيادة الإمبراطور . وعلى أن ردّ الحلفاء لم يقطع عهوداً فى هذا الصدد ، فإنه تضمّن معنى الاعتراف بمنزلة الإمبراطور الخاصة ، وذلك بالنص على أن سلطانه ينبغى أن يكون خاضعاً لأوامر قائد الحلفاء الأعلى . وقد قبلت هذه الشروط يوم ١٤ أغسطس ، ووقعت وثيقة التسليم توقيعاً رسمياً فى ٢ سبتمبر فى خليج طوكيو . وكذلك تحقق هدفنا العظيم . وجميع الأدلة التى اطلعت عليها تبيّن أن العامل الفاصل فى قرار اليابانيين الأخير أن يقبلوا شروطنا ، هو القنبلة الذريّة .

وكانت القنبلتان الذريتان اللتان ألقيناهما على اليابان ، هما القنبلتان الوحيدتان اللتان كانتا جاهزتين ، وكان معدل الإنتاج قليلا جدًّا ، ولو طالت الحرب إلى يوم الغزو المقرر فى أول نوفمبر ، لكانت الغارات التى تشنها القلاع الطائرة الضخمة لإلقاء القنابل المحرقة أشدّ فتكا وتدميراً من القنابل الذريّة التى كنا خليقين أن نلقيها فى المدة نفسها . بيد أن القنبلة الذريّة كانت شيئاً أكبر من سلاح شديد التدمير ، فقد كانت سلاحاً نفسيًّا .

ففى شهر مارس من سنة ١٩٤٥ شنّت القوات الجوية الأمريكية غارتها الكبيرة الأولى على طوكيو لإلقاء القنابل المحرقة ، وقد أحدثت هذه الغارة من الدمار والإصابات أكثر مما حلّ بهيروشيما . وقد توالت أمثال هذه الغارات فتركت أقساماً كبيرة فى مدائن اليابان قاعاً صفصفاً ، ولكن اليابانيين مضوا فى القتال . وفى اليوم السادس من أغسطس ألقيت قنبلة ذرية واحدة على هيروشيما ، ثم ألقيت القنبلة الثانية بعد ثلاثة أيام على نجازاكى ، فعندئذ وضعت الحرب أوزارها .

وكذلك ترى أن القنبلة حققت الغرض المقصود منها أتمّ تحقيق ، وصار حزب السلام فى اليابان قادراً على أن يسلك طريق التسليم ، وألقى الإمبراطور بكل سلطانه العظيم فى كفة السلام . وكنت فى مذكرتى التى قدمتها للرئيس يوم ٢ يوليو ، قد اقترحت أن نحتفظ بالإمبراطور لما يحيطه به شعبه من الإجلال العريق فى نفوسهم ، ولما لهُ من سلطان على جيوشه التى شيمتها الولاء لهُ . فلما أمر الإمبراطور بالتسليم ، وأخضعت الفئة المتعصبة المعارضة له ، سكن الشعب اليابانى ، فتمت أعمال الاحتلال ونزع السلاح اليابانى الضخمة بسهولة لا عهد بمثلها من قبل .

فقرار استعمال القنبلة الذرية كان قراراً

أنزل الموت بمئة ألف من اليابانيين أو أكثر، ولست أرغب فى أن أنكر هـذه الحقيقة أو أزينها للناس ، بيد أن هذا التدمير العمد المدبّر ، كان أقل الأعمال المتاحة لنا قسوة ونكراً . فتدمير هيروشيما ونجازاكى وضعا حـداً للحرب مع اليابان ، ووقف غارات القنابل المحرقة ، والحصر البحرى الذى أخذ يخنق اليابان خنقاً ، وبدّد أيضاً ذلك الشبح المخيف شبح القتال المبيد ، بين جيوش برية عظيمة .

إن الحرب فى القرن العشرين قد أصبحت تزداد وحشية وتدميراً زيادة مطّردة، وهى أشد نذالة من جميع وجوهها . أما وقد أطلقت الطاقة الذرية من عقالها ، فقد كملت قدرة الإنسان على أن يدمر نفســه بيديه . وقد أفضت القنبلتان اللتان ألقيتا على هيروشيما ونجازاكى إلى نهاية حرب ، ولكنهما بينتا أيضاً أنه ينبغى لنا أن لا نأذن بقيام حرب أخرى . وهذه هى العبرة التى ينبغى للناس وللزعماء فى كلّ قوم أن يتدبروها . وعندى أنه متى فعلوا ، فإنهم سيجدون طريقاً إلى السلام الدائم ، فليس لهم فى الأمر خيار !



حكمة سليمان

وقفت أعرابية منذ سنوات بين يدى جلالة الملك عبد العزيز آل سعود تشكو إليه أن زوجها كان يعمل تحت نخلة ، فإذا أحد رجال الملك قد سقط من أعلى النخلة فوقع على زوجها فمات ، وطلبت القصــاص جزاءً وفاقاً . فلما سألها الملك أترضى بدية تؤدى إليها ، أبت وقالت إن القصاص حق لها بحكم الشريعــة .

فتفكر الملك قليلا ثم قال : « صدقت ، إن الشريعة توجب أن أُخلى بينك وبين هذا الرجل فتقتصّى منه ، أما كيف يقتل ، فذلك شىء من حقى أنا أن أقرره ، وإذن فأنا آمرك أن تتسلقى النخلة ثم ارمى بنفسك عليــه حتى يموت كما مات زوجك » .

فقبلت أن تأخذ الدية .

[أرمسترنج فى كتابه : « سيد بلاد العرب »]

هذه طبائع البشر

منذ سنوات أراد مجلس لوس أنجليس البلدي أن يوفر موارد الماء للمدينة، فاشترى من طائفة من الفلاحين في الجبال أراضيهم بمبالغ ضخمة من المال من أجل مائها أو مرور الماء فيها. وقد قابلت يوماً رجلا من هؤلاء فسألته ما ينوى أن يفعل وقد صار غنيًّا، فقال متمهلا: «أول ما أنوى أن أفعله، هو أن أظل ما عشت مستريحاً في سريرى حتى الساعة السادسة من كل صباح».

جلست العروس وزوجها يفتحان علب الهدايا التي أهديت إليهما يوم زفافهما، فعثرا على علبة تحوى حذاءين جديدين جيدين للزوج، وحذاءين لامعين من أحذية السهرة للعروس، ثم أخذتهما الدهشة حين وجدا هذه العلبة تحوى أيضاً زوجين من الأحذية العتيقة. فالتفتت العروس وقالت: «هذان حذاءان قديمان من أحذيتى!» والتفت زوجها وقال: «وهذان حذاءان قديمان من أحذيتى!» ثم فتح ظرفاً فوجد فيه ورقة نقد بعشرين ريالا ورسالة هذا نصها:

«ابنى العزيز. أقدم الأحذية الجديدة لك ولزوجتك، لتسيرا بها على طريق الزواج. والزواج فى أوله، هو كهذه الأحذية، فقد تكون ضيقة تؤلم القدم. ولكنكما ستجدان على الأيام والسنين، أن الزواج يصير أبعث على الرضى، وأدنى إلى الكمال — وأجلب للراحة أيضاً كهذه الأحذية القديمة. فأتمنى لكما رحلة موفقة.» أبوك المحب

أنا صاحب حانة فى حىّ جرينتش فى نيويورك، وقد كنت ذات ليلة أهمّ بإغلاقها فى الساعة الثالثة صباحاً، وإذا برجل يدخل علىّ، فرابنى ما رأيته من حركاته وسكناته. فقد كان متفزز الأعصاب يرتعد حين طلب كأساً، ثم رأيته يرفع الكأس، مشيحاً بنظره عنى، ثم وضعه وقفز وهو أشد ارتعاداً مما كان، وعدا إلىّ غرفة التلفون وجعل يدير حديثاً كحديث المهتاج. وما إن خرج منها حتى برح الحانة.

وكنا قد بلينا فى حيّنا بموجة من الجرائم، وهذا رجل مريب، فدعوت رجال الشرطة، ولم أكد أفعل حتى رأيت صاحبي قد عاد، فرأى كأسه لا تزال فى مكانها فجرع ما فيها جرعة واحدة، وأمر بأخرى، ثم هرول إلى غرفة التلفون. وقد وصل رجال الشرطة قبل خروجه منها، فلما جعلوا يسألونه كان كالخائف المذعور، ثم سكن قليلا وجعل يتكلم كلاماً معقولا. وقد انتهى بنا الأمر، أننى قضيت معه بقية الليلة على سلم المستشفى ونحن نتنادم ونشرب.

لقد وضعت زوجته ولداً!

لمحة من الحياة فى ريف روسيا حيث لا تزال الوسائل العتيقة التى تقصم الظهور هى الوسائل السائدة فى الفلاحة .

الحياة فى مزرعة روسية مشتركة

جون ستروم
مدير التحرير سابقاً لمجلة "فلاح البرارى"

كأنه منظر الحقل وقد انحنت فيه النساء الحافيات على حصد القمح بمناجلهن ، كأنه مشهد طلع علينا من عصر الزراعة المتغلغل فى القدم .

فسألت صاحبي وأنا لا أكاد أصدق ماأرى : « ألا تستعملون حاصدات آلية ؟ » وتذكرت صور صفوف من الجرارات تزحف فى عظمة وجلال فتعبر السهوب الروسية وهى تجر حاصدات هائلة تشق بحراً طامياً من القمح الذى صار لونه كالذهب .

فقال بطرس شيباشوف : « كلا لم نستعمل حاصدة آلية قط فى هذه المزرعة » . وقد كان صاحبي رئيس جماعة من العمال عددهم ثلاثون عاملا ، وكان هناك من مثلها ثلاث جماعات أخرى فى هذه المزرعة الروسية المشتركة قرب مدينة ستالنجراد .

استقلتُ فى أوائل سنة ١٩٤٦ من منصب مدير التحرير لمجلة « فلاح البرارى » وعزمت أن أطوّف فى أوربة لأكتب عمّا أرى ، لاقتناعى بأن أعظم الرجاء فى قيام السلام لا يتحقق إلا إذا توثقت أواصر التفاهم بين شعوب العالم . وكنت قد طلبت تأشير السوفيت على جوازى قبل أن أبرح أمريكا . فجعلت أجوب أوربة وأنا أنتظر وروده ، فمضت خمسة أشهر ولم أظفر به .

فلمّا كنت فى برلين كتبت البرقية التالية : «طلبت التأشير على جوازى فى فبراير حتى أزور الاتحاد السوفيتى ، لأنى أريد أن أطلع الأمريكيين على مآثر الزراعة الروسية ، وأن أعزز التفاهم بين أمتينا العظيمتين . ففى هذه الفترة التى تفاقمت فيها أزمة الطعام ، يسرّنى أن يتاح لى أن أنقل إلى قومى قصة الشعب السوفيتى المجاهد . وشكراً» . وأرسلتها إلى ستالين ، موسكو ، الاتحاد السوفيتى .

فنلتُ تأشير الروس على جوازى بعد عشرة أيام .

وفى وزارة الزراعة فى موسكو قيل لى ما مؤداه أن البلاد بلادى ، ووضعت السفارة الأمريكية مترجماً تحت تصرفى .

* مختصرة من كتابه : « قل الحق وحده »

وكذلك تمكنت أن أطوّف فى أرض الاتحاد السوفيتى كما أشاء . وقد كنت ذات صباح فى سيارة جيب جعلت تهتز وترتجّ بنا على طريق غير ممهد ، فكنا نتنكبهُ فى الحين بعد الحين ، فنعدل إلى الأرض الزراعية حتى نتجنب ما فيه من حفر ملأى بالطين ، فلم أجد حواجز تعترضنا. ففى المزارع المشتركة ترى رعاة الأنعام بدلا من الحواجز ، فاليد العاملة أوفر وأرخص من الأسلاك ، وكنا نقصد المزرعة المشتركة التى أطلق عليها اسم « مزرعة أكتوبر الأحمر » .

كان فى المزرعة نحو مئة بيت بنيت بكتل من الخشب ، وكانت سقوف بعضها عيداناً بُريت باليد ، وسقوف البعض الآخر من القش. وكانت أفنية البيوت عاطلة من الأزهار فبدت لىَ القرية كأنها عارية . فلما وقفنا أمام مقرّ الإدارة بادر إلينا أطفال حفاة ليلوّحوا لنا تحت لوحة قد كتب عليها : « مرحباً بأصدقائنا الأمريكيين » .

كان رئيس مجلس المزرعة شاباً من الذين خاضوا غمار الحرب ، وكانت ذراعهُ لا تزال معلّقة برباط ، ولم يكن فى المزرعة أحد سواه من أعضاء الحزب الشيوعىّ ، فجلسنا على كوم من الخشب ، وجعلت أدوّن ما يجيب به الرئيس على أسئلتى .

قال إن فى المزرعة ٨٣ أسرة تضم ٤٣٦ نفساً ، وعدد العمال ١٣٦ عاملا منهم ١١٦ من النساء . وقد وجدت فى مزرعة بعد أخرى أن النساء يؤدين ٨٠ فى المئة من العمل . وقد خطر لى أن هذا يرجع إلى الحرب ، فسألت وزير الزراعة : « ما مقدار العمل الذى ينتظر أن تؤديَهُ النساءُ بعد ١٥ سنة أو ٢٠ سنة ؟ » فقال : « ٥٥ فى المئة وحسب » .

وقد بعثت مزرعة « أكتوبر الأحمر » بمئة وستة وأربعين رجلا إلى الجيش، وباثنى عشر رجلا إلى مصانع الحرب ، فلم يعد منهم سوى ١٥ رجلا ، وكان من هؤلاء عشرة قد فقدوا أذرعهم أو سيقانهم . ولعلّ معظم الباقين لا يزالون فى الجيش أو فى الصناعة .

وهذه المزرعة ليست بالكبيرة ، فمساحتها ١٢٥٠ فداناً ، لا يزرع منها سوى ٦٣٠ فداناً ، وأما البقية فغابات ومراعٍ أو أرض بور ، وهذا يجعل نصيب العاملِ الواحد ٤٫٦ فدان . فتذكرت إخوتى الثلاثة ، فكلٌّ منهم يتولى زراعة ٢٠٠ فدان ، وقلما يظفر بمن يعاونه .

وسرعان ما تبينت لِمَ يحتاجون إلى هذه الكثرة من العمال ، ففى حقول القمح كنت أرى المرأة العاملة تقبض بيدها اليسرى على حزمة من سوق القمح ، ثم تحشها بمنجلها ، ثم تكوّم ما تحصد كومة محكمة . وقد فعلت

ذلك ثمانى مرات أو تسعاً أو عشراً حتى صار بين يديها كومة من الحجم المطلوب . ثم تأخذ بضعة أعواد من القش وتفتلها حتى تصير حبلا تربط به الحزمة الضخمة .

أتكون هذه المزرعة مثالا لغيرها ؟ بعد أن قارنتها بمزارع شتى زرتها أقول إنها مزرعة وسط ، فثمة مزارع تستخدم فيها الآلات الحديثة . وإذا وازنت بين الاتحاد السوفيتى وروسيا القيصرية قلت إن الاتحاد السوفيتى قد أخذ حقًّا بأسباب الآلات فى زراعته ، ومع ذلك ترى أن الغاية التى ينشدونها فى مشروع السنوات الخمس الأخير ويرجون أن يبلغوها فى سنة ١٩٥٠ ، تقتضى أن تستعمل الآلات فى حصاد ٥٥ فى المئة وحسب من القمح . أما فى سنة ١٩٤٦ فقد قضى عليهم ما خسروه من آلات الزراعة فى الحرب ، أن يحصدوا ثلثى القمح بالمناجل أو غيرها من أدوات الحصاد العتيقة .

فالمزرعة السوفيتية تحتاج على الجملة إلى عدد من العمال أكبر جداً مما تحتاج إليه المزارع فى بلاد بلغت فى الاستعانة بالآلات شأواً بعيداً . وليس الانتقال من محراث الخشب إلى الجرارة شيئا يتم بين عشية وضحاها ، ولا يسعك أن تحيل فى جيل واحد جماعة من الفلاحين إلى مزارعين حاذقين يحسنون الأخذ بأسباب العلم والصناعة .

وقد طوّف بى بطرس شيباشوف فى مزرعة أكتوبر الأحمر فوجدت ١٨ عاملا من عمال جماعته يشتغلون بالإنتاج ، ومنهم ١٦ امرأة . ومنهم أيضاً من يتولى الآلات أو يخفر المزرعة أو يرعى الأنعام . والمزرعة المشتركة لها خبيرها فى شئون المحاصيل أو تربية المواشى ، وحدّادها وكهربائيها وسروجيها . ومثل هذا الاكتفاء لا غنى عنهُ لقلة أسباب المواصلات ، ولكنهُ ليس كبير الجدوى فى العمل .

وأرادنى بطرس على أن أرى أسرته ، فإذا أنة البالغة ١٩ سنة من العمر تتولى قطيعاً من البقر ، وقد قالت لى إنها واحدة من ثلاثين فتاة وعشرين رجلا ذهبوا إلى ألمانيا فى السنة الماضية ليعودوا بألف رأس من ماشية هولشتين ، لكى توزع على المزارع المشتركة التى فقدت ماشيتها فى زمن الحرب .

وقالت أنة متهللة : « كانت رحلة ممتعة ، وقد استغرقت ستة أشهر كنا فى خلالها نضرب خيامنا كلّ ليلة على الطريق » .

وكان أصغر أبناء شيباشوف لا يزال فى دار حضانة الصغار ، وهى مبنية بكتل الخشب ، وتضم كلّ الصغار دون السابعة ، حتى تتمكن أمهاتهن من القيام بأعمالهنّ . وهناك يلعب الصغار ، وينامون فى مهود صغيرة ، وتراقبهم ثلاث نساء حتى تعود أمهاتهم من الحقل

فيحملنهم إلى البيت . وقد رأيت على لوحةٍ نشرات عن قواعد الصحة والنظافة ، ولكننى لم أر ستائر السلك على النوافذ والأبواب ، فكان الذباب كثيراً .

وقدمنى بطرس إلى زوجته التى كانت تعمل فى « مزرعة الأسرة » — وهى شقة ضيقة من الأرض مساحتها نحو فدان ، ولكل أسرة مزرعة خاصة مثلها . قال بطرس : « إننا نزرع هنا أشياء نأكل بعضها ونبيع بعضها » ، وفى وسعهم أن يبيعوها فى السوق الحرّة بأثمان باهظة .

وسوف تذهب زوجة بطرس غداً إلى سوق المدينة التى تبعد ١٥ ميلا ، وقد كانت سيارة النقل قبل الحرب تقل النسوة إلى السوق ، ولكنّ السيارة وُهبت للجيش ، فعليها أن تذهب ماشية ، وقد يذهب معها ١٥ امرأة أخرى حاملات الخيار والطماطم واللبن .

ولكن لِمَ لا يحملن كل هذه المحصولات على عربة فتمضى بها امرأة واحدة لتبيعها فى السوق ؟ ذلك لأن كلّ مزارع ينبغى له أن يبيع محصوله بنفسه منعاً للمضاربة . فأسعار السوق الحرّة مرتفعة ، والحكومة لا تريد أن تشجع أحداً من الناس أن يكسب مالا من عمل رجل آخر ومن عرق جبينه .

يباع البيض كل بيضـــة بستة قروش ، واللبن كل لترٍ بعشرين قرشاً ، والطماطم كل رطل بخمسة وأربعين قرشاً . وليس هذا سوى بعض ما يكون ، فإذا أراد بطرس أن يفاجىء ابنته بحذاءٍ يهديه إليها وجب عليه أن يدفع ١٣٥ ريالا فى ثمن الحذاء .

ومع أن الحكومة تملك كل الأرض فى الاتحاد السوفيتى ، ترى المزارع المشتركة ، وعددها نحو ٢٤٥٠٠٠ مزرعة ، يحق لها أن تنتفع بالأرض إلى ما شاء الله ، وفى مقابل ذلك يفرض عليها أن تقدّم للحكومة مقادير معيَّنة من المحاصيل بأسعار منخفضة .

ولا يحق للمزارع المشتركة أن تملك جرارات أو حاصدات ، فهذه الآلات ينبغى أن تستأجر من وكالة تابعة لوزارة الزراعة ، ويدفع كراؤها عيناً من المحاصيل .

وفى الفترة الواقعة بين ١٩٣٧ — ١٩٣٩ كان ٤٠ فى المئة من مجمل دخل المزرعـة المشتركة يؤول إلى الحكومة ووكالة الجرارات والآلات التابعـة لوزارة الزراعـة ، وكان يخصم ٢٠ فى المئة للتامين وما أشبه ، وأما الأربعون فى المئة الباقيــة فكانت توزع على العمال ، وكان ٥٥ فى المئة من مجمل الإيراد النقدى يوزّع على العمّال .

وليست حصة كلّ عامل كحصة صاحبه . وأشار بطرس بيده وهو يحدثنى إلى النساء المكدودات يحصدن القمح وقال : « خذ هؤلاء العاملات ، فإن كلا منهنّ يُسجَّل

لها عمل يوم ونصف يوم إذا حصدت وحزمت ٢٧٠ حزمة ، محيط كلٍّ منها ٤٥ سنتيمتراً ، فإذا أنجزت هذا المقدار فى يوم واحد فإنها تظفر بأجر يوم ونصف يوم » .

وهم يقدّرون أعمال الحقل كلها على هذا الأساس ، ثم يوزع الدخل فينال كل عامل نصيباً يوازى ما عمل . وقد كان متوسط عمل العامل فى السنة الماضية مئتى يوم ، فكان نصيبهُ ١٠ بوشلات من القمح ، وطنًّا من البطاطس ونحو ١٢ ريالا ، وقد كان ما يوزَّع قبل الحرب يبلغ ضعفى هذا تقريباً .

وقال لى رئيس مجلس المزرعة : « هذا مورد واحد من موارد الدخل . فلكل أسرة محصول حديقتها الخاصة ، ويحقّ لكل فلاح أن يملك بقرة وعجلا وخنزيرة وخنازير صغيرة ، وعشرة أغنام وعشر خلايا نحل ، وبعض الدواجن . ثم إننا نكافىء من يتقن عمله » .

ولكل مزرعة مشتركة رجالٌ يمسكون الدفاتر ، ويحسبون أوقات العمال ، ويتتبعون ما يدفع من الأجور والمكافآت . وقد كانت نفقات الإدارة فى العهد الأول باهظة ، فأمرت الحكومة بأن لا تزيد على ٨ فى المئة من قيمة مجموع أيام العمل ، و ٢ فى المئة من الإيراد النقدى . ومع ذلك ذكرت صحيفة براقدا خبر مزارع تبلغ فيها نفقات الإدارة ١٤ فى المئة .

وترى خارج مقرّ إدارة المزرعة لوحاً تعلَّق عليه نشرات تبين ما يتصل بشئون المزرعة ، من أهداف المزرعة وأهداف كل جماعة من عمالها . وهى تذكر للمحسن ما أحسن وللمسىء أو المقصر ما أساء . فإذا تأخر فلان مثلا فى نومه نبهه رئيس الجماعة إلى ذلك ، فإذا عاد إلى مثل ذلك علِّق اسمه على اللوح . أما المزارع الذى يأبى أن يتعاون مع إخوانه فجزاؤه أن يطرد من المزرعة إذا وافق أكثر الأعضاء . وإذا ما طرد فقلما تتاح له فرصة للاستقرار فى مزرعة أخرى .

وآثار الحرب لا تزال بادية فى مزرعة أكتوبر الأحمر ، فقد رأيت صغاراً يلعبون فى خنادق دار فيها قتال دامٍ أيام معركة ستالنجراد . وقد رفع بطرس بيديه قنبلتين لم تنفجرا ، كما يرفع أى فلاح من أرضه صخوراً خليقة أن تثلم محراثه . إن هؤلاء الفلاحين يحرثون الأرض حول دبابات ألمانية ثقيلة أعجزهم أن يزحزحوها .

وقد كان من أثر غزو الألمان أنك لا تجد عندهم مصنعاً لنشر الخشب ، فهم ينشرونهُ بأيديهم . وقد أصبحت الخيل قليلة ، فلما كان الربيع الماضى مضوا إلى الحقول بالمجارف لكى يحرثوها . أما أقدام الرجال الذين

كانوا يدفعون المجارف فى التربة ، فكانت حافية أو ملفوفة بخرق بالية .

وقد سلم بطرس بأن العمل على هذا المنوال « عمل بطىء ، ولكن لابد لنا من أن نبذر البذور مهما كان الأمر » .

فلما قرع جرس العشاء ذهبت مع بطرس إلى بيتـه المؤلف من ثلاث غرف والمبنىّ بالخشب ، فرأيت فى زاوية البهو صورة لنين وصورة ستالين ، وفى الزاوية الأخرى أيقونات دينية ، وشاهدت فرناً كبيراً مطلياً بطبقة من الطين يمتد من المطبخ إلى البهو إلى حجرة النوم ، فيستعملونه للطبخ وللتدفئة كليهما .

[illegible]ن الطعام مأدبة أعدت لى خاصة فهذه ، صحاف [illegible]ست بالبيض المسلوق والخيار والطماطم والجبن والبطاطس ، وكانت هناك قطع ضخمة من الخبز الأسود والسمك . فأكلت وأسرفت ، فلما صرت عاجزاً عن أن آكل شيئاً آخر جاؤنا بالصنف الرئيسى — لحم طرىّ . ثم ختمنا المأدبة بكرز غضّ مغموس فى العسل ، وخيار مملح . وقد قالوا لى : « من لم يحبّ الخيار فليس روسيًّا » .

ثم اقترح رئيس مجلس المزرعة أن يشربوا على تحيتى قال : « تحيةً ضيفنا العزيز ، حتى إذا عاد إلى بلاده وصف مشكلاتنا لقومه ، فإن علينا أن نجدد أشياء كثيرة حتى نسترد حياة السعادة . قل لقومك إننا لا نخشى العمل ، وأننا سنقهر ما يعترضنا من المشاق والصعاب . وقل لهم إننا لن ننسى عونهم يوم كانت حاجتنا إليه أشد ما تكون . بلغهم شكرنا » .

وهـذا الذى رأيته من مودة هؤلاء المزارعين الروس ورغبتهم فى إرضائى ، قد ترك فى نفسى أثراً عميقاً . فلما أزفت ساعة الرحيل ، وكنت كالغريق فى بحار كرمهم ، جاءوا فعانقونى وقبلونى على عادة القوم فى روسيا .

ولقصتى هذه خاتمة ، فبعد يومين سمعت قرعاً على باب غرفتى فى الفندق فى ستالنجراد ففتحته فإذا أربع فتيات ، كل منهنّ تحمل سلة مثقلة بالطماطم والتفاح والكرز والخيار « هدية وداع من أهل مزرعة أكتوبر الأحمر إلى صديقهم الأمريكى » . وقد قطعت هذه الفتيات ٢٠ ميـلا مشياً على الأقدام أو فى عربة يجرها ثور أو فى معدية تعبر نهر الفولجا لكى يهدين إلىّ هذه السلال .

وقالت إحداهنّ : « لتكن هذه السلال آية للمودة بين قومك والاتحاد السوفيتى » .

ولست أدرى ما يجول فى ذهن ستالين ، ولا ما يطمح إليه مولوتوف ، غير أن هذه هى الصورة الصادقة لأهل روسيا كما رأيتهم .

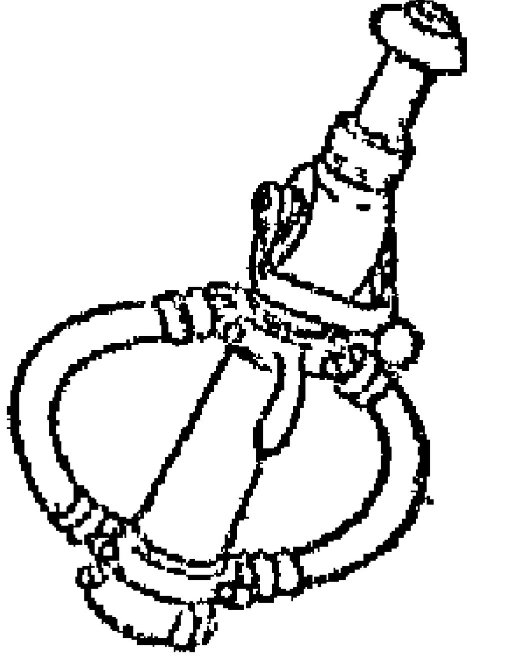


صناعة الغزل تسدى يداً إلى رجال المطافىء

الماء "النفاذ" فى كفاح الحرائق

بول و. كيرلى

مختصرة من مجلة "أخبار السلامة القومية"



فى شهر أغسطس الماضى شبَّت نارٌ فى أكوام من العشب الجاف تبلغ زنتها تسعين طنًّا . وإذا ما شبَّت نارٌ كهذه النار شقَّ عليك أن تصنع شيئاً لتخمدها، فتأ كل المخزن والعشب كليهما . ولكن كلارك إستانديش وجماعة من المتطوعين أخمدوا هذه النار بغير أن يصاب المخزن بأذى يقتضى أكثر من رفع بعض ألواح الخشب من جداره .

و « الماء النفّاذ » هو سرُّ هذه القدرة الجديدة على كفاح النيران، فهو يتيح للناس (١) أن يكون إخماد الحرائق فى أوائلها أسرع، وأن يكون الضرر الذى يسببه إغراق المبانى بالماءِ أقلَّ وأخفَّ (٢) وأن يخمدوا حرائق كان إخمادها مستحيلا (٣) وأن يوفروا توفيراً كبيراً مايقتضيه إخماد الحرائق من كثرة رجال المطافىء ، بتقليل ما يلزم من الوقت لفحص النار الكامنة ، والقضاء على ما يعيدها إلى الشبوب بعد الظن بأنها قد خمدت .

وفى مناطق الريف التى تقلُّ فيها موارد الماء ، كان أسلوب الانتفاع برذاذ الماء فى إخماد الحرائق نعمةعظيمة ، لأنه أسلوب يوفر ٥٠ فى المئة من مقدار الماء اللازم لو أطلق عليها متدفقاً من الخراطيم. أما اليوم فقد جاء « الماء النفاذ » يضاعف تلك النعمة، ويجعل أسلوب الرذاذ أجدى مما كان ضعفين أو ثلاثة أضعاف .

و « الماء النفاذ » ماءٌ عاديٌّ أضيفت إليه مادة كيميائية تزيد قدرته على اختراق سطوح الأشياء . وساعة وصل إستانديش إلى مخزن العشب المستعر ، كانت تسعون فى المئة من الماء المصبوب من الخراطيم يرتدُّ عن العشب المحترق ، فلا يجدى شيئاً فى إخماد ناره . فجىء بخرطوم يطلق الماء رذاذاً ودُسَّ فى ثغرة فى جدار المخزن ، ثم جىء بالماء النفاذ فى فنطاس ، فدفع الماء تحت ضغط قوىٍّ فى الخرطوم ، فوقع الرذاذ على العشب .

قال إستانديش : « وفى خمس دقائق أو أقل كان الماء قد أخذ يتحدر خلال

كوم العشب إلى أسفل المخزن ، فتشبَّع الكوم الذى يبلغ ارتفاعه ١٢ قدماً بالماء ، وإذا النار قد همدت » .

والمادة الكيميائية التى تزيد قدرة الماء على بلّ الأشياء وتشبّعها به ، تفعل ذلك بما لها من أثر فى إضعاف قوة التماسك التى تكون بين جزيئات الماء عند السطح . وقوة التماسك هذه هى التى تجعل الماء يصير قطرات إذا ما سكبته على سطح من الخشب أو الورق أو غيرها . خذ قطارةً وقطر منها ماءً على سطح ورقة ترى القطرات تحتفظ بشكلها الكروىّ . أضف إلى الماء قليلا من هذه المادة الكيميائية ، فإذا الماء قد انتشر أمام عينيك ونفذ فى مسامّ الورقة .

منذ أربع سنوات شبَّت النار فى متجر ورق منبوذ ، فالتهمت ما زنته أطنان كثيرة من القصاصات التى حزمت حزماً حزماً ، وبعد ساعات من الجهاد أخمدت النار . ثم مرّت ثمانى ساعات أخر شقّ فيها الرجال هذه الحزم التى تقطر ماءً ، وغمّروا قلبها بالماء حتى يقضوا على كل جذوة نار يخشى أن تكون كامنة فيها ، فتعيد السعير بعد قليل إلى سيرته الأولى .

وهذا القسم من كفاح النار يستغرق ثلثى عمل رجال المطافىء . ومع أن الرجال كافحوا النار فى هذا المتجر أدق كفاح ، فقد دعاهم رجال المتجر ستّ مرّات فى الأسبوع التالى ليعالجوا حرائق صغيرة مردُّها إلى اشتعال النار ثانية فى بعض حزم الورق .

وقد شبَّت نار حاصدة فى المتجر نفسه منذ أشهر فاستغرق إخمادها نفس الزمن الذى استغرقه إخماد النار الأولى ، ولكن رجال المطافىء لم يضطروا إلى فحص الحزم كما فعلوا فى المرّة السابقة ، ولم يحدث ما يقتضى عودتهم فيما بعد . وقد اعتمد ضابط المطافىء فى إخماد هذه النار على « الماء النفاذ » .

وقد وصلت مرة إلى مصنع خشب شبت فيه نار ملتهمة فأخمدت بسرعة لا تكاد تصدق . وقد كان المصنع هيكلا من الخشب ، وكانت أكوام الخشب مكدسة على أرضه ، وكانت النشارة مكدسة فى أسفل المصنع حتى بلغ ارتفاعها سبع أقدام . وقد شبت النار أولا ساعة حاول أحد العمال أن يزيد شعلة فرن من أفران الجاز ، فسرى اللهيب بين ألواح الأرض إلى جبل النشارة المكدس فى أسفل المصنع والنشارة خير طعام للنار . وهبت ريح فزادت النار سعيراً وانتشاراً .

فلما أذيع إنذار الحريق كان بين الذين لبّوا النداء رجل يدعى هيل ، فجاء بفنطاس

خزن فيه الماء النفاذ تحت ضغط قوىّ . وتولى هيل كفاح النار . فأحدث ثقبين فى أرض المصنع ودسَّ فى كل منهما رأس خرطوم يرسل الماء رذاذاً ، وأمر فى الوقت نفسه بمدّ خرطوم إلى أقرب صنبور من الماء العادى ، يبعد ١٢٠٠ قدم ، مبالغة فى الاحتياط ، وما إن عاد رجالهُ من وصل الخرطوم بصنبور الماء العادى ، حتى كان هيل قد أخمد النار بالماء النفاذ ! وقد فحص مخزن النشارة بعد ذلك ، فثبت أن الماء قد تخلل الكوم كله ونفذ مسافة بوصتين فى الأرض تحته .

وقد روى أحد رجال المطافىء فى قسم كفاح النار فى الغابات والحدائق بولاية رود أيلند ، أنهم حاولوا هناك أن يمتحنوا فعل الماء النفاذ والماء العادى فى إخماد حرائق الغابات ، ثم يقابلوا بين أثرها فقال :

« كانت النار التى شبَّت تشمل مساحة كبيرة من الأرض تغطيها طبقة كثيفة من النبات المتحلل وورق الصنوبر ، ومقدار كبير من شجيرات ميتة جافة . فعينت فصيلة من رجال المطافىء لتتولى كفاح النار من الجهة الغربية ، وكان معها فناطيس الماء النفاذ . وعينت فصيلة مثلها لكفاح النار فى الجهة الشرقية وكان اعتمادها على الماء العادى . وقد استغرقت فصيلة الجهة الشرقية خمس ساعات فى إخماد النار التى خصصت لها ، ثم توقف رجال منهم وبدأوا عمل الفحص الذى لا بدَّ منهُ ، عن جذوة كامنة قد تعيد النار إلى الاستعار . أما فصيلة الجهة الغربية فقد أخمدت نارها بالماء النفاذ فى ساعة أو أقلّ ، ولم يكن بها حاجة إلى الفحص أو إلى رقابة المنطقة طوال الليل » .

وقد يسهل عليك أن تظفر بإقبال رجال المطافىء ساعة تكون النار مستعرة وألسنتها متضرّمة ، ولكن إذا طلبت منهم أن يتولوا الأعمال المضنية فى حفر الخنادق لحصر نطاق النار ، أو فى البحث عن جذوة كامنة فى طبقات من النبات المتحلل ، أو أن يحملوا على ظهورهم آنية من الماء ويظلوا طوال الليل يروحون ويجيئون فى الغابات المظلمة حتى لا يتيحوا لجذوة كامنة أن تتأجج — فساعتئذٍ تراهم يؤثرون أن ينصرفوا عن كفاح النار إلى مضاجعهم .

وقد صنعت الموادُّ الكيميائية التى تزيد قدرة الماء على النفاذ والبَلّ ، لينتفع بها أولا فى تبييض المنسوجات فى مصانع الغزل والنسج ، أو فى زيادة قدرة الأصباغ على النفاذ من خلال المنسوجات نفاذاً تامًّا متساوياً . وتجد الآن مئات من المركبات تباع فى السوق ، وليست كلها مما يصلح لكفاح النيران ، ولكنهم وجدوا ثلاثين

مادة أو نحوها خليقــة أن تكون صالحة لذلك . وقد كانت الشركة الأمريكية الأولى التى حصرت همها فى إعــداد مادة تصلح لكفاح النار هى شركة آرنولد وهوفمان فصنعت مادة « درنش » ، وبدأت تبيعها فى شهر نوفمبر الماضى . وهى تبيعها فى فناطيس يحتوى كل منها على ٥٥ جالوناً، وسعر الجالون ريالان ونصف ريال . فإذا مازاد المصنوع من هذه المادة هبط السعر .

وكفاح نار كبيرة مستعرة يحتـاج إلى مقدار كبير من الماء ينطلق انطلاقاً قوياً ، ولكن الماء النفاذ والخراطيم القصيرة كافية للقضاء على معظم الحرائق . فإذا أردت أن تكافح ناراً كالنار المشبوبة الضرام فى الخشب، وجب أن يكون مقدار المادة الكيميائية فى الماء واحـداً فى المئة . أما نيران الزيوت الطيارة التى تشتعل فوق درجة ٣٧ أو ٣٨ من الحرارة كالجاز الأبيض وزيوت الوقود، فينبغى أن يكون مقدار المـادة الكيميائية فى الماء ٢ فى المئة، حتى تظفر بأحسن النتائج، بيد أن رجال المطافىء ظفروا بنتائج لا بأس حين كان المقدار أقل من ٢ فى المئة . وأما نار البنزين وغيره مما يشتعل على درجات قليلة من الحرارة، فلا يجدى فى كفاحها الماء النفاذ جدوى تبعث على الرضى .

وليس فى وسع إناء من المعـدن مطلى بالكهرباء أن يقاوم تأثير المادة الكيميائية شهوراً كثيرة ، فينبغى أن تضاف المـادة الكيميائية إلى الماء قبيل استعماله ، فإذا كان الوعاء من الصلب لم يتأثر بالمادة الكيميائية أكثر مما يتأثر بالماء العادى ، على شريطـة أن تضاف إليه مادة مانعة من الصدأ .

ولعل مدينة بروفيدنس فى ولاية رود أيلند هى أول مدينة انتفعت بالماء النفاذ فى فرق المطافىء . وولاية ماساشوستس تنتفع به فى دوريات قسم الغابات . أما فرق المطافىء فى المصانع والمتاجر التى بليت منذ زمن طويل بخطر النار فى بالات القطن وأكوام الفحم التى تشتعل أحياناً من تلقاء نفسها ، فتراها قد ازدادت إقبالا على هذا الماء . فهذه الحرائق وما كان من قبيلها من الحرائق المألوفة فى البيوت والمخازن والغابات ، خليقة أن تعنو للماء النفاذ ، فيوفر ذلك على الناس ملايين من الريالات تذهب طعمة للنار أو يهلكها ضرر البلل من الماء المتدفق .

سئل فيلسوف عن المرأة فقال : حربٌ لا هدنة فيها

رسالة من حبيب



أجنس روزري
مؤلفة "المسكن الملائم" و"جولة في بلاد الشمال"

جاءنا من بلدة رشمند بولاية فرجينيا الأمريكية كهربائي يتولى تركيب بعض الأسلاك في بيتنا ، فأخذ يعمل بحذق وسرعة ، وكان في نحو الثلاثين من العمر ، قوى البنية ، رشيق الحركة مهيب الهيئة ، فكان لذلك وقع في نفسي . كان يوشك أن يحمل أداته ويخرج ، فإذا به يقف إلى جانب البيان وينظر إلى مجموعة من مجلات الموسيقى .

وعندئذ دخل زوجي الغرفة ، وأومأ برأسه إلى الرجل ، ثم قال له بما فطر عليه من حسن التودد : « أمولع أنت بالموسيقى ؟ »

فأجاب مقتضباً : « كنت بها مولعاً » ، وكان في إنجليزيته لكنة طفيفة ، وفي صوته جهارة مستملحة .

فقال زوجي : « خذها فقد قرأناها جميعاً » .

قال الرجل : « شكراً » .

فسأله زوجي : « من أية بلاد جئت ؟ »

قال الرجل : « من كرفلنج بالدنمرك . وكان لوالدي جوهانز جاكوبسن مصنع صغير فيها يصنع أدوات الكهرباء » .

فقلت متعجبة : « الدنمرك ! لقد عزمنا على أن نقوم برحلة إلى الدنمرك في الشهر القادم » .

فشحب وجهُ الرجل وانطلق يقول : « لم أعد أعرف شيئاً عن الدنمرك » ، ثم ولى خارجاً . فلما بلغ الباب وقف والتفت إلينا وقال بلهفة : « إذا دخلتما بلدة كرفلنج فأسألكما بالله أن لا تخبرا أبوىّ أو أحداً سواهما أنكما قد رأيتماني » .

ونزلنا أرض الدنمرك . فكان يصحبنا على عادة أهلها أحد أعضاء جماعة السياحة ليطوف بنا في كل مدينة ننزلها . وكان هؤلاء الأدلاء ، رجالا ونساء ، ممن يتكلمون لغات مختلفة ، ويتعهدون كل غريب ينزل بلدتهم . فلما دخلنا كرفلنج كان دليلنا أحد المدرسين ، وكان رجلا ثرثار اللسان ، فسره أن يجد فرصة لتمرين لسانه على الإنجليزية . فلما خرج معنا وبلغنا شارع البلدة مررنا بمصنع صغير مكتوب عليه « جوهانز جاكوبسن ، أدوات كهرباء » فخطر ببالي وبال زوجي ذكر الفتى الكهربائي في وقت واحد تقريباً ،

فسألنا دليلنا عن المصنع ومقدار نجاحه ، كأن سؤالنا سؤال عارض .

فقال : « نعم ، ولكن إدارة المصنع قد آلت إلى غير أصحابه ، فقد مات جوهانز وماتت زوجته أيضاً ، وكان لهما ولد يقال له سفند ، رحل إلى أمريكا . وقد كانا إلى آخر ساعة من حياتهما يؤملان أن يعود ويتولى العمل بعدهما ، ولكنه لم يعد قط » .

فقال زوجي : « وماذا يفعل ولدهما في أمريكا ؟ » فبدأ دليلنا يذكر لنا أن سفند كان فتى جميل الصوت ، وكان يطمح إلى أن يصير مغنيا عظيما ، فلما فرغ من تعلم صناعة الكهرباء في مصنع أبيه ، أرسله أبوه إلى كوبنهاجن وباريس ليدرس الموسيقى . ثم رحل الفتى إلى نيويورك وهو على ثقة من أنه لن تمضى سنة حتى يقف مغنياً في دار الأوبرا العظيمة في نيويورك .

قال زوجي : « أوَكان ذلك ؟ »

فقال الأستاذ : « كلا ، ولما انقضت السنة الأولى لم يسمع أبواه بعدئذ عنه شيئاً ، وكانت رسائلهما إليه تردّ إليهما وكان ذلك منذ عشر سنوات خلت » .

قال زوجي : « أولا تعلمون ماذا أصابه ؟ »

فقال الأستاذ : « أنا أعلم ولا ريب . فأنا أعرف سفند حق المعرفة ، وقد توليت تعليمه عدة سنوات . ورأيي أنه أخفق في أن يصير مغنياً محترفاً فاستحى أن يعترف بما أصابه . إنه فتى ظريف ولكنه شديد الكبرياء . وكانت له خطيبته اسمها كارن أولسن ، وكانت تعيش مع أبويه وترعاهما كأنها ابنتهما ، فلما ماتا رحلت إلى السويد ، ومن يومئذ ماتت عنا أخبارها . وعلى ذكر ذلك أقول إن زوجتي لمحتها أمس في كوبنهاجن ، وقالت إنها لا تزال جميلة كما كانت . ولقد كان لها أجمل شعر ذهبي وقعت عليه عين » .

قال زوجي : « أو لا تزال في السويد ؟ »

قال الأستاذ : « ماندرى ، فإن زوجتي لمحتها وهي في السيارة ولم يتح لها أن تبادلها الحديث ، ولعلها جاءت إلى كوبنهاجن لتشهد يوم العيد ، ولعلها لا تزال تترقب عودة سفند . وارحمتاه لها من فتاة جميلة ! »

فبادرت أنا وزجي وكتبنا إلى سفند جاكوبسن رسالة بذلنا أقصى الجهد في تحريرها ، وأكدنا له أننا لم نذكر لأحد أننا لقيناه ، وأننا إنما كتبنا له لظننا أنه يحب أن يعلم ما أنبأنا به الأستاذ .

وظللنا شهراً نطوف في الدنمرك ، واستغرقنا ذلك حتى نسينا هذه الحادثة . وفي الرابع من شهر يوليه شهدنا احتفالا سنوياً ضم أكثر من ٣٠,٠٠٠ نسمة في أكبر حدائق جتلند ، وفي أرض مساحتها نحو ٧٠٠ فدان اشتراها الأمريكيون الذين

ولدوا فى الدنمرك وأهدوها لمسقط رأسهم . فمنذ كانت سنة ١٩١١ وهـذه البقعة هى المكان الوحيد فى خارج الولايات المتحدة الذى يحتفل فيه باستقلال أمريكا فى ميعاده من كل سنة .

وكان دليلنا يومئذ امرأة شابة تتفجر نشاطاً ، فأنبأتنا أنه سوف تعزف الموسيقى وتلقى بعض الخطب ، وأنها حجزت لنا مقاعد قريبة من المنصة ، فلما بلغنا المكان رأينا هناك حشداً من علية القوم وعظمائهم .

وقام رئيس مجلس إدارة الحديقة وألقى كلمة رحب فيها بالحاضرين، ثم بدأت الموسيقى تعزف فانطلقت معها أصوات ٣٠٠٠٠ نسمة تنشد نشيداً واحداً . وبعد أن سمعنا شيئاً من الموسيقى والخطب ، قام رجل فاحتل مكانه عنـــد مكبر الصوت وبدأ يذيع .

همست رفيقتنا تقول : « سوف يذيع رسائل من أمريكا ، فإن آلافاً من أهل الدنمرك يفدون على هذه البلدة عند الرابع من شهر يوليو كل سـنة ليتسقّطوا ذكراً من أهلهم وأصحابهم النائين » .

ثم دوّى صـوت المذيع ينادى الناس بأسمائهم ، ثم يتـلو عليهم رسـائل أهلهم وأصدقائهم من وراء المحيط ، أو يعلن حضور وافدٍ من أمريكا يريد أن يلقى من ذوى رحمه من تقطعت بينه وبينهم الأسباب منذ زمان طويل ، فكان ذلك كله مما يحرك النفوس .

ثم قالت رفيقتنا : « يشهد هـذا اليوم فى كل سنة رجالٌ ونساءٌ يرجون أن يلقوا بعض أحبابهم القـدماء ، أو أن يتسقطوا خبراً من أخبار ناس لم يروهم منـذ زمان طويل . وأعرف شيخاً ظل حريصـاً على شهود هذا اليوم اثنتى عشرة سنة عسى أن يسمع شيئاً عن مكان ابنته فى أمريكا . فلما كانت السنة المـاضية رأيته بعد الاحتفال يحادث سيدة رأت ابنته وأنبأته بعنوانها » .

ثم قالت بعد قليل : « انظروا إلى تلك السيدة الأنيقـة الجميلة ذات الشعر الذهبى المعقوص ، فإنها لم تزل منـذ تسع سنوات تأتى فتجلس فى مكانها هذا ، فمن الواضح أنها ترقب رسالة » .

وفى تلك اللحظة ، رنّ فى أذنى اسم مألوف : « سفند جاكوبسن من رشمند ، موجود بيننا ، ويريد أن يعرف خـبراً عن فتاة اسمها كارن أولسن من كرفلنج » .

وخفق قلبى حتى بلغ حنجرتى ، فالتفت إلى الفتاة ذات الشعر الذهبى ، فرأيتها تهب واقفة فى مكانها — ثم تقعد ثانية . ففى وسع كارن أولسن أن تنتظر دقائق حتى ينفضّ الجمـع ، فانتظار بضع دقائق ليس شيئاً مذكوراً عند من بقى منتظراً عشر سنوات .

جاهد شارل بيان الخطر والمرض ، وكافح جمود الحكومة وفسادها ، ثم انتصر حيث أخفق مئات غيره

هذا رجل قهر جزيرة الشيطان

كلارنس و. هول
مختصرة من صحيفة "كريستيان هرالد"



لقد انصرم نحو قرن من الزمن حتى جاء اليوم الذى انمحى فيه كل ما كان يجرى فى جزيرة الشيطان ، وهى مستعمرة للمجرمين أقامها الفرنسيون ، فكان لها أسوأ ذكر بين الناس . والرجل الذى وقع عليه اختيار الحكومة الفرنسية للقضاء على هذا الجحيم الذى هلك فيه منذ سنة ١٨٥٢ سبعون ألفاً أو يزيدون ، ليس من رجال الحكومة أو من خبراء الإجرام ، بل هو ضابط لطيف العشر من ضباط جيش الخلاص يدعى شارل بيان .

ينطوى هذا الاختيار على قصة رائعة قوامها جهاد دام ثمانية عشرة عاماً ولم يفتر فى سبيل النازلين بجزيرة الشيطان ، يؤيده إيمان لا يتزعزع بأن الدين يكفل التسامى بحياة البشر من أدنى الدركات ـ وإذا القصة تنتهى بانتصار هذا المجاهد .

فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، كان شارل بيان طالباً فى جامعة باريس ، فرأى مايصنعهُ جيش الخلاص لمعونة البائسين من الناس . وكان شعارهُ : « قد يعثر المرء ، ولكن لاتقنط من إقالة عثرته » ، فأذكى ذلك خيال بيان ، فانقلب من دراسة علوم الاجتماع إلى دراسة الدين ونال إجازته ، فتطوّع لخدمة ذلك الجيش .

وكان بيان يعمل فى حيّ مونمارتر بباريس ، يوم أخذت صحيفة تنشر سلسلة من المقالات عن الأحوال فى مستعمرة المجرمين فى غانة الفرنسية فأثار ما كشفته الصحيفة سخط الناس ، فجعلوا يطالبون بالإصلاح ـ ولكن سرعان ما خمدت هذه الثورة كما خمد غيرها من قبل .

ولكن نارها لم تخمد فى صدر شارل بيان فقد هزهُ ما قرأ وأثار غضبهُ ، فجعل ينقب فى خزائن الكتب عما كتب عن هذه المستعمرة ، فألفى نفسه توّاقاً إلى بذل العون لهؤلاء « الذى لا يجدى فيهم إصلاح » . وكان قد وقف نفسه على تحقيق المبدأ الذى

بقول بأنه فى وسعك أن ترفع الذين هبطوا إلى أدنى الدركات ، فلم لا يطبق هذا المبدأ على منبوذى جزيرة الشيطان ؟

سخر منه خبراء الإجرام ، وأطلعوه على سجلّ فيه خبر مئة محاولة بذلت لإصلاح الحال فى غانة الفرنسية ، وكيف انتهت جميعها إلى الإخفاق . ولكن بيان كان رجلا عنيداً ، فقال : « ربما كان ما تقولونه صحيحاً كله ، بيد أنني أريد أن أرى بعينيّ » . فألحّ على أهل السلطة حتى ضاقوا به ، فأعطوه تفويضاً مطلقاً بأن يبحث ما شاء ، ثم قالوا : « سوف ترى » ونسوا أمره .



وقد رأى بعينيه ! ظل يجوب أرجاء المستعمرة ثلاثة أشهر ، وقد أراد رجالها أن يذهبوا به حيث يريدون له أن يذهب ، فأبى إلا أن يمضى حيث يشاء ، فعاش مع المساجين وحادثهم ، وعرف كيف يحيون وكيف يموتون . وذهب إلى معسكرات العمل فى الأدغال الحارّة الرطبة ، فرأى الرجال الذين جيء بهم منذ عهد قريب من إقليم أوربة المعتدل ، يعملون عراةً وهم يتضورون جوعاً فى بطائح تعجّ بالبعوض والحيات ، حيث تأخذ الحمى والدوسنطاريا كل واحد منهم تقريباً فى آخر الأمر .

وقضى ليالى كثيرة فى مبانٍ يعيش فى كل مبنى منها ثلاثون أو أربعون من المجرمين ، كل منهم فى حجرة ضيقة خانقة ، وزار ثكنات التأديب حيث جن جنون الرجال بعد أن حبسوا على انفراد شهوراً متوالية ؛ وتبين أن ما يرسل من فرنسا كل سنة يبلغ ألف سجين أو أكثر ، فبعد خمس سنوات أو نحوها لا يبقى منهم حياً سوى عُشْرهم .

أما الذين أفرج عنهم ، وعدتهم ٢٥٠٠ ، فقد كانوا فى نظر بيان أشقى الناس طرًّا وأحقهم بالمرثية . فقد قضى هؤلاء الرجال فى غياهب السجن طول المدة التى حكم بها عليهم ، إلا أنه كان مفروضاً عليهم ، بحكم القانون الفرنسى الجائر ، أن يظلوا فى المستعمرة مدة أخرى تعادل مدة سجنهم إذا كانت أقلّ من ثمانى سنوات أو أن يبقوا فيها ما عاشوا ، إذا كانت مدة العقوبة أكثر من ثمانى سنوات . ثم كان عليهم أن يدبروا المال لرحلة العودة إلى وطنهم . ولما كان من المستحيل على الرجل هناك أن يكسب أكثر من بضعة فرنكات ، فقد كان الحكم بالسجن فى جزيرة الشيطان حكماً مؤبّداً .

هؤلاء الذين أفرج عنهم ، كانوا يظفرون بالمأوى والمأكل والملبس يوم كانوا في السجن ، فصاروا بعد الإفراج يهيمون على وجوههم في مدينتي سان لوران وكايين الزريّتين ، فتراهم في أسمال بالية ووجوه هزيلة ، لم تحلق ذقونهم ولا قصّ شعرهم منذ أسابيع ، وهم يتلمسون فتات الطعام ليأكلوا . وقد كان القول الشائع بينهم : « تبدأ مدة عقوبتك ساعةَ تسترد حريتك » .

وقد حاول كل منهم تقريباً أن يفرّ ، فنجا بعضهم من المستعمرة ، ولكن فئة قليلة من هؤلاء الفارّين بلغت ما أرادت ، أما البقية فقد قضت عليها قروش البحر أو غوائل الرمال المتحركة أو الجوع في الأدغال .

ولم يجد بيان في المستعمرة كلها من يستطيع أن يحمل رسالة الدين المواسية إلى نفوس هؤلاء الرجال وهم أحوج ما يكونون إليها .

وتبين أيضاً أن رجال الحكومة لا يعبأون بالإصلاح شيئاً . وقد سئل البرنس نابليون يوم أنشأ المستعمرة في سنة ١٨٥٢ : « ترى من يتولى حراسة هؤلاء المجرمين ؟ » فرد على وزيره : « رجال أشد إجراماً منهم » ، فصار ذلك هو القاعدة المتبعة على الأيام . وقد ذهب إلى غانة الفرنسية حكامٌ كثرٌ ليقضي كلٌّ منهم فيها سنتين ، وكان منهم رجال حسنت نيتهم وعظم رجاؤهم ، فحملوا معهم مشروعات ضخمة للإصلاح . بيد أنَّ رجال الإدارة الدائمة هناك أحبطوا أعمالهم قبل أن يبدأوا ، فكانوا يلفّقون تهماً توجه إليهم حتى تستدعيهم الحكومة فتوصم حياتهم السياسية بالعار ، أو كانوا يقضون على خططهم بالمماطلة والإرجاء ، وهم واثقون أن كل حاكم سينقل في بحر سنتين . وأما سلطانهم هم وفساد حكمهم فماضٍ إلى ما شاء الله .

وقد استشاط بيان غضباً بعد أن رأى ما رأى ، فذهب إلى حاكم المستعمرة وزأر في وجهه كالعاصفة : « من العار في القرن العشرين أن يكون لفرنسا أربعمئة موظف يعملون عملاً ليس له سوى نتيجة واحدة : هي الفتك بستة آلاف رجل ، بأن يفسدو أخلاقهم وأبدانهم معاً » .

فزفر الحاكم زفرة حسرةٍ وقال : « إنني أوافقك يا كبتن ، ولكن ماجدوى الموافقة ! فهذه جهنم مصغرة لا يسع أحداً أن يطفىء سعيرها » .

فقال بيان : « سوف نرى يا صاحب السعادة » .

وعاد بيان إلى فرنسا ، تستعر بين جوانحه نار السخط ، وبين ضلوعه نار حمّى أصيب بها في تلك المنطقة الاستوائية ، فظل طريح الفراش سنة ونصف سنةٍ . وكان

إذا ما ركبه الهذيان فى الليل ، تتراءى له تلك الوجوه المزيلة التى مات فيها الرجاء ، وجوه المساجين الذين أفرج عنهم . وأخيراً نفض عنه المرض ونهض مترنحاً من فراشه يشن حرباً لاتهدأ ، فرسم خطة ذات شعبتين : أما الأولى فغرضها القضاء على المستعمرة بعد زمن ، وأما الثانية فإصلاح اجتماعى خلقى شمل المساجين والذين أفرج عنهم جميعاً . فكتب المقالات وخطب فى اجتماعات لاتحصى عقدت فى أرجاء فرنسا ، وجعل يلح على أعضاء مجلسى النواب والشيوخ ، وحرص على أن يبقى ذكر « جزيرة الشيطان » ذكراً يتقد ويتلظى فى أذهان رجال الحكومة.

وقد ظل بيان ثلاث سنوات ونصف سنة يجاهد حتى ظفر بتأييد وزارة العدل ، ثم أبحر فى سنة ١٩٣٣ عائداً إلى غانة الفرنسية ومعه ثلاثة ضباط من إخوانه وزملائه . فلم يحتف به رجال المستعمرة عند وصوله ، ولكنه تمكن بشىء من التملق أن يظفر ببناء مهجور ، واختار من المساجين الذين أفرج عنهم عمالا لترميمه ، وآخرين ليتولوا الطبخ والخدمة فى حجرة الطعام وغرف النوم . وكان أحد هؤلاء مصوراً فناناً قد ذبح خليلته فرسم لافتة وكتب عليها : « بيت الأمل » .

غير أن افتتاح الملجأ كان غير موفق ، فقد أعد بيان عدته ليفتتحه بمأدبة لكل قادم ، فلما أزف موعد الطعام تبين أن الطهاة والندل قد وجدوا بعض النبيذ فذهبوا يستمتعون به . فتميز بيان وزملاؤه الضباط غضباً ، ولكنهم خلعوا ملابسهم الرسمية وجعلوا يقدمون الطعام بأيديهم لألفين من الضيوف الجياع ، أما رجال الحكومة فكانوا يبتسمون ابتسام السخرية . وفى تلك الليلة عاد بعض « الضيوف » وسرقوا أدوات المائدة ومعظم الطعام ، وأدوات الورشة ، بل سرقوا أيضاً حبل سارية العلم !

فلم يثن ذلك من عزم بيان وزملائه ، فأعادوا الكرة ، فمر شهر حتى تمكنوا من تعويض الأدوات المسروقة ، وإعداد المطعم للعمل . ثم عملوا أعمالا أخرى ، ففتحوا داراً للذين أفرج عنهم فى كايين ، وأنشأوا مزرعة فى الأدغال لزرع الخضر وتربية المواشى فتتخذ منتجاتها للمطاعم ، وفتحوا دكاكين للتجارة تصنع أثاث الملاجىء ، وتحفر من الخشب تحفاً تباع فى الخارج . واستعان بيان بفئة قليلة من الذين أفرج عنهم ، فكشف رقعة فى الغابة الملتفة وجعلها مزرعة للموز ، فإذا هى تتيح عملا للرجال ومورد كسب للملاجىء . وكان شعار بيان : « العمل متاح لكل رجل يريد أن يكسب رزقه » ، وقد وجد بين هؤلاء الرجال

المستهترين العتاة عـدداً من العمال يكفى لمواصلة عمله .

وقد بلغت المشاق التى عاناها أعظم مبلغ ، فتجار المستعمرة الذين يشترون الأدوات المسروقة ، والباعة المتجولون الذين يبيعون ضرباً رخيصاً من الخمر ، والنساء ، وحراس السجن المرتشون — جميع هؤلاء رأوا فى عمل بيان وصحبه خطراً يقضى على الفساد الذى يعيشون به . وإذا رسائل التهـديد تتوالى على الجماعة ، تنصحهم بأن يغادروا المستعمرة — وإلا فويل لهم . وقد دبرت لهم المكايد لوصم شرفهم، وترصّدهم الأعداء ليلا ليعتدوا عليهم ، وأصيب مساعد بيان مرة بلكمة كسرت فكه ، وأهمل رجال القضاء ورجال الشرطة أن يحيطوهم بالحماية الكافية ، وتواطأ بعض هؤلاء مع المجرمين المسجونين وبعض الذين أفرج عنهم لينقذوا المستعمرة من هؤلاء المصلحين ومن أحلامهم!

وكان بين ضباط المستعمرة جماعة تضمر المودّة لبيان ولكنهم كانوا يهزون رؤوسهم سخرية من أساليب بيان فى تعزيز ثقة المجرمين به وبأنفسهم ، فقد ولّى بيان أحد المختلسين على الحسابات ، وجعل رجلا كان قد سمّم زوجتـه طاهياً لأحد الملاجىء ، وأقام آخر قد حكم عليه بجريمة الاغتصاب حارساً على بيت ضابط يوم غاب الضابط ولم يبق فى البيت سوى زوجته — ولكنّ المساجين الذين أفرج عنهم وجدوا فى ثقة بيان بهم حافزاً خلقيًّا قويًّا .

وقد صارت الحقول والمزارع على الزمن توفى نفقاتها ، وكذلك الورش والملاجىء . وقد جمع بيان مالا من التحف التى تباع ، ومن الكتب التى كتبها عن الحياة فى هذه المستعمرة ، فعزم أن ينفقه فى تنفيذ مشروع طالما تاقت إليه نفسه — أن يعيد الذين أفرج عنهم إلى وطنهم بعد أن قضوا فى المستعمرة مدة تعدل مدة سجنهم .

ولم يقتصر غرض بيان على أن يعيدهم إلى وطنهم ، بل أن يردهم إلى الخلق القويم عسى أن يصيروا مواطنين نافعين . وكان الطلقاء القلائل الذين عادوا إلى فرنسا قد ساروا سيرة فاسدة ، فطباعهم التى ازدادت فساداً بعد إقامة طويلة فى جزيرة الشيطان ، لم تلبث أن ردّتهم إلى الإجرام .

وقد أطلق بيان على خطته الجديدة اسم « الخطة الجديدة » فإذا ما جاء رجل من الطلقاء يطلب عملا ، بينوا له أنهم يوفرون له المأوى والمأكل مقابل عمله ، ويعطونه فرنكين كل يوم . وفى نهاية كل شهر يعطونه قسيمة بأربعين فرنكا . وفى وسعه أن يصرف القسيمة نقداً ، ولكنه إذا جمع عشرين قسيمة ، وقيمتها ٨٠٠ فرنك ،

استطاع أن يأخذ فى مقابلها تذكرة سفر إلى فرنسا ثمنها ١٦٠٠ فرنك . فإذا ما نزل إلى البرّ فى فرنسا لقيهُ أصدقاء بيان فيبذلون له العون ليسير سيرة جديدة .

فالرجال الذين كانوا لا يفكرون ولا يحلمون إلا فى الفرار من جزيرة الشيطان وجدوا فى هذا المشروع حافزاً قويًّا . فلم تكد تنقضى سنتان على هذا المشروع حتى أبحر الفريق الأول إلى فرنسا . وأبحر بيان معهم ، وكان لا ينى عن تذكيرهم فيقول : « إن مستقبل زملائكم فى غانة ومستقبل المستعمرة كلها ، أمانة فى ذمتكم » . وجاء الصحفيون يستقبلون السفينة ، وهبّت الصحف فى اليوم التالى إلى نشر مقالات تنبأت فيها بأن موجة من الإجرام سوف تكتسح فرنسا ، ولكن الإجرام لم يكتسح فرنسا – لا حينئذ ولا فيما بعد . فقد صار أصحاب بيان رجالا من ذوى الأخلاق القويمة . وما وافت سنة ١٩٣٩ حتى كان قد أعاد إلى فرنسا ٨٠٤ من المجرمين – فلم يرتكب منهم إثماً سوى ثلاثة من الطلقاء .

وأما بيان فوزّع وقته بين غانة وفرنسا مجاهداً فى سبيل إلغاء المستعمرة ، وحقق ما قال علماء الإجرام إنه مستحيل ، ولم يكن ما أنجزه قاصراً على بضعة أفراد بل شمل جماعات كبيرة من أعتى المجرمين . فلما عينت لجنة لوضع مشروع قانون بإلغاء المستعمرة ، كان هو العضو الوحيد فيها من غير رجال الحكومة .

وفى سنة ١٩٣٨ وقع رئيس الجمهورية الفرنسية مرسوماً يمنع الحكم على المجرمين بالسجن فى جزيرة الشيطان ، وأحل محله الحبس فى أحد السجون فى فرنسا . أما المجرمون الذين فى غانة فينبغى أن يوفوا فيها مدة سجنهم ثم يباح لهم أن يغادروها . وكان الرأى أن تخلى هذه المستعمرة رويداً رويداً من نزّالها فى بحر عشر سنوات .

وقد حالت الحرب بين بيان وبين إتمام عمله ، فقد كان فى فرنسا يوم غزاها الألمان فلم يستطع أن يبرحها ، ولكن حكومة الجنرال ديجول أخذت وهى فى المنفى تنفذ آراءه دون أن يعلم . وفى مستهل سنة ١٩٤٦ صدر الأمر الرسمى بإلغاء المستعمرة .

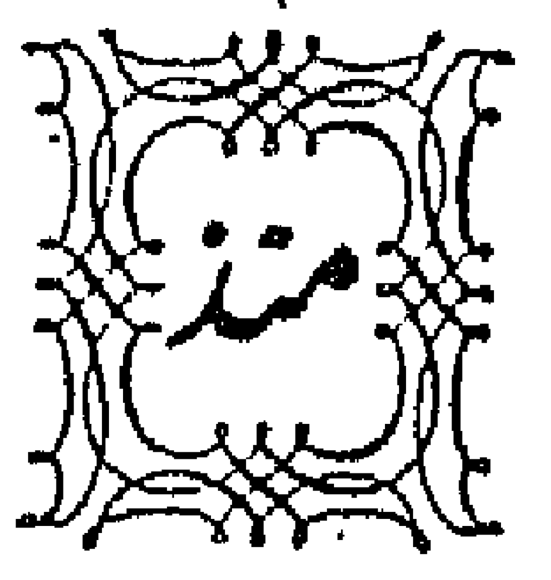
وقد أجمعت الحكومة على اختيار بيان للقيام بهذه المهمة . وقد وصف بيان هذا الأمر بأنه « أحب أمر صدر إلىّ » . فأبحر ووصل إلى سان لوران . وما كان أحد يدرى أنه آتٍ ولكن نبأ وصوله انتشر انتشار النار فى الهشيم . وإذا المجرمون والطلقاء جميعاً يقبلون من جميع الأرجاء على سان لوران لينثروا الأزهار فى طريقه ، وليستقبلوه كأنه بطل فاتح .

استفتاء يدل على أن فرص النجاح تزداد ازدياداً مطرداً .

ثقـــة بالمســــتقبــل

ولتر ليبمان

مختصرة من صحيفة "نيويورك هرالد تريبيون"



منذ عهد قريب أعد الباحث إلمر روبر استفتاء لمجلة فورتشن، فوجه فيه السؤالين التاليين : الأول ، هل فرص النجاح اليوم أكثر مما كانت فى زمن أبيك ، أو هى تساويها ، أو هى أقل منها ؟ الثانى : أتظن أن فرص نجاح ابنك أكثر من فرص نجاحك أنت ، أم هى تساويها ، أم هى أقل منها ؟

فإذا نظرنا فى كثرة ما يقال عن صراع الآراء فى عصر الثورات ، كانت النتائج التى أسفر عنها استفتاء روبر شيئاً عجيباً . فقد كان رأى سبعين فى المئة من الرجال أن فرص نجاحهم أكثر من فرص النجاح فى زمن آبائهم . وقد كان رأى ستين فى المئة أو أكثر قليلا أن فرص نجاح أبنائهم أكثر من فرص النجاح المتاحة لهم . وكان رأى ١٣ فى المئة أو أقل أن الفرص المتاحة لنجاحهم أقل من الفرص المتاحة لآبائهم ، وأن الفرص لنجاح أبنائهم سوف تكون أقل من الفرص المتاحة لهم.

والرجال الذين تتفاوت أعمارهم بين السابعة عشرة والخامسة والعشرين ، أعظم تفاؤلا من الذين فى الأربعين . والذين أقبلت عليهم الدنيا أعظم تفاؤلا من الفقراء. ولكن الفقراء أنفسهم يرون أن الفرص المتاحة لنجاحهم أعظم من الفرص التى كانت متاحة لآبائهم ، وكان ذلك رأى ٦١ فى المئة من الفقراء . ومما يدل دلالة عظيمة هو أن الزنوج متفائلون ، فثمانية وستون فى المئة يرون أن فرص نجاحهم أعظم من فرص آبائهم ، وخمسة فى المئة منهم وحسب ، يرون أن الفرص المتاحة لأبنائهم سوف تكون أقل من الفرص المتاحة لهم . وأما الذين يرون أن فرص النجاح لأبنائهم سوف تكون أكثر من فرص نجاحهم هم ، فبلغوا ٧٥ فى المئة .

فليس فى نتيجة هذا الاستفتاء دليل ما على أن المجتمع الأمريكى أخذ فى الجمود والتحجر والانقسام إلى طبقات ثابتة ، بل تجد فى هذه الأرقام دليلا على أن المجتمع الأمريكى آخذ فى الاتساع ، وأن الارتقاء من الحضيض إلى القمة ، هو فى رأى سواد الناس ، اتجاه حرٌّ

ماض على سننه . وهذه الأرقام تناقض القول بأن المجتمع الأمريكى سائر قدما على النهج التاريخى المألوف ، وهو قيام جماعة فيها أقلية تنيلها الوراثة أسباب المتعة والامتياز ، وأكثرية كتب عليها الحرمان الدائم .

وهذه الأرقام تلقى ضوءاً كاشفاً على مشكلة الثورة الاجتماعية . ورأيى أن الصفة التى تميز الثورات الاجتماعية ، ليست فلسفة الثورة ولا برنامج الثائرين ، بل هى قيام رجال يغلب أن يكونوا أدنى إلى الشباب ، فيقبضون على زمام السلطان والنفوذ . وما يتبدى فى أعمال الحكومات التى قامت على أثر الثورة من نشاط زاخر زمناً ما ، يرجع على الأكثر إلى أنها تخرج على قاعدة « السن » و « الأقدمية » فى اختيار من تختارهم لتقلد زمام السطان والنفوذ .

وعندى أن أرقام المستر روبر تسوّغ لنا أن نقول إن التقدم من الحضيض إلى القمة فى النظام الاجتماعى الأمريكى ، قد بلغ من الحرية مبلغاً يحملنى على الاعتقاد بأن الأمة الأمريكية تعيش فى ثورة دائمة. وأنت ترى مظاهر العنف فى الثورة حيث تقوم الحوائل دون هذا التقدم المطرد ، فلا تجد شيئاً سوى الانفجار يقضى على تلك الحوائل ويعيد التقدم إلى سيرته الطبيعية . وما دام الناس فى أمة ما لا يعتقدون أن هناك قوة تلزمهم الحضيض ، فتلك الأمة تجنى أهم ثمار الثورات — تجديد نشاطها بارتقاء رجال جدد إلى المقامات العالية ، دون زلزلة النظام الاجتماعى الذى يصحب الثورات العنيفة .

ويكاد يكون هذا هو السبب فى أن الأمريكيين أشد الشعوب محافظة على منشآتهم الاجتماعية ، فهم لا يجدون فى حياتهم ذلك الحافز الذى يدفع الناس إلى تبديل منشآتهم ، وهو إيصاد باب فرص التقدم عن سواد الناس . ففى أمريكا ترى معظم الناس لا يعتقدون أن هذا الباب موصد فى وجوههم .

ومن عواقب هذا الرأى أن الأمريكيين يتحرجون من تبديل منشآت أبلاها القدم كنظام الكونجرس وصلته بالرئيس . فهم يتحملون نظاما للحكم وإن ساء ، إلا فى زمن الحرب وحين تنزل به ضائقة اقتصادية ، لأنهم لا يبنون آمالهم فى الحياة على ما تصنعه الحكومة.

ومن عواقبه أيضاً ، أن الأمة على تفاؤلها ليست أمة مستقرة . فالأمريكيون لم يدركوا من السعادة كل ما يتوقون إليه ، فهذا الارتقاء من الحضيض إلى القمة يقتضيهم أن يطابقوا بين أنفسهم وبين أساليب جديدة فى الحياة ، فيجعلهم جهد هذه المطابقة أهل قلق واضطراب وشك ومخافة ، فهذه حالة لا تنشىء فيهم شعور الرضى عن النفس ، الذى هو حليف الجمود .

"الدم هو الحياة"

بول دى كروف

الأمثل العلماء إلى فيتامين جديد يقوّى الدم هو الحمض الفوليك، وتتبدّى فيه قدرة على إبراء طائفة مختلفة من ضروب فقر الدم الخبيث المخوف الذى ظل يفتك بكل من يصاب به، حتى أتيح للأطباء أن يعالجوه بخلاصة الكبد. والحمض الفوليك يقوى دم الحوامل الذى بلغ مبلغاً خطراً من الرقة، ويردّ النشاط ردًّا سريعاً على المصابين بالضعف من فقر الدم وقلة الغذاء، ويفتح باب الأمل فى إنقاذ حياة عدد لا يحصى من ضحايا مرض القُلاع، وهو نكبة من النكبات الكبيرة، فى البلاد الحارة، ويكبح جماح فقر الدم الذى ينسلّ فى الجسم مع الشيخوخة.

> الحمض الفوليك هو فيتامين جديد يقوى الدم ويفتح باب الأمل لملايين من الناس نهكتهم ضروب معينة من فقر الدم

هذا الفيتامين هو أحدث ماعرف من فيتامينات (ب) وهو موجود فى كثير من موادّ الطعام، ولكن الطبخ يقضى عليه قضاء حثيثاً، ومع ذلك فلا غنى للجسم عن قدر معين من الحمض الفوليك، وإلا هلك.

وقد بدأ البحث الذى انتهى إلى كشف هذا الفيتامين منذ ٢٢ سنة يوم هيّأ الدكتور جورج مينو طعاماً وافراً من الكبد للمصابين بفقر الدم الخبيث، كانت الدلائل تدلّ على أنهم قوم لا ترجى حياتهم. وكان المرضى قد وفدوا على مينو يتهالكون إعياء، وفى وجوههم شحوب مخيف وصفرة رقيقة. وكانت علتهم قد دبّت فى أبدانهم وأورثتهم ضعفاً وفتوراً، فكانت أبدانهم مترهلة، وشفاههم تبدو كأنما لم يبق فيها قطرة من دم. وقد كان مصير المصابين من أمثال هؤلاء، أن يرق دمهم، فإذا اطردت رقته ازدادوا تعباً يبهر النفس، حتى تدركهم غشية — وفى أثنائها يلفظون نفسهم الأخير.

جعل مينو يطعم مرضاه شرائح الكبد نيئة ومطبوخة، ويزيدهم منها، وقد كانوا خليقين أن يجدوها كريهة المذاق لا تطاق لولا أنهم بدأوا يحسون دبيب العافية فى أوصالهم الخائرة.

وفى بحر أسبوع جلسوا فى أسرتهم

يلحون فى طلب الطعام ، وفى بحر أسبوعين أو أقلّ أرادوا أن ينهضوا ويمشوا . وكذلك أقام مينو الدليل على أن فى الكبد قدرة تبثُّ الحياة ، ثم تجلّى له من تجربة بسيطة أن ما تصنعه الكبد إنما هو إيقاد جذوة الحياة الخامدة فى نخاع العظام .

فحين كان هؤلاء المرضى أدنى إلى الموت ودمهم يكاد ينضب من عروقهم ، أخذ مينو قليلا من نخاع عظامهم ، فتبين من فحصه بالمجهر أن الخلايا الكبار فى النخاع ، وهى أمهات كريات الدم الحمر ، لاتقذف فى تيار الدم بهذه الكريات الحمر التى لاغنى عنها للحياة .

ثم أعاد مينو فحص نخاع العظام بعد أن أطعم المرضى قطع الكبد ، فوجد ملايين من الكريات الحمر الوليدة — خلايا زرقاً شبكية الشكل — فهذه الأمهات الكبار قد بدأت تلد من جديد .

وثمة أنواع كثيرة من فقر الدم يعجز فيها نخاع العظم عن صنع الدم ، ومثل هذه الكارثة تنزل بالذين يصابون بالقُلاع ، وبالنساء اللواتى يتواتر حملهن ، وبأكثر المصابين بالبلاجرا الحادة ، وبالشيوخ الذين يسوء غذاؤهم . ولما كان فقر الدم الناشىء من نقص الحديد أقلُّ خطراً من هذه الأنواع بكثير ، فقد أطلق الأطباء على هذه الضروب الخطرة اسماً خاصاً ، ففيها جميعاً تجد الكريات الحمر كبيرة الحجم قليلة العدد قلة تنذر بالخطر ، فلذلك أطلقوا على هذه الضروب من فقر الدم اسم « فقر الدم ذو الخلايا الضخام » .

تُرى أتنقذ الكبد المصابين بضروب فقر الدم ذى الخلايا الضخام ، كما أنقذت المصابين بفقر الدم الخبيث ذلك الإنقاذ الرائع ؟ وقد كان الدكتور توم سبايز أول الذين جعلوا يتلمسون الجواب عن هذا السؤال . وقد وجد أن أغلب مرضاه الذين كانوا يكابدون أشد غوائل البلاجرا ، يعانون أيضاً فقر الدم ذا الخلايا الضخام . فلما ردّ الحياة على أولئك المصابين المشرفين على الموت باستعمال الحمض النيكوتنيك ، تبين أنه أبرأهم من البلاجرا وحسب ، ولكنه لم يبرئهم من فقر الدم ، ولم يجد بدًّا من أن يطعمهم الكبد أو يحقنهم بخلاصتها ، حتى يستطيع أن يتم عليهم نعمة الشفاء .

ثم ظهر أن مرض القُلاع شأنه كشأن البلاجرا ، وكذلك فقر الدم فى الحوامل ، وفى سوء التغذية . فالكبد إكسير يقوى الدم بيد أن هذا العلاج لم يكن علاجا محكما . فالحقن بخلاصة الكبد يوجع المحقون ، وظهر أن من المرضى من يشتدُّ نفور أبدانهم من مادة الكبد ، فيعجزون عن مواصلة العلاج . وكانت خلاصات الكبد فى خير حالاتها

أخلاطا معقدة، قوية أحياناً وضعيفة أحياناً ، على الرغم من أنها علاج ناجع عجيب .

ظل العلماء عشرين سنة يبحثون في الكبد عن مادة كيميائية تستطيع أن تقاوم فقر الدم، ثم كشف الباحثون عن الفيتامينات منذ بضع سنوات خلت ، مادة قوية غير نقية ، وجدوها شيئاً لاغنى عنه لحياة طائفة كثيرة من المكروبات ، ولحياة أنواع شتى من حيوانات التجارب ، فأطلق عليها الدكتور روجر وليمز اسم « الحمض الفوليك » ، وهى توجد فى أوراق السبانخ وكثير من الأطعمة الأخرى مثل عش الغراب وفول الصويا والخميرة والكلية ، وتوجد منها أيضاً مقادير قليلة فى الكبد النيئة .

ومن ثمَّ جعل العلماء يبحثون عساهم أن يتبينوا كيمياء الحمض الفوليك ، فكان بحثهم خبط عشواء يحير الألباب . فبعض خلاصات الكبد التى هيمنت على فقر الدم الخبيث كادت تخلو خلوًّا تاماً من الحمض الفوليك الذى تحتوى عليه الكبد النيئة . وجرَّب الأطباء خلاصات مركزة من الحمض الفوليك فى علاج المصابين بفقر الدم الخبيث ، فلم يفض ذلك إلى إنشاء كريات الدم الحمر .

وعلى الرغم من هذه الخيبة ظل فريق من الباحثين قوامه ١٦ من رجال الكيمياء والبحث عن الفيتامينات فى شركة سياناميد الأمريكية، يتلمس الطريق إلى كشف السر . وكان رئيس الشركة ومديرها يغدقون ألوف الريالات ثم مئات ألوفها ، على البحث عن عنقاء الكيمياء . وكيف سوَّغوا لأنفسهم هذا الإنفاق ؟ لقد سوغوه بأن الحمض الفوليك يبدو شيئاً جوهرياً للحياة — من حياة المكروبات إلى حياة الحيوانات ، بل هو جوهرى لحياة البشر أيضاً .

وفى شهر أغسطس ١٩٤٥ روت هذه الجماعة من العلماء أنها وفقت إلى تركيب الحمض الفوليك النقى، وقد عُدَّ هذا الحادث العلمى بالغ الخطر ، حتى ذيلت الرسالة العلمية التى أذيع خبره فيها بأسماء العلماء جميعاً ، وهو مناقض لما جرى به العرف .

وفى ذلك الشهر نفسه بدأ الدكتور سبايز فى مستشفاه، يمتحن الحمض الفوليك المركب على الذين أشفوا على الموت من مرضى فقر الدم ذى الخلايا الضخام . وكان سبايز يعلم أن خلاصات الكبد التى تكبح جماح فقر الدم فى البشر ، لا تحوى سوى قدر يسير من الحمض الفوليك . بيد أن فكرهُ الحرَّ وسوس إليه : إن الأكباد التى استخلصت منها هذه الخلاصات كانت تحوى الحمض الفوليك ، فلعل الكيميائيين ضيعوا دواءً يطلبونه حين عكفوا على تنقية الخلاصات التى بين أيديهم ، أو ربما كان فى الكبد

الطبيعية أكثر من مادة كيميائية واحدة تكافح فقر الدم ؟ فلِمَ لا يمتحنه .

هذا الضرب من التفكير الحر الذى يتنكّب الطريق المتبع ، هو سر الاكتشاف. وفى نوفمبر ١٩٤٥ روى الدكتور سبايز أن الحمض الفوليك ذو قدرة على إنشاء الدم الأحمر ، وأن قدرته هذه تضارع قدرة أقوى خلاصات الكبد ، كما تجلى من اختباره هذا الحمض فى ثمانية من المصابين بلغ منهم فقر الدم ذو الخلايا الضخام . فما وافت نهاية السنة حتى كانت بلورات الحمض الفوليك الصفر قد صنعت الدم الأحمر فى ٢٦ مريضاً من ٢٧ مريضاً ، وكان بينهم خمسة مصابون بفقر الدم الخبيث الفتاك .

وقد كان من الرائع حقاً أن ترى كيف يفضى أخذ جرعات قليلة من هذه المادة الكيميائية الجديدة ، إلى زيادة قدرة نخاع العظم المريض على تقوية الدم . فهذا شيخ فى الخامسة والسبعين جىء به إلى المستشفى وهو مصابٌ بإسهال شديد ونفَس مبهور وشحوب مخيف ، وكانت الكريات الحمر فى دمه نصف عددها الطبيعى ، فكان علاجه غاية فى البساطة : بضعة مليجرامات من الحمض الفوليك يتعاطاها بفمه كل يوم .

فلما انقضت أربعة أيام قال الشيخ إنه خير مما كان ، فقد بلغ منه تقرّح الفم واللسان حتى عجز عن الأكل ، فإذا هو يأكل فى اليوم الرابع أكل رجلين. وقد دل المجهر فى الوقت نفسه على أن الأمهات الكبار قد عادت تعمل على عهدها فى أعماق نخاع العظام .

قال الشيخ : « لم أكن يوم جىء بى إلى هذا المستشفى ، سوى عبء على كاهل أهلى ، وقدرت أنه قد آن لى أن أموت . ولكن هذا القليل من الدواء الأصفر قد رد الحياة على هذه الرِّمّة البالية » . وما هى إلا مدة قصيرة حتى عاد إلى العمل فى حديقته.

ثم ذهب سبايز ومعاونوه إلى مدينة هفانا فتعاونوا مع طائفة من أطباء الطليعة فيها ، على علاج تسعة أصابهم القلاع فصاروا غرضاً للموت بهذا الداء .

كان كلٌّ منهم كومة من عظام فى إهاب من الجلد ، وكانوا يكابدون إسهالا مهلكا ، وكانوا فى حزن وبكاء لا ينقطع ، وكانت وجوههم جامدة ، فإذا ما أدار أحدهم رأساً أو رفع ذراعاً فعل ذلك فعل البطىء الضعيف ، فقد خمد نشاطهم وكادت دماؤهم تغيض ، وما كان أحد منهم يبالى بموت أو حياة .

وقبل أن يبدأ العلاج ، أعطاهم سبايز خلال أيام طعاماً خالياً من اللحم (فإن اللحم قد ينشىء قليلا من الدم) حتى يستيقن من أن الحمض الفوليك هو وحده الذى أعانهم

فى محنتهم، إن كان فى يد البشر شىء يستطيع أن يسدى لهم العون . ثم بدأ الامتحان — الحمض الفوليك يؤخذ بالفم ، فى جرعات كبيرة أولاً .

فما مضى يومان حتى بدا أول قبس من الحياة المرتدة إلى أبدانهم ، وإذا الوجوه الجامدة قد أشرق فيها طيف من ابتسامة ، وزال ألم المغص المخيف مع الإسهال ، وفى اليوم الرابع تدفق النشاط فى أوصالهم فأرادوا أن ينهضوا من أسرّتهم ويمشوا ، وقد فعل بعضهم. وفى بحر أسبوع كانوا جميعاً قد نهضوا وصاروا يتجولون فى المستشفى .

وقد دلت هــذه الأحداث على أن قوة البلورات الصفر أبعد غوراً من مجرد قدرتها على أن تصنع دماً جديداً ، لأن تدفق النشاط فى أوصال المرضى ، قد سبق نشأة الكريات الحمر الجُدد، فهذه النشأة لم تظهر بواكيرها إلا فى اليوم الرابع .

وكان أدعى من هذا إلى العجب أن سبايز استطاع أن ينقص الجرعة إلى بضعـــة مليجرامات من الحمض الفوليك كل يوم ، فإذا هــذه المقادير اليسيرة تردّ على المصابين شهية الطعام حتى صاروا يطلبون المزيد منه بعد بضــعة أيام ، وقد زاد وزنهم جميعاً ، وزاد وزن بعضهم زيادة مشهودة، وقد عادوا جميعاً إلى العمل .

وقد توالت الأدلة سراعاً من جماعات الأطباء الباحثين ، على قدرة الحمض الفوليك على بعث الحياة ، وعلى تعدد منافعه . وتجد اليوم أن بحوث علماء كثيرين فى بلاد متعددة ، قد أيدت قدرة الحمض الفوليك ونفعه فى شفاء ألوف من المرضى .

هــذه الأقراص الصغيرة التى لا يكاد قطرها يزيد على مليمترين، تضارع حقن الكبد من وجوه كثيرة ، بيــد أن هناك تحفظاً واحداً : ذلك بأن الدكتور سبايز لا يزال فى رِيب من قدرة الحمض الفوليك على أن يدرأ انحــلال الجهاز العصبىّ الذى يشاهد أحياناً فى المصابين بفقر الدم الخبيث .

وقد تعاون الدكتور سبايز والدكتور رامون سواريز فى مدرسة طب المناطق الحارة فى بورتوريكو ، فوجــدا أن قوة الحمض الفوليك تكافىء قوة الكبد فى بناء الدم فى المصابين بالقلاع . وعلاوة على هــذا تجد الحمض الفوليك يحفظ الدم فى حالة مأمونة فى المصابين بفقر الدم الخبيث الذى يؤذيهم تعاطى مادة الكبد .

وإذا استثنينا قدرة هذه الأقراص الصغيرة الصفر على بناء الدم ، وجدنا لها منافع كثيرة منوّعة فى تقوية الجسم. ففى كل سنة يحقن ألوف من الناس بملايين من حقن الكبد لعلاج الضعف والشحوب والإعياء ، ولو لم

يكونوا مصابين بفقر الدم ، فالحمض الفوليك قد يحلّ — فى كثير من الحالات — محل حقن الكبد التى تعطى الآن لابتعاث النشاط .

ومن الأمور الجوهرية ولا ريب أن يذهب المرضى إلى أطبائهم لكى يفحصوا فحصاً دقيقاً حتى يعرف نوع فقر الدم الذى يعانونه ، قبل أن يستعمل الحمض الفوليك فى علاجهم ، فلعل غاية ما يحتاجون إليه هو الحديد ليس إلا . وربما كان الذى بهم هو فقر الدم الخبيث ، فينبغى لهم أن يواصلوا ما عاشوا أكل الكبد أو أخذ قرص الحمض الفوليك كل يوم ، وأن يكون ذلك تحت إشراف الطبيب . وربما كان الذى بهم هو فقر الدم الراجع إلى سوء التغذية ، أو الإصابة بالقلاع ، فهذه الحالة إذا ما شفيت باستعمال الحمض الفوليك أمكن اتقاء عودتها بغذاء نافع يحتوى على قدر كبير من اللحم .

ليس الحمض الفوليك دواء شافياً من كل مرض ، فهو عاجز عن علاج فقر الدم الذى يصحب سرطان الدم المعروف باسم «لوكيميا» ولا فى علاج عقم الدم (عجز نخاع العظم عجزاً تاماً عن إنشاء خلايا الدم) .

وأعظم ما يُرجى من هذا العقار الجديد هو إمكان نفعه فى درء أنواع فقر الدم ذى الخلايا الضخام ، وهذه الأنواع هى أول سبب لرقة الدم وضعفه فى ملايين من الناس فى جميع أرجاء الأرض .

وقد ركب الحمض الفوليك أول ما ركب منذ سنة أو أكثر قليلا ، ومع ذلك فالمقادير المتاحة منه كثيرة . وقد لا يكون له مثيل بين العقاقير التى ترد الحياة على الناس ، فى سرعة تقدمه من دور الكشف إلى دور الاستعمال العام . وقد هبط سعر القرص من ستة قروش إلى ثلاثة قروش ، وعلى قدر ازدياد ما يصنع منه يهبط ثمنه .

والحمض الفوليك لا يغنى عن غذاء صالح تكثر فيه المواد الزلالية ، ولكن هذا الفيتامين الجديد الذى يبنى الدم ويبتعث الحياة ، قد يكون خير هبة إلى ملايين من الناس برّح بهم الجوع وحرموا أكل اللحم فرقّت دماؤهم ، فالحمض الفوليك يستطيع أن يعينهم على أن يظفروا بقدر من الدم يمكنهم من أن يعملوا ليظفروا بما يحتاجون إليه من لحم وزلال .



تعريف

الحبُّ العذريُّ : هو مسدّس لم تكن تعلم أنه محشوٌّ بالرصاص .

« فى كتاب حديث خطير ، تجد عالم الأحياء لوكونت دى نوى بسط لك ما تبينه من دواعى الإيمان فى ثنايا روائع التطور العضوى »

أحدث الأدلة على وجود الله

لعالم من علماء الأحياء

فلتون أورسلر

وضع دارون نظريته فى التطور أخذ الشك فى قواعد الدين المسيحى منذ ينتشر ، وفتن الناس بأن يعدّوا الإنسان وليد المصادفة فى عالم الأحياء ، وأن ينكروا وجود الروح وحريتها فى أن تختار بين الخير والشرّ ، وأن يروا الحياة شيئاً لا غرض له ولا معنى ، وأصرّ أهل الشك على أن العلم قد صرع الإيمان .

بيد أننا نسمع اليوم صوتاً جديداً — صوت عالم ينادى بأن العقائد القديمة صحيح كلها . والداعية الجديد إلى الإيمان بالله هو عالم من علماء الأحياء ، اسمه الدكتور لوكونت دى نوى ، وقد كان من قبل أحد علماء معهد روكفلر ومعهد باستور . وقد كشف فى كتابه العجيب « مصير البشر » عن نظرية جديدة للتطور ، وحاول عن طريق العلم والمنطق أن يثبت ما كان مثاراً للجدل من المعانى السامية التى تاقت إليها نفوس البشر منذ أول عهدهم بالحياة : كحرية الإرادة ، ومعنى الحيـــاة ، والخلود ، ووجود الله سبحانه وتعالى ، فيجعلها حقائق لا مماراة فيها .

يستهل عالم الأحياء دى نوى كتابه باعترافه بأن العلم عرضـة للخطأ ، فينبغى لنا أن لا نثق به ثقة عمياء . فليس فى هذه الدنيا شىء نستطيع أن نعرفه معرفة كاملة مطلقة ، وحواسنا الخمس يشوبها نقص ، وأدواتنا العلمية لن تبلغ الكمال فى دقتها .

وليس فى طاقتنا أيضاً أن نعرف الحقيقة ، فإذا مزجتَ الدقيق بالسُّخام كان لك منهما مسحوق أغبر ، فلو سارت حشرة دقيقة بين حبيبات هذا المسحوق ، لكانت هذه الحبيبات فى نظرها صخوراً ضخمة بيضاً وسوداً . فلا وجود لهذا المسحوق الأغبر كما نراه نحن فى تقدير هذه الحشرة . ونحن نعيش فى كون لا يحيط به إدراكنا ، فكل رأى نراه فى شأن الحقيقة إنما هو رأى نسبىّ .

فى هذا الكون الجبّار ، تجد العلم يعبث بأجزاء ضئيلة من المعرفة ، ولكن المهاوى التى تفصل بين ما نعرفه من الحقائق ، إنما هى مهاوٍ رحبة عميقة . ونحن نعيش على

رةٍ عُمِّرت حوالى ٢٠٠٠ مليون سنة، وعلى هذا المسرح العظيم تمت روائع التطوّر. ولكن كيف رفع الستار عنها؟ لقد استحال علينا حتى اليوم أن نعرف معرفة دقيقة كيف بدأت الحياة، بل لا ترى أحداً قد تمكن من أن يشرح لنا أصل الحيوانات الفقارية التي ننتمى نحن إليها.

إن تاريخ التطوّر كلهُ مشوب بالأسرار الغامضة، فكل خطوة كبيرة خطاها الأحياء إلى أمام، قد تمت على رغم مناقضتها لنواميس الاحتمال العلمى المحكمة. وكل تقدم من أدنى إلى أعلى، كان ارتقاءً بعيد الاحتمال.

خذ مثلا تلك اللحظة التى بدلت فيها الحياة نهجها فى التناسل. فقد مرت ملايين من السنين وخلايا البروتوبلاسمة تتكاثر بالانشطار ــ كأن فيها حياة خالدة. ثم ظهر فجأة وعلى نحو لا يزال مستتراً، أسلوبٌ جديدٌ فذٌّ فى التناسل ــ هو التزاوج. ومن أدعى الأمور إلى العجب، أن الموت جاء قريناً للتناسل الجنسيّ حين طرأ هذا التناسل على الحياة.

وأنت ترى دى نوى العالم الجرىء يذكر مرة بعد أخرى مقارنات ترمز إلى ما يريد، من الفصول الأولى من سفر التكوين فى التوراة، ومن حقائق التطوّر

« وضع الدكتور لوكونت دى نوى نصب عينيه وهو يؤلف كتاب « مصير البشر » أن يأتى بالبراهين العلمية على زيف الفلسفة المادية.
ولست أعرف أحداً سبقه إلى هذا، وما من أحد يستطيع حتى أن يحاول حمل هذا العبء، ما لم يتمرس بأحدث مكتشفات الرياضة والطبيعة والكيمياء وعلم الأحياء ووظائف الأعضاء.
إنه رجل يبنى للحق فى العلم والدين. وكتابه من القوة والسداد بحيث لا يكاد يتيسّر ظهور مثله أكثر من مرة أو مرتين فى قرن واحد ».
[دكتور روبرت مليكن]
حائز جائزة نوبل فى علم الطبيعة

المعروفة. فكأن كاتب تلك الفصول قد عرف بالبداهة نهج الحياة العظيم الذى أعدَّهُ لها الخالق عزّ وجلّ. والإنسان كثيراً ما يصل إلى الحقيقة من طريق البداهة، كما يصل إلى المعرفة من طريق العقل، وكلاهما ــ البداهة والعقل ــ خليق بالاحترام.

فى التطوّر خمس حقائق جوهرية لا تنكر: (١) بدأت الحياة فى صور متناهية فى البساطة (٢) ثم تطورت هذه الصور

البسيطة إلى صور أعقد فأعقد (٣) ثم أفضى هـذا العمل على الأيام إلى نشوء الإنسان ذى المخ البشرى (٤) ثم ولد الفكر المجرد فى البشر (٥) ثم ظهرت الأفكار الخلقية والروحية من تلقاءِ نفسها فى شتى أقطار الأرض .

وليس بين هذه الحقائق الخمس حقيقة واحدة يستطيع العلم أن يفسرها ، فينبغى لنا أن نفرض فروضاً لكى نملأ ما بينها من فراغ .

وكثيراً ما يكون الفرض حتما لا مفرَّ منه . وقد استعان أينشتين باثنى عشر فرضاً أو أكثر فى الوصول إلى نظريته فى النسبية ، ولم يكن بينها فرض واحـد يمكن أن نقيم دليلا على صحته . ومع ذلك فقد أطلقت طاقة الذرَّة بفضل هذه النظرية . والفرض الذى فرضهُ دى نوى يقيم للتطوُّر نهجاً وغرضاً خلقيًّا . وقد بناهُ على أنهُ من المستحيل أن تعزو إلى المصادفة المحض ، ما نعرفه عن بدء الحياة وارتقائها إلى عجائب العقل البشرى .

وقد ظلَّ الماديون سنين يقولون إن المصادفة متحكمة تحكماً مطلقاً فى كل ما هو عرضة للفناء ، ولكن دى نوى يردُّ عليهم فيقول : « إن الإنسان حرٌّ فى أن يطيع غرائزه الحيوانية التى تيسر لهُ المتعة الحسية ، أو أن ينشد غرضاً من ضرب آخر . فلكى يبلغ ذلك الغرض ينبغى له أن يناضل غرائزه الحيوانية القوية . وكثيراً ما يعذبهُ هذا النضال ، بيد أن كثيراً من الناس يتجشمون هذا النضال على رغم ما يلقونه من ألم ، غير أن هذا الاختيار ليس بمتاح إلا للإنسان وحده » .

وكثير من الناس يختارون أول الطريقين ، أما الذين يختارون الثانى فقليل ما هم . ولكن هذه القلة هى التى كان لها دائماً شأن عظيم فى التطوُّر ، وهـذه القلة الخارجة على الكثرة قد سارت منقادة إلى زعامة لا تقاوم ولا ترى ، فقـد أطاعت نداءً سرمديًّا قاهراً ما زال يستحثها .

إن الثلوج التى تذوب على قمم الجبال تصبح جداول وأنهاراً متدفقـة وهى فى طريقها منحدرة إلى البحر ، وهى تنحدر استجابة لناموس لا يردُّ هو ناموس الجاذبية . أما فى التطوُّر ، فإن الحياة لم تنحدر إلى أسفل بل ترقت صُعُداً ، يستحثها ناموس لا يردُّ كناموس الجاذبية . ومنذ كان العالم صَعّدت الحياة فى هذا المعراج ، فبدأت مادة لا شكل لها ، ومضت عُلْواً حتى صارت إنساناً له عقل وضمير .

فهل عمى العلم عن البيّنات التى تدل على النهج والنظام فى التطوُّر ؟ كلا ، فإن الحياة فى ترقيها المتواصل ، كثيراً ما خالفت نواميس الاحتمال الثابتة ، حتى لنرى أشد

المـاديين عناداً مضطراً إلى التسليم بوجود قوة مجهولة .

ولم يكن للماديين بدّ من أن يطلقوا اسماً على هذه القوة المجهولة ، لكي يتمكنوا من أن يدخلوها في نطاق تفكيرهم . ولما كانت جوانحهم منطوية على نفور من اسم الله سبحانه وتعالى ، وصفوها بقولهم « عدوّ المصادفة » . وما داموا يعترفون بوجودها ، فليسمّوها ما شاؤوا .

وقد ظلت الحياة تعمل ألف مليون سنة إلى أن صار الإنسان مخلوقاً مفكراً ، وهى خاضعة لسيطرة حافز أصيل هو حافز البقاء ، ثم ظهر خلقٌ جديد من البشر ظهر أنهُ خاضع لقوة جديدة ــ فكرة الخير والشرّ التى يبذلون المهج فى سبيلها .

ويقول دى نوى إن هذه الفكرة كانت كأنما هى صوت القوة السرمدية تخاطب النفس البشرية فتقول .

« لقد بقيت حتى اليوم ولا همّ لك إلا العيش والتناسل ، فكنت تقتلين وتسرقين الطعام أو الأزواج ، ثم تنامين ملء الجفون بعد أن استسلمت لدواعى غرائزك. ولكنك منذ اليوم ستكافحين هذه الغرائز ، فحرام عليك أن تقتلى ، أو تسرقى ، أو تشتهى ما فى يد سواك .

« وحرام عليك أن تنامى ملء الجفون ، إلا إذا تمت لك الغلبة على نفسك . وسوف ترضين العذاب والتضحية بالحياة دون أن تتخلى عن مثلك العليا . ولن تكون أهدافك العليا منذ اليوم أن تأكلى وتعيشى ، بل سوف تصبرين على الجوع والموت فى سبيل أغراض نبيلة . ولا بد لك من أن تكونى نبيلة ، لأن ذلك هو إرادة الحىّ الجديد الذى انبعث فيك ، فعليك أن ترتضيه سيداً لك ولو قمع شهواتك » .

ليس الإنسان آخر مرحلة فى معراج التطوُّر ، وإنما هو فى مرحلة متوسطة بين الماضى وما يحفل به من ذكريات الوحش ، وبين المستقبل الحافل بآمال النفس . ولن يكون تقدمنا منذ اليوم تقدماً بدنيًّا بل تقدماً روحانياً ، وسوف يتحرّر إنسان المستقبل تحرُّراً تاماً من شهواته البشرية المدمِّرة ــ من الأثرة والطمع وشهوة السلطان . وسوف يستمتع بملذات الجسد دون أن يكون عبداً لها ، فالإنسان سينطلق من إسار الجسد وينجو من رقّه .

ومن الواضح أن زمام التطوُّر فى المستقبل سيكون فى أيدى الأخيار من الناس ، ولكن ما هو الخير ، وما هو الشر ؟ أما الماديون فينكرون وجود الخير والشر ، وأما دى نوى فلا يكتفى بتوكيد وجودهما ، بل يسعى إلى تعريفهما أيضاً .

إن معيار المطابقة بين الحىّ وبيئته هو المنفعة ، وأما الأحياء التى تتطور فمعيارها هو الحرية ـ الحرية من القيود المهلكة . ومنذ كان التطوُّر فى مهده ، كان هذا الفرق هو الامتحان للفريقين فى مدارج الرقىّ . والأحياء التى تنشد الحرية هى الأحياء التى سارت بالحياة إلى العلى ، قال دى نوى : « إن التطوُّر هو التقدم من حالة غير مستقرة إلى حالة غير مستقرة ، فلو لم تلق الحياة من الأحياء سوى المطابقة التامة الثابتة لهلكت » .

وأهمُّ ما فى الأمر هو أن الإنسان قد بدل سيده المطاع ، فقد كان فى البداية عبداً للنواميس الطبيعية الكيميائية البيولوجية ، أما اليوم ففى وسعه أن يفكر تفكيراً مستقلا . وقد كان أسلافه جميعاً ممثلين مسيَّرين فى رواية لا يفهمونها ، أما اليوم فتجد الإنسان يريد أن يفهم الرواية كلها .

فقد صار قادراً على أن يرقى بنفسه إلى الكمال . فأفكار الجمال التى تخطر له ، ورؤى الجمال التى تولد فيه ، يستطيع أن يحيلها شيئاً مجسما بيديه . وهو يخترع ويتعلم ، وصار لا يكتفى بأن تشبع شهوةٌ من شهواته . ومع ذلك فهو لا يزال حيواناً على الأكثر ، فلذلك تراه مضطرباً محيراً .

إن صوت ضميره الوليد يناقض الأوامر المتقادمة التى يتلقاها ، ويلقى عليه أوامر جديدة . فهل من العجب أن يثور ؟ إنه كالجواد الجموح يثور على الشكيمة ـــ بيد أنهُ يختلف عن الجواد فى أنه هو الذى فرض على نفسه وضع هذه الشكيمة ، وهو مع ذلك حرٌّ أن يلبسها أو أن يدَعَها . ولما كانت السيطرة على النفس قائمة على حرية الاختيار بين الخير والشر ، فإنها تلد الكرامة البشرية ، والكرامة هى هدف التطوُّر .

فإذا ما أدركنا هذه الحقيقة الجليلة وجدنا تعريفاً أدق للحسن والقبيح ، فالخير ينبغى أن يكون أيضاً احتراماً للشخصية البشرية ، والشرُّ هو ما كان احتقاراً لها .

وهذا هو أهم أحداث التطور حتى يومنا هذا . فالإنسان منذ اليوم ينبغى له أن يعصى طبيعته حتى يستطيع أن يتطوَّر ، فقد صار الفرد أخطر شأناً من النوع .

وإذن فينبغى أن لا نيأس إذا كان الأخيار ندرة فى هذه الدنيا ، فإن هذه القلة هى التى ستسير بالارتقاء قُدُماً ، شأنها اليوم كشأنها منذ ملايين السنين . وهذه القلة سوف تكون طليعة سلالة جديدة ، وأسلاف الإنسان الذى بلغ كمال النموّ الروحانى .

تُرى أينصرم بليونان من السنين قبل أن نبلغ هـــذا الهدف ؟ كلا ، هكذا يقول

دى نوى ، ففي الوسع أن نستعجل هذا التطور بمعونة مخ الإنسان — أعظم أسلحة الإنسان. فقد قضت الحيوانات دهوراً طويلة حتى صار لها أجنحة ، بيد أن الإنسان غزا رحاب الفضاء في ثلاثة أجيال . وبفضل مخ الإنسان اتسع مدى حواسنا اتساعاً لم يخطر لنا في حلم ، فنحن نستطيع أن نرى المتناهيَ في الصغر والمتناهيَ في البعد جميعاً . وقد اختصرنا المسافات حتى صارت كأنها ليست شيئاً مذكوراً ، وصفّدنا الوقت حتى كأنه لا يتحرّك .

بيد أن هذه القوة الفكرية الطيّعة ، تزيد التبعات الملقاة على كواهلنا . فنحن أحرارٌ في أن نمضى قُدُما أو أن نورد أنفسنا موارد الهلاك . إن كثيرين من الناس ينظرون إلى المخترعات الحديثة كأنها دلائل الحضارة الحقة ، بيد أن مثلنا الأعلى ينبغى أن يكون كرامة البشر لا راحتهم . وإذا لم يخضع العقل للضمير ، أساء البشر الاختيار بين الخير والشر . فالعقل يشير بالمطابقة للمألوف والملاءمة والتراخى ، ولن يشير بالثورة والمقاومة والتطوّر . وإنك لا تجد في تاريخ البشر رجلا ذهب شهيدَ الرأى المتزن . ولذلك ترى الذكاء وحده خطراً ، فهو وحده الذىّ صنع القنبلة الذرية . وإذا الناس يدركون أن ظفر العلم يهدّد أمنهم وسلامهم ، فصار الصراع بين الذكاء والمبادىء الأخلاقيــة مسألة موت أو حياة للناس .

ومما يؤسف له أن هناك كثيرين من الناس لايزالون يعدّون الإنسان حيواناً راقياً لا أكثر ، ولذلك تراهم لا يتبينون سوى حلول حيوانية لمشكلات البشر . فهم في ميدان السياسة يريدون أن يجندوا الناس ويعبئوهم كالحشرات ، وقد فعل الطغاة ذلك في أرجاء واسعة من سطح الأرض ، منكرين على الإنسان أية قيمة أو عمل يفوق عمل اليعاسيب العاملة في خلية النحل . بيد أن إرادة تلك القوة التي يسمونها « عدو المصادفة » ثم نهج التطور العظيم ، يقتضيان أن يبقى الإنسان حرّاً لكي يتطور في مدارج الارتقاء ، لا أن يُسَام الخسف والتسخير .

فينبغى أن نجلّ الشخصية البشرية ، لأنها تعمل للتطور وتجرى طوعاً لإرادة الله . وقد يسألك كثيرون : « إذا كنت تؤمن بوجود الله ، فكيف تراه يأذن بكل هذه الشرور التي تعيث في الأرض ؟ » ، وهذا السؤال يدل على أن النظرية الجديدة قد أسيء فهمها . ففي بدء التطور كان التقدم كله يتم بإرادة الله وحدهُ . أما اليوم فقد جعل الله للفرد أثراً في التطور ، فإنه سبحانه يوم وهب الإنسان ضميراً وإرادة حرة ، نفخ فيه من روحه .

وهذه الحرية التي وهبها الله لعباده حقيقة

واقعة يتعالى الله سبحانه عن الحد منها . وإذا سلمنا بأن هنـاك قوة عليا خلقت نواميس الحياة ، فينبغى أن نعلم أن هذه القوة الخالقة لن تحول دون تنفيذ هـذه النواميس . فالطبيعة ليست متهافتة غير متماسكة ، ولكن الإنسان جاهل — ولا يزال الطريق أمامه طويلا .

ومن هنا ترى الرجل الذكىّ محيراً لأنه لا يستطيع أن يدرك الله الذى لا تدركه الأبصار على صورة يفهمها : أهو جبار ذو لحية على صورة الإنسان ؟ فى هذا العصر عصر العلم ، يسهل الرد على السؤال . فمنذا الذى يستطيع أن يتصور الإلكترون ؟ وكل عالم يقول لك إن الإلكترون شىء لا يمكن تصوُّره ، ولا يسعك أن ترسم شكله ، وليس ثمة رجل قد رآه . فالإلكترون الذى لا يُرى موجود وإن تعذّر علينا أن نتصوّره ، فما ظنك بالله الذى لا تدركه الأبصار ، والذى ليس كمثله شىء .

كيف يستطيع المرء من الناس أن يساهم فى التطوُّر المقبل ؟ إننا نعرف قوانين الأخلاق وفى وسعنا أن نلتزمها . وأهم من هذا أننا نستطيع أن نعود إلى العادة القديمة ، عادة تهذيب الشباب وتقويم أخلاقهم . فالكفاح من أجل المستقبل ينبغى أن يبدأ فى المدرسة ، لأن التعلم سـلاح من أسلحة التطور ، ولو علّم الحقُّ فى جميع مدارس الدنيا لما قامت الدول الطاغية الجامعة .

ونحن نرى صغارنا اليوم يحشون عقولهم بتفاصيل لا تجدى ، أما الأخلاق التى لا غنى عنها فيمرُّون بها مرَّ الكرام ، فكأنك تعلم الزرّاع أن يزرعوا الأزهار دون أن تعلمهم كيف يحرثون الأرض . فلِمَ لا يفكر أحدٌ فى تعليم الخلق للصغار ؟ إن العالَم كلَّه ليدرك حقًّا عظمة المزايا التى تعود عليه يوم يكون أكثر سكان الدنيا أهلا للثقة .

إن ناموس التطور ، هو اليوم كما كان منذ الأزل ، كفاحٌ نحو العلى ، والكفاح لم يفقد شيئاً من حدّته وعنفه ، لأن ميدانه قد انتقل من المادة إلى الروح . ففى البشر نفحة من روح الله ، ونحن أحرارٌ فى أن نهملها أو نخمدها ، أو أن نقترب من عرش الله بما نبديه من رغبة فى طاعة أمره .

لم يكتب دى نوى كتابه للمؤمنين الصادقين ، بل هو يوجـــه الخطاب إلى المتشككين والمرتابين ، وإلى ملايين من النـاس يبلغ منهم القنوط مبلغاً يحملهم على التساؤل : ألهذه الحياة معنى ؟

إن مؤلف « مصير البشر » يُهدى إلى نفوس هؤلاء القانطين شجاعةً وأملاً .



طعام للوحش

فرانك بك بمعاونة فرين فريزر

مختصرة من كتاب "ظفر وناب"

أمامنا كلب ضئيل أصفر ، فرأيت في عيني صاحبي جونسن نظرة الجد الصارم يشوبه شيء من الحنان ، وإذا هو يقول : « أتريد يافرانك أن تذهب معى إلى مزرعتى فتصيد فيها بَبْراً ؟ »

كنا جالسين على شرفة نادى الجولف في سنغافورة ، وأمامنا سفينة بريد مثقلة بالأغنام قادمة من أستراليا .

فقلت : « أذكرك هذا الجرو من الكلاب بالببر ؟ إنه لشيء عجب ! »

فقال : « هو ما تقول . فإذا أردت أن تصطاد بَبْراً فهيّا معى . . » وأخرج من جيبه سيجاراً وناولنى إياه . ثم قال : « أتعرف ديك سكوت ؟ فقد كان له ولدان ، فخطر له أن يقتنى لهما كلباً . فلما ذهب في إجازته الأخيرة إلى أستراليا جاء بكلب ألزاسيّ قوى أغبر مشيق البدن كأنه ذئب ، وأطلقوا عليه اسم « بنجى » . فلما شب صار كلباً عجيباً دَمِثاً أنيساً ، فكان رفيقاً للصغيرين ، وكلب حراسة لا يجارى » .

فقلت : « إنك تروى القصة كأنها شيء كان ثم مضى » .

فأجال جونسن نظره في السفن التى كانت في الميناء وقال : « نعم ، وسبب ذلك هو هذه السفن . فالناس يأخذون هذه الأغنام بعد وصولها ويربونها في المراعى القريبة من منزل ديك . وقد اتفق ذات ليلة أن ذعر القطيع ، فلما أصبح الصباح وجدوا ستة من الأغنام قد مُزّقت رقابها » .

« أهو بنجى إذن ؟! »

« نعم ، كان ذلك من فعله ، وليس في ذلك ريب . فقد علقت به نتف كثيرة من صوفها ، وكان الدم يغطى فمه ، وكانت السلسلة التى يربط بها مقطوعة . فلم يسعهم بعد ذلك إلا أن يربطوا بنجى بسلسلة لا يقوى النَّمر على كسرها .

« بيد أنّ بنجى كان كلباً قوياً ، وقد طعم دم الغنم ، فصدع السلسلة ذات ليلة فأهلك في تلك الليلة عشرة أغنام أو أكثر . فكان ذلك قاصمة الظهور ، فديك لا يريد في بيته كلباً فتاكا ، فأخذ بنجى في مساء ذلك اليوم ، وجاء به إلى الفندق حيث كنت مقيما .

« وساعة دخلت حانة الفندق رأيت

بنجي أول ما رأيته ، فقد كان ديك هناك يحتسي كأساً، وكان الكلب جاثماً عند قدميه، فلم تكد عيني تقع عليه حتى رأيت كلباً جميلا فأعجبت به ، وإذا ديك يقول : « هو لك إذا أردته . إنه كلب فتاك ، وقد اضطررت أن أوفى ثمن ١٨ رأساً من الماشية فتك بها، ولا أنوى أن أتكلف من أجـــله فوق ما تكلفت » .

« وأنا أيضاً كنت غير راغب فى أن أقتنى كلباً فتاكا ، ولكننى تذكرت فجأة شيئاً يصلح له . فقلت : « لقد اتفقنا ، هو كلبي منذ الساعة » .

« فأسلمنى ديك زمام الكلب دون أن ينبس بكلمة ، ورفع الكلب نظرهُ إلى ديك أولا ثم إلىّ ، فلم أجد فى نظرته معنى التعنيف لصاحبه الأول ، وإنما وجدتُ معنى التساؤل . فلما انصرفت انقاد لى بغير مشقة، بل فعل ذلك كأنهُ مرتاحٌ إلى ما تمّ » .

ثم توقف جونسن ، وبعد هنيهة من الصمت استأنف الكلام دون أن ينظر إلىّ فقال : « أتعلم لِمَ أردت بنجي ، يا فرانك ؟ أردت أن أجعله طُعْماً للببر .

« قلت لك إنه كان فى مزرعتى ببرٌ مخوف . وأنت تعرف أيضاً ما تلقاهُ من مشقة ومماطلة إذا أردت أن تظفر بترخيص لتقتل أحد هــذه الوحوش . ولكن ليس فى القانون ما يمنع أن تصيد أحدها حيًّا ، فلذلك بنيت شركا للببر من كتل الخشب ، وبقى علىّ أن أظفر بطعم جيد — مخلوق يستطيع أن يملأ الليل صياحاً ، فعزمت أن أجعل هذا الفاتك طعماً للببر .

« وينبغى لك أن تعلم يا فرانك أن عينى لم تقع على هذا الكلب من قبل . وقد كنت أظنُّ أنه شرس ، فلما سار معى عسر علىّ أن أصدّق أن هذا المخلوق الوديع الودود يفتك بالأغنام حقاً . وأنت تعلم أن مزرعتى تبعد عن النهر ثمانية أميال أو نحوها فلما حاذينا ضفة النهر ، لم ألف نفسى مضطرًّا أن أتودّد إليه حتى يقفز إلى الزورق ، بل قفز إليه من تلقاء نفسه كأنه يثق بى — أو كأنه كان يتمنى منذ زمان طويل أن تتاح له نزهة كهذه النزهة . وجعل ينبح الأمواج ، وتلقى فى شدقه قليلا من زبدها المتناثر ، ثم إذا به يدسُّ أنفه تحت يدى ويرفع بصره إلىّ كأنه يريد أن يقول : « إننا نستمتع بما نحن فيه ، ألا توافقنى » .

« وجلست إلى مائدة العشاء وجثم هو على الأرض ينظر إلىّ ، لم يكن يطلب طعاماً — بل كان يرجو أن يُعطى طعاماً وحسب . وأظن أنى ألقيت إليه ببضع كسر من الطعام ، وهو شىء أنفر منه وأنا على

المائدة ، بيد أنه جال فى خاطرى أنه كلب قد دنا أجلهُ ، والمجرمون الذين دنت آجالهم يعطون الطعام قبل ساعة القتل . ثم سرنى أن أرى فى عينيه معنى الشكر كلما التقط كسرة من طعامه . ثم خرجت إلى شرفة الدار وأشعلت غليوناً وجلست أنظر إلى كواكب السماء . وإذا برأس الكلب على ركبتى . لم يسألنى أن أدلله ، وكل ما صنع هو أنه ألقى رأسه الكبير على ركبتى دليلا على ما فى قلبه من الودّ . فهببتُ إلى قدميّ ودعوت خادمى وقلت : « تعال ، سنذهب معاً لنضع الطعم فى الشرك » .

« أما بنجى فمضى معنا طائعاً مرتاحاً ، فكأنه كان مغتبطاً بهذه النزهة التى لم يتوقعها فى الغابة ، وكنت أرى وَمْضة من شعر ذيله وهو يحركه فى الحين بعد الحين ، وقد انطلق يتشمم ما بين الأعشاب . وظنى أن هذا خير ما يحبه الكلب — أن ينطلق حرًّا على سجيته ، على أنّ يكون من ورائه صاحب يناديه باسمه فى ظلام الليل . وأخيراً وصلنا إلى الشرك ، وأنت تعلم أى ضرب من الشراك هو — شرك متينٌ مبنيٌّ بكتل الخشب ، وله باب يسقط فيسد المدخل إذا ما تحرك السِّناد الذى ركب عليه . ولم يدرك بنجى أن فى الأمر شيئاً غريباً إلا بعد أن شدّ الخادم وثاقه فى القفص ، فجعل يَعْوِل عويل الطفل الصغير .

« وجعلت أناجى نفسى وأنا عائد إلى دارى : « إن بنجى كلبٌ فتاك — كلبٌ مجرم ، وديك نفسه كان قد عزم على رميه بالرصاص » . وكان عويل بنجى يترامى إلىّ ، فقد اشتدّ صياحه . وقال خادمى : « الكلب خير طعم للببر . فالببر قادم الليلة لا محالة » ، فلم أجد فى قول خادمى راحة ولا رضى ، فقد تركنا هذا الكلب الألزاسىّ الجميل وحده ، وفى مكان على مقربة منه ببر يستطيع أن يخرسه بلطمة واحدة !

« وأويت إلى فراشى ولكن النوم جفانى ، وقد توالت على خاطرى أفكار غريبة ، ورأيت بينها ذلك الكلب العظيم بعينيه الشهلاوين وأنفه المغضَّن وكفّيه الكبيرتين الدافئتين وقد ألقاهما على ركبتى ، فجعلت أفكر فى الأمر : ليس فى بيتى كلب ، وقد يكون بنجى كلباً يفتك بالأغنام ، ولكن ليس فى مزرعتى أغنام يفتك بها ، فلِمَ لا أحتفظ به ؟

« عجباً ما أسرع ما يغير الإنسان رأيه ! فقد كنت حتى الساعة لا أفكر إلا فى أن أوقع الببر فى شركى ، بيد أن شعوراً آخر قد ساورنى الآن ، سمِّه ما شئت : الحنان ، أو قل هو ذكرى أنفه الرطب على ركبتى

ونحن فى السيارة ، أو لهفته على إرضائى ساعة كنا فى الزورق ، أو تلك النظرة فى عينيه وهو جاثم عند قدمىَّ ، أو سمه محبة الكلاب وحسب . وعلى كلٍّ فقد أيقظت الخادم وقلت له : « هيَّا بنا ننطلق لنخرج الكلب من الشرك ، فعدونا نصف ميل حتى بلغناه . وإذا كنت ممن قد اقتنى كلباً ، كان فى وسعك أن تدرك كيف كانت لهفتى .

« فلما دنونا من الشرك لم أسمع نبأة من صوت ، فظننت أن البر قد فتك به ، ثم سمعت عويلا خافتاً — كعويل طفل فى المهد إذا تركته وحده . ثم رأيت أمامى بنجى ، وأنفه الأسود يلمع من بين قضبان الشرك ، وعيناه مسدَّدتين إلى نور المصباح وفيهما بريق ، وكان فى حركة ذيله الأغبر مودة وثقة ، فكأنه يقول : « لقــد طالت هذه الملهاة ، فلنجرب أخرى » ، فلما فك وثاقه وانطلق ، لم يثب إلىَّ وثباً ، بل أقبل يعدو ، وفى عدوه لهفة المودَّة ، فكان ذيله يتحرَّك ولسانه الأحمر قد تدلى . فقلت : « تعال ، إننا عائدون إلى البيت يابنجى » ، فانطلق يعدو فى الطريق الذى سلكناه كما فعل حين جئنا به ، يتشمَّم هنا وهناك ، فآونة يبعــد وآونة يدنو حتى يصير عنــد قدمىّ يشمّ الأرض التى أطـأها — إنه لكلب أصيل .

وإذا حادث قد حدث — حدث بسرعة عجيبة وعلى قيد أنملة منى حتى لعجزت أن أرفع المصباح بيدى لأرى حركة اندفاع فى الظلام . وقد رأيت رمحين من العاج يبرقان فى الظلام ويقبلان علىَّ — رمحان محدودان كالإبر ! فقد وطئت قدمى حمى خنزير برّى يحمى أنثاه وصغاره . فهذا وحشٌ ضخم ضار يهمُّ أن ينقضَّ علىَّ !

وليس فى الوقت فسحة لأرفع بندقيتى ، فقد كان كلُّ ما حدث مباغتاً ، وإذا ومضة غبراء كالشهاب تنطلق من الظلام ، وسمعت الخنزير يخور من هول الصدمة . ورأيت نابين لامعين يغوران فى الظلام ، ثم سمعت بنجى يصرخ صرخــة الألم ، تليها زمجرة خافتة وحشية — زمجرته حين ينقضُّ على الأغنام .

وقد رميت الخنزير برصاصى ، ثم وجدت بنجى — وقد أغمد النابان فى صــدره ، ولكن أنيابه القوية البيض كانت ناشبة فى زَوْر الخنزير .



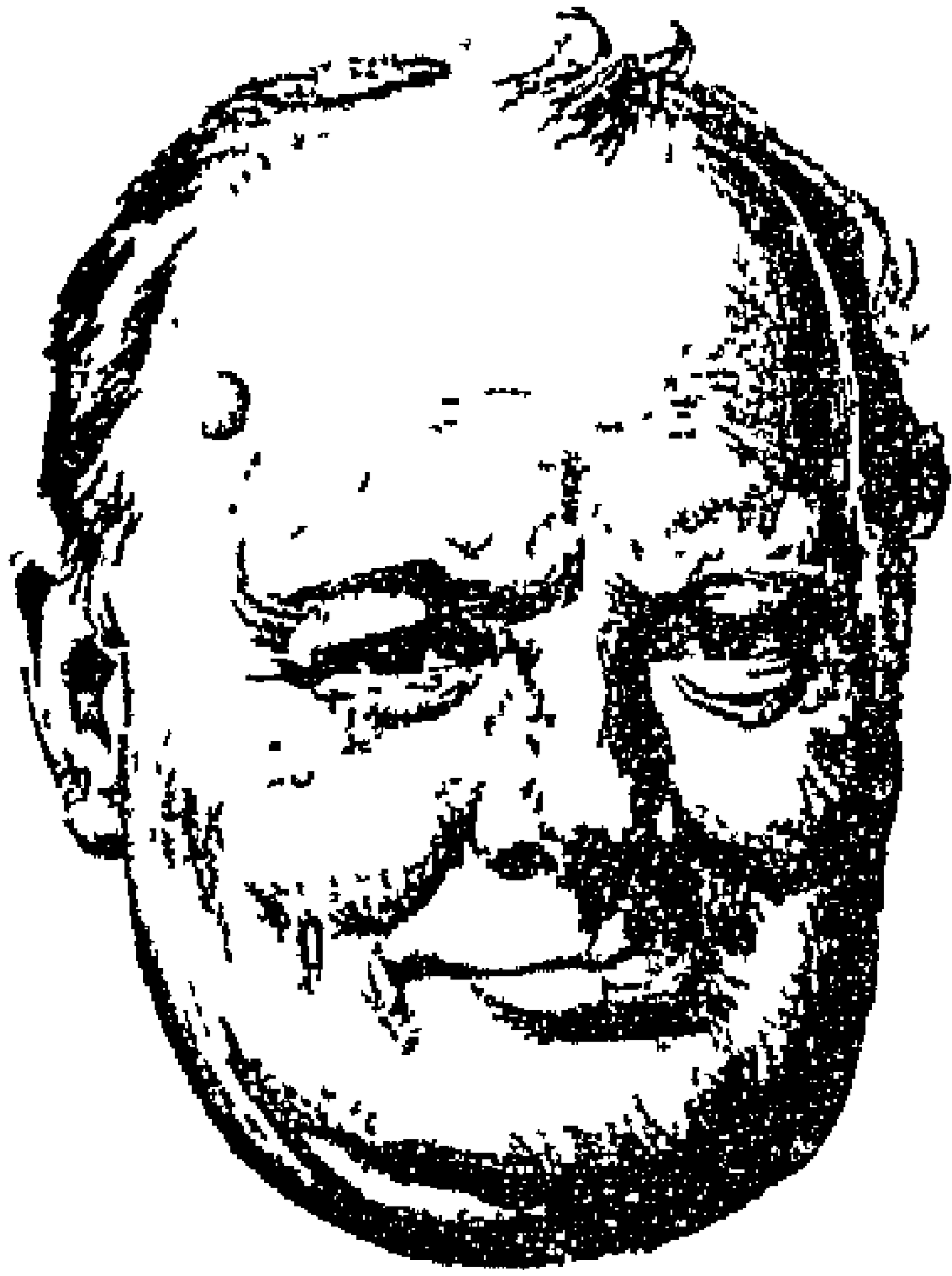
أحسست أنى عائدة من جنازة سعادتى

[المـازنى فى « أخبار اليوم »]

طريق المستقبل

ونستن تشرشل

مختصرة من مجلة "كولييرز"



أشهر شيوخ الساسة فى العالم
يصف خطته لقيام عالم يسوده السلام

مرت ثمانى سنوات منذ كتبتُ عن « الولايات المتحدة الأوربية » ، وقد وصفت يومئذ المحنة الأليمة الخطرة النازلة بقارة أوربة التى تمزقها أسباب الشحناء القديمة ، وتثيرها النعرة القومية الحديثة، وتقطع أوصالها الحواجز الجمركية ، ويخيم فوقها ظلُّ محور هتلر وموسوليني ، والتى نهكت قواها حرب عالمية سابقة ، ويستبد بها الخوف من حرب أخرى .

وهأنذا أعود اليوم إلى الكتابة فى الموضوع نفسه ، والدعوة إلى الرأى ذاته . وقد ظننت منذ ثمانى سنوات أن حجتى لا تردّ ولكنها ذهبت عبثاً وسدًى ... ففى بحر سنة ونصف سنة ، دفعت أوربة إلى تنُّور حرب أفظع وأشد تدميراً من كل حرب خاض البشر غمارها ، ثم إن هذا النزاع الأوربى شمل العالم بأسره .

وليس ثمة ريب فى أن المشهد الذى نراه اليوم يشبه من نواحٍ كثيرة مقلقة ما كنا نراه فى سنة ١٩٣٨ . والحق هو أن شعوب أوربة قد تردَّت اليوم فى هوة الشقاء تردّياً لا يكاد يقدر، فملايين من بيوتهم قد دمرت، وقد مزق بعضهم بعضاً تمزيقاً أفظع وأعم ، وتوسلوا بأسلحة أكثر وأفتك . ولكن أتراهم وجدوا السلم الوطيد الدائم ؟ أصار الإخاء بين البشر أدنى مما كان ؟ أعاد إلى القانون سلطانه ؟

كلا وا أسفاه ، فأحقادهم القديمة لا تزال تستعر ولهيبها لا يزال يضطرم، برغم ما منيت به بلاد أوربة من نقص محزن فى مواردها ، ومن ضعف فى نشاطها وحيويتها. وهذه هيا كل محمومة العيون مسمومة النصال ، تحملق بعضها فى بعض فوق أكوام من الأنقاض والرماد كانت فيما مضى دولاً ذات سلطان وحضارة . أما لهذا البلاء من آخر ؟ أمقضىٌّ

علينا أن نهوى رويداً رويداً فى مهاوى العذاب الذى لا يحد إلى درك الجاهلية الأولى؟ أم فى وسعنا أن نتجنب هذا المصير ؟

وقديماً قالوا إن أسيراً إسبانياً ظل سنين يذوى ويذوب حنيناً إلى الحرية ، وفى ذات يوم دفع الباب فانفتح ، فقد كان مفتوحاً لم يوصد قط ، فخرج حرًّا طليقـاً . وإن فرصة كمثل هذه الفرصة متاحة اليوم لشعوب أوربة ، أتراهم ينتهزونها ؟ أو يتاح لهم أن يفعلوا ؟ وهل يجدون متسعاً من الوقت ؟ إن قلب رجل شيخ ليخفق رحمة لهؤلاء القوم المساكين . ما أطيبهم ! وما أرقهم ! وما أكرمهم ! وما أسرع بعضهم إلى نجدة بعض وهم فى قراهم ! وما أقدرهم على التقدم المتواصل والتحسن الذى لا يحدُّ ! وها هم يجدون اليوم على أعتاب أكواخهم : العلم والاختراع والتنظيم والمعرفة — والسلطان أيضاً .

لقـد أعلن الرئيس روزفلت الحريات الأربع ، وأكبرهنّ التحرُّر من الخوف ، وهذا لا يعنى التحرر من خوف الحرب وحسب بل أخطر من ذلك شأناً وأوقع فى النفس : الخوف من دقة الشرطى على الباب ، فيدخل ويأخذ العائل أو الابن أو الصديق الصدوق ويلقى به فى الظلمات ، دون أمل فى ردّ الظلم أو فى الظفر من الدولة بعدل . وهـذه هى الأحوال التى تسود معظم أوربة اليوم .

ومع ذلك ففى الوسع أن يكون لـكل هذا آخر . وكل ما ينبغى لمئتى مليون أو ثلاثمئة مليون من أهل أوربة هو أن يعزموا على أن يصيروا أحراراً سعداء ، بأن يصبحوا أسرة واحدة متآزرة من الأمم ، من المحيط الأطلسى إلى البحر الأسود . نفضة واحدة من العزم ، وإذا باب السجن ينفتح على مصراعيـه ، فيخرج الأسرى إلى الشمس المشرقة على عالم يغمره الفرح والغبطة . ولست أخفى عن القارىء أننا فى حاجة إلى عمل علوىٍّ ، ولـكنه عملٌ بسيط ، قف على قدميك ، ولـكن لنقف جميعاً دفعة واحدة.

وفرنسا هى البلد الذى ينبغى أن تصدر عنه هذه الإشارة ، وأول ذلك أنه يقتضى منها غلبة على النفس أنبل وأعظم من أى شعب عظيم آخر يتقدم لـكى يتولى هذه الزعامة ، والثانية أنه لا يسع فرنسا أن تستعيد مجدها الحق ومنزلتها بين الأمم بطريق غير هـذا الطريق . فعـلى فرنسا الآن أن تأخذ بيد الشعب الألمانى وترده إلى إخاء البشر وأسرة الأمم . وما النصر إلا أن تحوز القدرة على أن تعفو عن المغلوب وترشده ، وهذه هى الغنيمة التى يتألق بريقها أمام عيون الشعب الفرنسى فى هذه الساعة الخطيرة من ساعات تاريخهم الطويل .

وإنه ليشجعنى على هذا الرأى صوت رجل مشهور ينبعث من أعماق الماضى . ففى سنة ١٨٧١ ، كانت نار الحرب مستعرة بين الجمهورية الفرنسية وألمانيا ، فإذا فيكتور هوجو يقول: «وسوف نسمع فرنسا تصيح: هذا يومى. فهل أنا عدوك ؟ كلا! أنا أختك فقد استعدت كل شىء ، ولكننى أعيده كله على شرط واحد: أن نكون شعباً واحداً متحداً ، وأسرة واحدة، وجمهورية واحدة. سأدمر حصونى ، وتدمرين حصونك ، إن ثأرى هو الإخاء . فلتمح الحدود ، وليكن الراين نهراً لنا جميعاً ، أعطونا الولايات المتحدة الأوربية، اتحاد القارة، حرية أوربة» .

ولكن هذه الرسالة التى تشق حجاب الغيب لم تلق أذناً مصغية ، وسارت الحوادث فى اتجاه آخر. وقد ابتلينا بحربين رجتا العالم كلهُ ومزقتا أوصاله ، ونحن نسمع اليوم حديثاً عن حرب ثالثة تقضى على البقية الباقية من حضارتنا وإنسانيتنا .

إن رجاء البشر معقود بهيئة الأمم المتحدة. وإنشاء هيئات أو اتحادات إقليمية تحت هيمنة الهيئة العالمية العليا ، أمرٌ يتطلع إليه الميثاق بل يحث عليه ، فينبغى لنا أن نعلم الآن أن الهيئة العالميــة تعجز عن القيام بمهمتها بغير هذه الاتحادات الإقليمية .

وحين تؤلفُ أمة ما ، أو عصبة من الأمم المتحالفة ، جيشاً عظماً ، يكون لهذا الجيش مقرٌّ قيادة عامة، ولكن من الذى يستطيع أن يزعم أن القيادة العامة تستطيع أن تعالج مباشرة شئون جمهرة من الكتائب والفرق ولكل منها قائدها الذى يطالب بكل ما تحتاج إليه لإنجاز المهمة الخاصة بها ؟ وكل إنسان يعلم أنه لابد من إنشاء جماعات من الجيوش وفيالق، لكل منها هيئة أركان حربها المنظمة ولكل سلطانها ، وأن هذه الهيئات وحدها هى التى تستطيع أن تنفذ أمر القائد الأعلى، فيكون لإدارته أثر قوى فى سير الحرب . ولولا هــذا النظام لعجزنا عن تولى مهامِّ الحروب العظيمة على وجه مجدٍ موفق .

فللأسباب نفسها ترى هيئة السلام العالمية خليقة أن تتهاوى أنقاضاً أو أن تتبحَّر كلاما أجوف، إذا لم تنشأ هذه الهيئات التى تتوسط بينها وبين الشعوب أنفسها . وأى شىء أدنى إلى العبث والإخفاق من جماعة من الدول الصــغيرة تتحكم فيها بضع دول كبيرة تثرثر بألفاظ الوحدة العالمية، وتعمل جميعاً لخدمة المصالح الخاصة، ثم تجتهد أن تظفر بالأصوات لإقرار ما تريد ؟

والحقُّ أنه قد تمّ تقدم عظيم فى إنشاء هــذه الكتل الثانوية القوية ، ونحن نرى بأعيننا اليوم أن هذه العُمُد التى يقوم عليها صرحُ العالم ، إنما هى حقائق شامخة

إلى العلى . فثمة الولايات المتحدة الأمريكية داخل جماعتها الكبيرة التى تضم أمم الشق الغربى من الأرض ، وهناك اتحاد السوفيت ومن حوله الجماعات السلافية التى تؤاخيه ، وهناك الإمبراطورية البريطانية وجامعة الأمم البريطانية منتشرة فى أرجاء الأرض تؤلف بينها آصرة من التعاطف .

ولا بد لنا من أن نتطلع إلى قيام جماعة أسيوية تعتز بروح آسية وتنميها ، ففى الشرق الأقصى شعوب زاخرة العدد ، تراها اليوم متردية فى هوة الهزيمة والفوضى الداخلية ، بيد أنها ستعرب يوماً ما إعراباً صادقاً عما فى ضميرها .

فلِمَ لا يكون بين هذه العمد مكان لأوربة — القارة الأم ، الينبوع الذى لم يكن كل ماتفجَّر منه هو مصائبنا وحسب ، بل الينبوع الذى تفجرت منه أيضاً أعظم طائفة من أمجاد الحضارة الحديثة ؟

ولأبسط هنا ما ينبغى لنا أن نفعل . ينبغى لأمم أوربة أن تتعلم أن تدعو نفسها أمماً أوربية ، وأن تعمل على هذا الأساس على قدر مالها من سلطان سياسى ونفوذ وحرية . فإذا ما سادت الفكرة الأوربية بين الذين يعنيهم الأمر ، تفتحت أمامهم سبل كثيرة للعمل .

فأول ما ينبغى أن ينشأ مجلس أوربة ، وينبغى لهذا المجلس أن يسعى إلى أن يجعل التجارة بين أعضائه أعظم ما تكون حرية وثمراً ، وأن يعمل على إلغـــاء الحواجز الجمركية بين الدول الممثلة فيه أو خفضها على الأقل ، وأن يجاهد ليجعل الائتلاف الاقتصادى تمهيداً للوحدة الاقتصادية . ثم ينبغى لمجلس أوربة أن يتطلع إلى نوع من الدفاع المشترك يستطيع أن يحفظ النظام ويتيح لأعضائه أمناً متبادلا ، ويمكن أوربة من أن تشترك اشتراكا نافذ الأثر فى قرارات هيئة الأمم المتحدة .

والسعى إلى توحيد النقد شىء لا يمكن أن ينفصل عما تقدم . ومن محاسن الحظ أن قطعة النقد لها وجهان ، فأحدها ينقش عليه الشعار القومى ، والآخر ينقش عليه الشـــعار الأوربى . أما طوابع البريد ، والجوازات، ووسائل الاتجار، والاجتماعات الأوربية من أجل الثقافة أو التـآخى أو الإحسان، فتنحدر تحدراً طبيعياً من الاتفاق الأصيل .

فإذا عجزت الحكومات فى أول الأمر عن أن تعمل عملا رسميًّا لتحقيق هـذه الأغراض ، فينبغى أن تقوم هيئات شعبية قوية تتولاها . وليس ثمة ما يحمل على الظن بأن الحكومات القائمة تعارض هذا ، وإن كانت عاجزة عن المبادرة إليه . وقد صرح

المستر أتلى رئيس الوزارة البريطانية : « ينبغى لأوربة أن تتحد أو تهلك » . وكبار القابضين على زمام السلطان فى أوربة أو خارجها يرون الرأى نفسه . وقد بدأت بلاد البلجيك وهولندة ولكسمبرج ، منذ الآن تنفذ هذا الرأى دون ضجة أو إعلان.

وقد كثر الكلام عن « الكتلة الغربية »، بيد أن إنشاء « كتلة غربية » مشروع ضيق النطاق لا يفى بالغرض . وليس ثمة شىء يستطيع أن يولد القوة الدافعة اللازمة للبقاء ، سوى فكرة « أوربة » و « النزعة الأوربية » . ومن الجائز أن لا تكون كل دولة قادرة أن تنضم إلى هذا المجلس من فورها ، ولكن لابدّ من أن نخطو الخطوة الأولى . ولا بدّ أن تكوّن النوّاة ، حتى يتاح لمن يريد أن ينضم إليها ساعة يلفى نفسه راغباً فى ذلك أو قادراً عليه . فلهذا الهدف من القوة والسلطان ما يجعل تحقيقه على التدريج أمراً مستطاعاً .

وقد قيل لنا إن فكرة أوربة الحرة المجدّدة ، هى فكرة مناهضة للسوفيت فى صفتها وغرضها وأثرها . وهذا غير صحيح . فليس فى الولايات المتحدة الأوربية شىء تخشاه شعوب روسيا وآسية المنضوية تحت لواء الاتحاد السوفيتى ، بل فيه نفع كبير تجنيه ، وبخاصة لأن هاتين الطائفتين من الشعوب منضويتان تحت لواء هيئة الأمم المتحدة، وينبغى أن تكونا مخلصتين لأحكامها. والكتلة العظيمة التى هى روسيا السوفيتية، لن تتمكن من أن تتيح لشعوبها حياة أفضل من حياتهم إلا عن طريق الحافز الموحِّد الذى تمده التجارة العالمية والاتصال بين شعوب العالم .

وإنه ليهول المرء أن يسمع أحدهم يقول إن القنبلة الذرية فى يد الولايات المتحدة الأمريكية ، هى خير ضمان للإنسانية يوقيها شر حرب عالمية ثالثة . ومع ذلك فأظنه قولا حقاً ، فبين شعوب الأرض فروق أعظم مما كانت بينهم فى الحروب الدينية فى عهد الإصلاح فى أوربة ، أو فى وجوه النزاع السياسى والاجتماعى الذى أعقب الثورة الفرنسية ، أو فى صراع القوة مع ألمانيا الهتلرية الذى انتهى منذ زمن يسير . إن الهوة بين الشيوعية من ناحية ، والحضارة الأوربية من ناحية أخرى ، لهى أوسع وأعمق ما عرفه البشر فى تاريخهم .

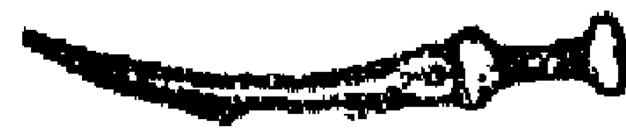
ووراء الشيوعية ترى القوة العسكرية الروسية التى تعد قوة ساحقة ، إذا اقتصر النظر على أوربة وحدها . وهذه القوة فى قبضة ثلاثة عشر رجلا أو أربعة عشر رجلا كلهم قادر مقتدر . وليس فى وسعنا أن نقيس مبلغ ما يتعرض له هؤلاء الرجال من ضغط

فى بلادهم ، ولا نستطيع أن نعرف مبلغ انسياقهم لأطماع جائرة تدفعهم إلى غزو العالم. فنحن نواجه رأياً وسيفاً فى وقت واحد .

ولو كانت المسائل العالمية المطروحة للبحث الآن مما يمكن أن تفصل فيه جيوش البر وحسب، لكان مستقبل الديمقراطيات الغربية بل مستقبل الحضارة الحـديثة ، مستقبلا قاتماً حقاً .

والقنبلة الذرية هى العامل الجـديد فى توازن القوى ، وكل إنسـان يعلم أنها لن تستخدم إلا دفاعاً عن النفس وردًّا لأذى مميت . وما دام هذا السلاح الأعلى فى يد الولايات المتحدة وحدها ، فأغلب الظن أنه سوف تتاح للعالم فسحة من الوقت للتنفس . ولسنا ندرى كم تطول ، فلنكن على ثقة من أنها لن تضيع هباء .

وإذا استطعنا أن نبعث فى هذه الفسحة حياة أوربة ووحدتها وثقافتها ، ثم نستعين بما بعثنا على تشييد صرح عالمىّ متين باذخ للسلام لايجرؤ أحد على أن يتحداه ، فيومئذ نخلف وراءنا أفظع أزمة فى التاريخ، ونستقبل طريق المستقبل الممهد أمامنا .



أومن أعظم الإيمان بالحظ ، فعلى قدر
مايزداد اجتهادى فى عملى يزداد حظى .
[ف . ل . إمرسون]



جاء على لسان أحد المهرجين الحكماء أنه يولد فى كل دقيقة مخلوق مغفل ، فلو علم ماوقع فيه بعض الأمريكيين لغيرّ رأيه ، ولزاد فى تعداد الذين يولدون من المغفلين كلّ يوم . فقد كشفت مصلحة البريد الأمريكية منـذ عهد قريب عن خطة شيطانيـة لابتزاز أموال المغفلين من الناس . ذلك بأن أحدهم نشر إعلاناً فى الصحف هذا نصه : « آخر فرصـة تتاح لك كى ترسل ريالك إلى صندوق البريد رقم ١٠٦ » ولم يزد عليه حرفاً واحداً . ومع ذلك فقـد وقع مئات من المغفلين فى هذا الشرك ، فأرسلوا ريالاتهم إلى هذا العنوان دون أن يدور فى خاطرهم أن يسألوا مَنْ يجمع هذه الريالات وفى أى سبيل ينفقها . أما صاحب الإعلان فقد أخذ الريالات .

[مجلة « تدبير المنزل »]

أعلمٌ أم وَهمٌ ؟

(١) إذا تركت الشعر زمناً طويلا فى الماء صار دوداً .

خطأ : ولعل مرجع هذا الوهم إلى أن الماء الراكد يصلح لنمو ضروب البكتريا والعفن والديدان الخيطية وغيرها من الأحياء الدقيقة ، وبعضها يشبه الشعر .

(٢) الضفادع تشرب الماء بجلدها .

صواب : فالضفادع تستطيع أن تمتص الماء بجلدها ، بل تستطيع أن « تشرب » الماء من ورقة نشَّاف مبلولة .

(٣) النملُ تشمُّ أحيانا بقوائمها .

صواب : يظن علماء الحشرات أن النمل تستطيع أن تهتدى بأرجلها إلى رائحة درْب تسير عليه ، وتستطيع أيضاً أن تتبين الروائح بطائفة من مفاصل قرونها ، ولكن إقامة الدليل شىء مستحيل .

(٤) يعتقد الناس أن العقبان تخطف الصغار .

خطأ : فقد عنيت جمعيات علوم الطير بتتبع الروايات التى نشرتها الصحف فى هذا المعنى فى السنوات العشرين الأخيرة ، فأثبتت أن الروايات وصورها ملفقة .

(٥) للقمر تأثير فى نموّ الخضر .

خطأ : ليس فى وسع النبات أن ينتفع بالضوء المعكوس عن سطح القمر فى تركيب مواد الطعام كانتفاعه بضوء الشمس ، وذلك لأن ضوء القمر ضعيف لا يغنى . أما وجوه القمر فليس لها تأثير فى المحاصيل ولا فى حالة الجوّ .

(٦) البغال لا تلد .

خطأ : البغال حيوانات خلاسية ، فهى لذلك عقيمة لا تلد فى الأغلب الأعم ، ولكنّ العلماء ذكروا بعض حالات ولدت فيها البغال .

(٧) الحيّات لزجة البدن .

خطأ : الحيّات حيوانات باردة الدم ، وحرارة أبدانها قلما تزيد على حرارة بيئتها ، فهى لذلك تبدو باردة رطبة إذا لمستها يد إنسان ، ولكنها ليست لزجة .

(٨) الماء الساخن أسرع إلى التجمُّد من الماء البارد ؟

خطأ : الماء البارد أسرع ، ولكن الماء الذى أغلى ثم ترك حتى يبرد ، فهو أسرع إلى التجمد من الماء العادى ، لأن الإغلاء أخرج منه بعض فقاقيع الهواء الموجود عادةً فى كلّ ماء .

(٩) يجثم الطائر على سلك كهربائى بغير أن تقتله الكهرباء .

صواب : لأنه غير متصل بشىء آخر أو بالأرض فلا تتم الدورة الكهربائية .

(١٠) الطماطم من الخضر .

خطأ : هو من الثمار فى علم فلاحة البساتين .

دفاع عن العفة

مرجريت كلكنج بانج

استغرق إعدادُ هذه المقالة أكثر من سنة كاملة ، حتى بنيت على أساس من البحث المستفيض ، ومن الأحاديث الكثيرة ، ومن البيانات التى قدمها الأطباء وعلماء النفس وغيرهم ممن يقضون أيامهم فى معالجة المشاكل التى تعقبها العلاقات الجنسية . ففى وسعنا إذن أن نقول إنها لا تقتصر على بيان الرأى الذى انتهت إليه الكاتبة بعد تدبّر ، بل فيها أيضاً أوثق ما اجتمع من الآراء حتى يومنا هـذا . والسيدة مرجريت بانج أمّ أربعة من الأبناء ، وقد ذاع صيتها بما كتبت من المقالات الكثيرة فى مسائل الشباب والزواج والأسرة .

إذا كان للعفة قضية أو مشكلة ، فلا مندوحة إذن من عرضها وبيانها .

ولا يزال كثير من الناس يجد فى اتباع ما يأمر به الدين وقوانين الأخلاق، ما يقنعه فى حل هـذه المشكلة . بيد أننا نرى أن تفكير البشر قد أخذ يجنح إلى تجريد الرأى من وحى الأديان ، وأخذت الألسنة تردّد إنكارَها أن تكون العلاقات الجنسية خاضعة لقوانين الأخلاق ، فمن أجل ذلك أصبحنا اليوم نرى آلافاً لا تعد من الشباب ترى أنها حرة فى « أن تفصل فى هذا الأمر بما تراه » ، إذا كان من الممكن أن تستعمل هذه العبارة فى أمر هذه العلاقة التى تكاد تكون دائماً وليدة العواطف الجامحة .

وهؤلاء الشباب يفصلون فى هذا الأمر بغير معرفة كافية ، ودون أن يسمعوا الحجج بتمامها . فقد قيل لهم إن « كل امرىء يفعل ذلك » ، وأنّ الفسوق والمخادَنة أيضاً « صارت شيئاً هيّناً لا خطر له » . وهذا الكلام المضلل قد يفضى إلى ارتكاب أشياء لها بلا ريبٍ أثر لا يزول فى حياة الفتاة التى تقارفها ، بل إنها تحدث فى الفتاة تغييراً ينال من نفسها كما ينال من بدنها .

أوَلم تر مَرّة تلك السيارة التى مالت إلى ناحية خالية من الطريق فوقفت وأطفأت أنوارها ؟ ألم تسمع ببعض تلك الفنادق التى تتيح لمن ينزلها مكاناً يخلو فيه ساعات إلى من يحبّ ؟ ولقد أخبرنى عميـد إحدى الجامعات المختلطة أن أكثر الفنادق التى تقع على مقربة من أرض الجامعة ، تفتح

أبوابها للفتيان الذين يريدون أن يختلوا ببعض الفتيات ليلا . وقد أرسلت بعض الأسئلة إلى نحو ١١٠٠ طالب وطالبة فى إحدى الكليات ، وإلى ٢٠٠ من الطلبة المنتسبين ، وسجلت أحاديث دارت مع نحو ٣٠٠ منهم ، فظهر منها جليًّا أنّ بعضَ الحرَج من العلاقات الجنسية لا يزال قائماً فى نفوس بعض جماعات الطلاب . وتبين منها أيضاً أن بعض الفتيات اللواتى يُؤْثرن التحصن حتى يتزوجن ، لا يستنكرن ما يقارفه سائر صديقاتهنّ من العلاقات الجنسية . هذا ونحن نعلم أيضاً أنه تسجل فى الولايات المتحدة أسماء ٥٠,٠٠٠ أمّ لا زوجَ لها فى كل سنة ، وأن كثيراً من أمثالهن لا تسجل أسماؤهن لأنهن يجدن من المال أو الجاه ما يعينهن على التخلص من تسجيل أسمائهن ، وأن كثيراً من عقود الزواج قد تبين فيما بعد أنها تمت بعد الحمل ، وأن أساليب ضبط النسل والإجهاض تمنع ظهور الأمومة فى كثير من العلاقات غير المشروعة .

ومع ذلك فينبغى أن لا ننسى أن الفسوق وإن كثر بين الناس لم يبلغ بعد أن يكون هو الأصلَ ، فالعفـة لا تزال هى الأصلَ القائم . فجماعات البشر لن ترضى أن تشيع بينها هذه الفاحشة ، ونظامها أيضاً لم يقم على إباحة شيوعها . وأظن أن كل أحد يعرف كما أعرف فتيات كثيرات لم يأتين قط هذه الفاحشة ، ويعرف أخريات لا يجدن إلى إتيانها سبيلا ، فهنّ يعشنَ على نظام متبع ، وتشغلهنّ عنها الدراسة أو الرياضة أو شئون البيت أو أعمال الخير فى المجتمع .

بيد أنه ما من أحد منهم إلا وانتهى إلى سمعه مالا يمكن تجاهله من همس يتردّد اليوم فى كل ناحية ، من ناس يدعون إلى التغاضى عن إثم الفسوق ، بل إلى الدفاع عن العلاقات الجنسية قبل الزواج . وذلك وحده سببٌ قوى يدفعنا إلى تتبع هذه الحقائق الظاهرة وكشف اللثام عن قليل مما لا يزال مكتما ، حتى فى هذا العصر عصر الصراحة . ويعتقد بعض الآباء أن هـذا الموضوع مما لا ينبغى أن ينشر أو يذاع ، مخافة أن تُفضى مناقشته إلى إثارة الشوق الجامح أو إلى تنمية الرغبات الآثمة . بيد أن الكتمان أشدّ من المناقشة السافرة أثراً فى إحداث هذا الفساد ، وأكبر من ذلك أن الشباب يتصارحون فيما بينهم صراحة تزيد على الأيام ، فالصمت الذى يلوذ به الكبار لا معنى له إلا أن يزيد الهوّة التى بينهما اتساعاً ، تلك الهوة التى فرقت بينهما فى كل ما يحتاج إلى المشورة والتعاطف .

كثيراً ما تسمع الشبان الذين يجادلونك

فى أمر العلاقات الجنسية يقولون: «ولم لا ؟» ويعدونها شيئاً هيناً لا خطر له ، ولكن مما له أعظم دلالة أنك لا تسمع مثل هـذه الاستهانة من طبيب واحد من الأطباء الذين عالجوا آلافاً من هذه الشئون ، واءتمنوا على آلاف من أسرارها ، ولن تجـد فى علمـــاء النفس الذين تقصَّوا مشا كل العلاقات الجنسية الخارجة عن علاقات الزواج ، من يستخفُّ بها وبخطرها . نعم إنه من البين أن القول الفصل فى كل حادثة على حِيَالها إنما مردّهُ إلى ضمير المرء وإلى عواطفه ، بيد أن كل رأى يراه العلماء والأطباء الذين تتيح لهم أعمالهم أن يتبينوا آثار الفسوق فى الفرد وفى الجماعة ، ينبغى ولا مراء أن يذاع على الناس كافة .

فأول ذلك ، ما يعرفونه من الحقائق عن الأمراض التناسلية وعن الإجهاض . فجماعة الصحة الاجتماعية فى أمريكا مثلا تقدّر أن خمسة فى المئة من الأمريكيين مصابون بالزهرى ، وأن عشرة فى المئـة مصابون بالسيلان . وأعلى نسبة يبلغها الزهرىّ تكون فى صدر الشباب ما بين السادسة عشرة والثلاثين من العمر . فإذا أمكن قطع دابر الأمراض التناســلية ، فكل ما جنيناه هو القضاء على خطر واحد من أخطار الفسوق. ومع ذلك فلا تزال بيننا وبين هذا الهدف نفسه شقة بعيدة . وعلينا أيضاً أن لا ننسى ذلك الخطر الشديد الدائم الذى يهدد الفتاة بالمرض من جراء العلاقات الجنسية قبل الزواج ، وذلك لأنه ما من فتاة تذهب مختارة إلى الطبيب لتسأله المشورة .

فالفتاة تعرف ما تعرف من ذلك عرضاً واتفاقاً — وأكثره خطأ وباطل . وهى عرضة لأن تظنّ أنها تكون بمنجاة من الحمل باستعمال بعض الموانع التى تنجى منه ، فلنسمع إذن ما يقوله الدكتور حنا ستون أحد كبار أطباء النساء فى نيويورك :

«إن ما تصنعه خير الشركات من موانع الحمل لا يوثق به البتة . فهذه شركة تتمتع باحترام الدوائر الطبية تعلن عن نوع من المراهم لا تكاد تبلغ نسبة نفعه ٦٠ فى المئة . أما كل أنواع اللبوس المعروضة فى الأسواق فنسبة نفعها ما بين ٤٠ فى المئة و ٥٠ فى المئة . وأما غسول الرحم فربما بلغت نسبة نفعه ١٠ فى المئة . ثم يزيد الأمر تعقيداً أن بعض النساء أشد تأثراً ببعض موانع الحمل من بعضها الآخر » .

ويؤيد هذا الرأى أيضاً الدكتور موريس

بيجلو ، مدير معهد الأبحاث العلمية . فقد تولى معهده اختيار مئات من العوازل (الأكياس) المصنوعة من المطاط ، اشتروها من شركة من أوثق الشركات ، فنبذوا من كل ١٠٠ عازل ٢٥ عازلا لعيوب فيها . أما المستحضرات الكيميائية فتفقد قوة تأثيرها إذا لم تكن جديدة كل الجدة . ومعنى هذا كله أن ما يقال فى وصفها من أنها « تجعلك بمنجاة من كل خطر » ، ليس غلوًّا قبيحاً ومجانبة للحق وحسب ، بل هو أيضاً باطل . ومما يزيدها بطلاناً ما يكتنف الفسوق من الأحوال المعروفة عند الناس .

وتدل الأرقام دلالة لا يتطرق إليها الشك على أن هناك عدداً هائلا من النساء يلجأ إلى من يزاولون الإجهاض . ولا مراء فى أن كثيرات منهن قد سمعن ما تثرثر به الألسنة عن الإجهاض وأنه شيء هين لا يؤود المرأة احتماله . فليسمعن أيضاً : أن عشرة آلاف فتاة وسيدة تفيض أرواحهن فى كل سنة على يد الذين يزاولون الإجهاض . ويقول الدكتور فردريك توسيج :

«إن خطر الالتهابات فى الإجهاض يبلغ عشرة أضعاف خطرها فى الولادة الطبيعية ، وذلك لما يقتضيه الإجهاض من العنف فى الوصول إلى جوف الرحم . أما فى الولادة فذلك قلما يكون . وفصلا عن ذلك فإنك تجد فى مقابل كل امرأة تموت من الإجهاض ، عدة نساء تلحقهن عاهة تدوم أحياناً ، أو يصيبهن العقم ، أو يعانين إذا حملن ثانية آلاماً ، وكل ذلك من جراء هذا الإجهاض » .

وليس هذا وحده هو الخطر الذى يجب أن تعرفه ، فإن آثار الإجهاض على النفس الإنسانية لا تكاد تقل عن ذلك خطراً . فالفتاة المجهضة تعيش أيامها فى عذاب من ذعر جاثم ، وفى حزن دائب على طفلها الذى ثكلته . والإجهاض لا يقتصر على الأذى الذى يُلحقه بصحة المرأة ، بل يلحق الأذى أيضاً بشعورها وعواطفها . فالمرأة فى ساعة الوضع تمتلىء نفسها بغضاً للعلاقات الجنسية وعواقبها ، ولكنها لا تلبث أن تحمل وليدها بين يديها فيكون لها جزاءً عما تحملت من الآلام ، وتجد إلى جوارها زوجاً يظلها بحمايته ، وتتلقى من المجتمع احتراماً وتوقيراً . أما الفتاة التى تذهب إلى طبيب يجهضها فإنها تجد فى نفسها لذعة ذلك البغض ، ولكنها لا تجد طفلا يعزيها ولا زوجاً يحميها ليكونا وقاءً لها مما عساه يعتلج فى صدرها من حقد ينتهى إلى بغض الرجل الذى أحبت ،

أو إلى التفزع من العلاقات الجنسية إذا ما تزوجت فى مستقبل أيامها .

فهذه الأخطار جميعاً ـ المرض والإجهاض وآفات العواطف ، والموت أيضاً ـ تكتنف كل العلاقات التى تكون قبل الزواج ، بيد أننا نرى كثيراً من الناس يخوضون غمارها جميعاً ثم تكتب لهم النجاة . فإذا نجت الفتاة سالمة منها جميعاً ، أفيكون معنى ذلك أن الإشكال فى قضية العفة قد انتهى ؟ كلا فإن الحجة المؤيدة للعفة ليست بقوية ولا غالبة إذا هى قامت على خوف العواقب وحسب . فيقول الدكتور توماس باران كبير أطباء الحكومة الأمريكية : « لم أزل أتمنى أن يخلو برنامجنا الصحى من كل رادع من روادع الخوف . فإذا فرضنا أن الزهرى والسيلان مرضان لا وجود لهما ، فإن مزية قصر العلاقة الجنسية على إنسان واحد سوف تبقى فيما أعتقد مزية قائمة على ما ينطوى فيها من الفضائل » .

وإذن فما هى هـذه الفضائل التى تقيم الحجة على وجوب العفة ؟ وإليك عبرة من العبر تنطق بها امرأة التمست متاع العلاقة الجنسية فى غير الزواج :

« كثر حديث الناس عن أضرار الحسرة التى تأكل قلب المرأة التى تأبى على نفسها أن تعطى بدنهـــا ما يتطلب من لذاذات الحب . وأنا أرى أن هذا العذاب المبهم المعاوِد لا يكاد يعد شيئاً بالقياس إلى الحسرة التى تبتلى بها المرأة التى تلتمس السعاد فى الحب بغير الزواج . فالفتاة عند المباشرة الأولى تنطلق كل غرائزها الجنسية الكامنة من إسارها وتحتشد احتشاداً ، وتتنبه لأول مرة فى حياتها إلى المآرب التى ينطوى عليها الحب والزواج . ولكنها تعرف عندئذ ، والإخفاق يملأ قلبها قنوطاً ، أنه كتب عليها أن يظل تحقيق هذه المآرب إلى الأبد ناقصاً لا يبلغ تمامه . إنه إحساس خفى متغلغل لا يحس به إلا من ابتلى به . ويورث هذا الإحساس نزاعاً فى النفس يلقى ظله القاتم على لذة كان المرء يتوقع أن يجد فى كل نواحيها إشراقاً وحرية» .

وبقى كثير يقال ، فإن التبكير فى مزاولة العـلاقات الجنسية كيفما اتفق ، يفضى فى الغالب إلى إفسادها وإضعافها إذا جاء زمن نضجها . يقول هولنجزورث فى كتابه عن « تحليل نفسية المراهق » : « إن التبكير فى مزاولة العلاقات الجنسية قد يمنعها أن

تنضج ، إذ يحصر الأمر كله فى شعور البدن بالراحة التى تعمها » — أما العلاقة الناضجة فالنفس تتذوق فيها ضروباً من اللذات العقلية ومن الإحساس بالجمال . وإنك لتجد كثيراً من الفتيات يتفاخرن بأنهن « لا يتجاوزن حدّ العناق والملامسة » ، وهن لا يدركن إلى أى مدًى مخوف قد تجاوزن حدّ السلامة . فهذا عميد إحدى كليات البنات قد أطال استقصاء هذا الأمر، فانتهى إلى أن الملامسة خليقة أن تورث الفتاة عادات تخيل إليها أنها نالت كفايتها بغير المباشرة ، ونكون عاقبة ذلك أن تدخل على عواطف الفتاة آفة تجعلها غير صالحة للزواج وما يقتضيه . وقد جزم بعض الثقات بأن الملامسة أعظم خطراً من المباشرة التامة، لأنها تقضى قضاءً مبرماً على التمتع بالمباشرة الطبيعية . وقد قال أحد علماء النفس الذين يقصدهم الناس للاستشارة فى أمثال هذه الشؤون : «إن شعور الاكتفاء الذى تورثه الملامسة يجعل الأنثى تشعر بأن المباشرة عمل بغيض إليها . فالفتيات اللواتى أسرفن فى الاكتفاء بالملامسة ، يشق عليهن أن يجدن راحة فى المباشرة الطبيعية ، وقلما يجدن فى الزواج راحة أو سعادة » .

نعم إنه من العسير أن يحدد المرء حدًّا ينتهى عنده العناق بين الذكر والأنثى ، بيد أن كل فتاة تستطيع أن تفرّق بين الضمة البريئة الخالصة التى هى تعبير عن الحبّ الغرير ، وبين الضمة التى تنطوى على الشهوة الفائرة . نعم إنها لتستطيع أن تفرّق ما دامتْ تتبَعُ فطرتها السليمة ، ولكن ينبغى فى هذا المقام أن لا ننسى تأثير الشراب. فالناس يعرفون أن الخمر تلهبُ الإحساس ، فهم يستعينون بها على إثارة شهوات الفتيات. والفتاة إذا شربت ، وبخاصة إذا لم يكن الشراب عادة لها ، شقّ عليها أن تهيمن على آرائها أو أعمالها . فلو ظلّت حقاً قادرة على الهيمنة على نفسها حتىّ « تعلم ما تأتى وما تذر » ، فمن المشكوك فيه أن تكون تعلم أن الأطباء وعلماء النفس يرون أنها بهذه الملامسة قد تجلبُ على نفسها ضرراً لا يزول ولا ينمحى .

فإذا بلغت الفتاة منتهى الغاية فيما تقترف فماذا تكون العاقبة ؟ إنّ عفاف كل فتاة عذراء إنما هو نسيجٌ محكم : من أخلاقها ، ومن أعصابها ، ومن تركيب بدنها ، ومن تفكيرها . فهل تراها تعلم حق العلم أىّ تغيير عميق الأثر يلحقُ هذا النسيج المحكم فى دقائق قليلة تستسلم فيها لنوازع الغريزة ؟

إن الفتاة إذا فرّطت فى عفافها ، فأغلب الرأى أن تنهار معه شريعة أخلاقها . نعم قد تظنّ الفتاة أنها غير خاضعة لشىء من أمثال

هذه الشرائع ، ولكنها تنسى أنها لا تستطيع أن تخرج من تحت سلطان العرف والشعر والخيال ، وإن كانت لا تؤمن بشيء من زواجر الدين ونواهيه . فمن أجل ذلك ترى كثيراً من الفتيات لا يجدن عند المباشرة الأولى مناصاً من الشعور بالإثم ، فيظل ثابتاً لا يفارقهن قط . وهـذا « الشعور بالإثم » قد ذكره كل طبيب تقريباً من الأطباء الذين تقصوا مثل هذه الأبحاث . فمهما خلت النفس من الشعور بخطيئة قارفتها لأنها خرجت على أوامر الدين ، فإن نفوس السواد الأعظم من الفتيات لا تزال تحمل طائفاً ملحًّا من « الشعور بالإثم » .

والفتاة التي تشعر أنها قد ارتكبت خطأ تقاسي عذاباً مبرّحاً . نعم ، فقد يندمل الجرح الذي في ضميرها ويبرأ ولكنها تنقلب يومئذ امرأة مرائية كذابة ، وربما بقي هذا الجرح على حاله لا يندمل ما عاشت ، فتحمله وتسير به بين الناس في رعب جاثم من خوف العقاب والقـصاص . وكثيراً ما تراها بعدئذ تعزو ما تفتقده من لذاذات المباشرة إلى العقاب الذي استحقّته لما اقترفت من إثم .

وهناك أيضاً طائفة أخرى من الفتيات قد ضربن بالعرف المتبع عرض الحائط ، وهنّ لا يشعرن بأي حرج في نفوسهن ولا في شريعة أخلاقهنّ ينهاهنّ عن مباشرة علاقاتهن الجنسية . فماذا يكون مصيرهنّ ؟ مصيرهن أن يهجرهن خلانهنّ . والمرأة التي ترى هـذا الرأي تعتقد دائماً — وتصرّح بذلك في كل وقت — أنها تستطيع أن تتولى أمر نفسها بنفسها . وهذا في كثير من الأحوال هو أن تفعل ما يأذن لها خليلها بأن تفعله . وأخيراً ينتهي أمرها إلى أن تصير خارجة على المجتمع ، ولا تجد في المجتمع حامياً يحميها بظله . وقد ينطوي قلب هذه المرأة على جرأة هي جرأة الخارج على المجتمع ، ولكنها أيضاً تستشعر مثل الوحشة التي يستشعرها .

وقد ذكر أحد ثقات العلماء أن هناك فئة من النساء يزيد عددها على الأيام قد آثرن البقاء بغير زوج ولا ولدٍ ، لأن الخليل الأول قد هجرهنّ ، أو لأنهنّ وجدن ما يصبون إليه من شفاء غليلهنّ دون أن يحملن شيئاً من تبعات الزواج . وهذه الفئة ليست خطراً يهدد سائر المتزوجين وحسب ، بل هي في نفسها مأساة أيّ مأساة . فكثيرات منهنّ من ذوات العقول الراجحة والأبدان السليمة ، فكان حقاً عليهن أن ينتفعن بأنفسهنّ ، فذلك خير لهنّ من أن يحيين حياة معزولة عقيمة مجدبة .

وعلى رغم ما عسى أن يقوله بعض الناس من أن الأخلاق لا شأن لها بهذه القضية .

فرأيي أنهم إنما يرددون زوراً من القول ولغواً . وحسب الفسوق ولواحقه من التأثير على الأخلاق، أنه يجعل الفتاة حرباً على الجماعة التي تعيش بينها . وكثير من الفتيات يدخلن مختارات تحت لواء هذا الجيش ، فهن يحاربن كل نظام متبع يرين أنه خانق تضيق به النفس، وكل دين يزعمن لأنفسهن أنه عتيق قد مضى زمنه . ولكنّ هؤلاء الفتيات قلما يعلمن أيّ حق يحاربن ، وأيّ حصن يقهرن الغوائل في مستقبل الأيام يهدمن ، وأي حجة راجحة من التجارب والتاريخ تنقض رأيهن وحجتهن .

وأثر الفسوق والمخادنة على الأعصاب شيء عظيم الخطر أيضاً . فالتكتم والإخفاء قلما يتيح للمرء أن يجد ما ينبغي له من منزل أو راحة، فغاية المتكتّم أن يجد مأوى يستره لا مكاناً يستمتع فيه بالعيش . واذكر دائماً تلك الغرف الضيقة البعيدة عن العيون ، وتلك الفنادق الرخيصة ، وتلك السيارات التي تعتزل العمران — فإنها هي البيئة التي يترعرع فيها ما نسميه «الحب» . أما الأوصاف التي لا بد منها للفسق والمخادنة فهي : التعجل والحذر ، والتفزع من المفاجأة أو الفضيحة.

ولن تجد في هذه المسألة بعينها رأياً خيراً من رأي الدكتور أوليفر بترفيلد ، مدير دار إرشاد الأسرة في نيويورك إذ يقول:

«إنه ليس بالهيّن أن تظفر بالمطابقة بينك وبين المرأة، إذا أتيحت لك أحسن الأحوال الملائمة . فإذا ساورك شعور بالإثم أو خوف من الفضيحة فإدراك ذلك يكاد يكون أمراً مستحيلا . فإذا فاجأ الرجل أو المرأة شيء يضطر أحدهما إلى مشورة الطبيب الخبير ، أبى عليهما شعورهما إلا أن يخفيا تلك العلاقة التي بينهما. وهذا التكتم خليق أن يجرّ في أعقابه أشياء كثيرة . والأنثى العذراء قد تحتاج إلى مشورة الطبيب ونصيحته قبل المواقعة ، فإن المباشرة ليست أمراً تابعاً لهدْي الغريزة . والعلاقات الجنسية التي تسبق الزواج قد تفضي إلى عادات فاسدة يكون من العسير ومن المؤلم إقلاع المرء عنها بعد الزواج» .

فالفسوق لا يكاد يتم أبداً إلا بين رجل وامرأة يروّع قلوبهما الخوف والترقب في مكان لا يجدان فيه راحة ولا اطمئناناً ، وفي نفوسهما ريبة من عين رأت أو أذن سمعت . فالأذى الذي يلحق بأعصاب الفتيات الغريرات ، وهنّ في مثل هذه الحالة ، ومع الإجهاد الذي يصيبهن عندئذ من فرط التهيُّج — أذًى لا يقدر .

وقد اتفقت كلمة الناس على أن الكظم أو القمع ضارٌّ بكل إنسان تقريبـاً ، وبعض الناس يسوق هذه الحجة فى تأييد مقارفة هذه الفاحشة ، ولكنها حجة عليهم أيضاً . فالفسوق مهما علا صوته وصخبه متبجحاً باسم الحرية ، فهو يحمل الكظم والقمع فى ثناياه . فى الدنيا أماكن كثيرة لا يستطيع الفسّـاق أن يجاهروا فيها بأفعالهم . والفتاة الفاسقة محرومة دائماً من الحامى والرفيق الذى يخرج بها على أعين الناس . وتأتى عليها ساعات لا يسعها فيها أن توجه الحديث إلى الرجل الفَـرْد الذى انصرف كل هواها إليه وحده . وهذا شىء لا خطر له مادام الحب أو الشوق لا يزال فى طور النماء ، ولا يزال متبادلا بينهما من أعماق القلب ، فإن التكتم عندئذ يكفل لهما خلوة لذيذة محببة . بيد أن التجربة قد دلت على أن مثل هـذا التكتم يحمل فى ثناياه بذور البغضاء المريرة ، فالفتاة تنقلب فى العادة شديدة الامتعاض شديدة الكراهة للتخفى عن عيون الناس ، ولماحرمته من اعترافهم بمكانتها عنـدهم ، ويزداد على الأيام خوفها من افتضاح علاقتها بمن تحب .

نعم ، قد يتم الزواج بين الخليلين ، ولكن كلاهما لا يزال يخادع نفسه ويخادع صاحبه. فهما يباشران ما تقتضيه معيشتهما معاً من تبعات ومن جهود فى سبيل حسن العشرة بينهما ، ويحملان عَـبْء ذلك العمل الشاق الذى هو الزواج ، وقد حرما يومئذ لذات الابتهاج به وحـلاوة تكشُّف الأسرار الدفينة فيه ، وهما لذتان تجعلان هذه التبعات أحب إلى النَّفس وأيْسرَ محملا . والزواج شىء عسر ، برغم الدافع العاطفى الذى يحث عليه ، وبرغم الحسنات التى يثيب المرء بها . فإذا كان الرجل والمرأة قد فرغا من نَيْل متاع النفس قبل زواجهما ، واجها مشاكله بلا عونٍ من الثواب الطبيعى الذى يخفف من وطأتها ، فقلوبهما عندئذ عرْضةٌ لعقارب الغيرة ، وذلك لأن كلا منهما يعلم عن صاحبه ما يحمله على الريبة فى أمانته .

وثمة شىء آخر ، فإن عقدة زواجهما خليقة بأن تنحل . وأرجو أن تتذكر أن أكثر حديثنا هـذا منصبٌّ على الذين لم يتم نضج عواطفهم — أى على الشباب الذين يسرع بهم هواهم إلى طلب اللذة العاجلة وإلى روعة المغامرة . وهم قد سمعوا أن المباشرة فى زمن الصبا قد تكون عابرة هينة ولا ضرر فيها . ولكن هل سمعت الفتيات اللواتى يسلمن قياد أنفسهنّ لهذا الرأى ، مايقول به أعظم ثقات الأطباء وعلماء النفس — من أن المغامرة الأولى فى المباشرة الجنسية قلماتكون عابرة أو هينة فى نفس الفتاة ؟ وأنها لا تكسر شِرّة الغريزة الداعية إلى المباشرة ، بل هى

تزيدها سعراماً وشدة ، وتحصر رغبتها في شخص واحد بعينه ؟ ولهـذا يشعر أكثر الفتيات أن هناك رباطاً وثيقاً بين المباشرة والحب ، فتقـترن المبـاشرة في فكرهنّ بشخصية المحب اقتراناً لا ثغرة فيه . فكيف تكون العاقبة إذا كانت مغامرة الشاب عابرة كما هو أكبر الظن فيها ، فلا يلبث أن يدعها ويطير عنها إلى ثمار شهية أخرى يجتنيها ؟ إن الفتاة بعدئذ لن تنال شيئاً إلا العذاب المبرّح من لواعج الغيرة والحسرة والقنوط .

ومثل هذه الفواجع وما يأتي في آثارها من الشعور بالضعة والألم ، كثيراً ما تفضى بالمرأة إلى أن تصير بغيًّا . ولم يسمع الناس صوتاً واحداً قد ارتفع للمحاماة عن البغاء . وقد تختلف قوة الحماسة التي يذكرها الأطباء ما تعقبه العلاقة الجنسية قبل الزواج، ولكنهم مجمعون إجماعاً تاماً على ما في البغاء من أذى وشرور .

فالمرأة البغيّ لا تزال تشك فيما آتاها الله من فتنة وإغراء ، فتظل تلتمس اليقين من رجل بعد رجل . والرجل البغيّ أيضاً يجد مثل ذلك من جراء الشعور بالضعة ، فهو يفعل كما تفعل المرأة فلا يزال يلتمس الدليل على فحولته التي يشك فيها شكا خفياً . وهذا البغاء ضارٌ بالرجل الذي يسرّه أن ينال متاع النفس من عشرة حسنة في بيت يرضيه ، فسرعان ما يفقد من نشـوته ومن صبره ما يتيح له أن يبلغ رضى امرأته وكفايتها من المباشرة . وفضلا عن ذلك فإن الرجل البغي والمرأة البغي يجدان أنه محال عليهما أن يصبرا على إنسان واحد في علاقتهما . فالماضي الملوث بالفسوق لا يزال يتهجّم عليهما ويفسد عليهما حياتهما . إن المباشرة تفقد عندئذ بهجتها وسحرها ، ولكن الشوق إلى قضاء الوطر منها ، وإلحاح الأعصاب في طلبها ، يظل حيًّا كما كان . والبغاء يحرم المرء الإحساسَ بأعظم لذة في الحياة — ألا وهي الحب .

لا بأس إذا شئت أن تقول : « هـذه أشياء يختلف اليوم نظر النـاس إليها » . نعم، قد يختلف نظرهم إليها ، ولكنهم سواء في إحساسهم بها .

فالغيرة مثلا لا تزال نارها حية كما كانت. وإنه لحقٌ أن للعقل أثراً بيناً في كبح جماح النفوس عند القوم المثقفين ، ولكن النظرة الثانية تدلك على أن هذا العقل نفسه هو الذي لا يزال يلحّ حتى يحدّث الرجل نفسه بأن زوجته إذا كانت قد ارتكبت فاحشـة قبل زواجها ، فقد هدمت أشياء بعينها مما يردعها ويعصمها عن غشيانها ثانية ، فهي إذن عرضة لأن تخون الأمانة . وهؤلاء هم علماء

النفس يقولون أيضاً إن المرأة البغي هي أشق النساء جميعاً بنيران الغيرة .

وأيضاً ، فإننا لا نستطيع أن نتجاهل إيثار الرجل أن يتزوج فتاة عذراء . ونحن لا يسعنا في هذا الشــأن إلا أن نعتمد على شهادة الذين انتهوا إلى تحقيقه بالاستقصاء . وقد تبين أن هذا الإيثار حقيقــة قائمة في العصر الحديث وفي العصور الخالية، والدليل على ذلك مذكور في كتاب وســتر مارك « تاريخ الزواج » . فعلى رغم ما يتشدق به فتياننا في هذه الأيام من الكلام المزوّر ومن تظاهرهم بقلة المبالاة ، فهم لا يزالون يأبون على الفتاة التي يحبونها أن تكون قد كان لها خليلٌ من قبل . وإذن فالحقيقة التي لم يغيرها إلى اليوم تقادم الأزمان ، هي أن الفتاة إذا فرطت في عفافها ، فما فعلت ســوى أنها قامرت بالفرص التي تتيح لها فيما بعد أن تستمتع بزواج يكفل لها السعادة إلى آخر أيام العمر .

وينبغي أن نقرر هنا حقيقة ثابتة ، وهي أننا لم نظفر إلى اليوم بعلم جديد نضيفه إلى ما نقله إلينا التاريخ من المعارف الخاصة بالعلاقة الجنســية . وحين نرى اليوم أن العلاقات الجنسية قد أخذت عراها تنحل ، فمن الخطأ أن نقول إننا نرتدّ إلى الهمجية . فالعلاقة الجنســية عند قبائل الهمج لم تزل خاضعة لأحكام ضابطة ، وإن كانت لا تشبه ما تواضعنا نحن عليه . أما الشيء الذي يدل عليــه التاريخ دلالة واضحة ، فهو أن العفة كانت دائماً تابعة لقواعد تحددها وتضبطها . وهي في الغالب أقدم القواعــد في تاريخ حياة الإنسان ، وتعدّي حدود هـــذه القواعد كان جزاؤه أشد العقاب ، لأنه كان يجلب معه بلبلة في حياة الجماعــة ، ويثير الأحقاد المستعرة ، ويوقع بينهم شراً مستطيراً .

وإذا أراد المرء أن تظل عُرى العلاقات الجنسية وثيقة لا تنحل ، فلا بُدّ عندئذ من أن تظل الثقــة موفورة قائمة بين الرجل والمرأة . ومثل هذه الثقة لا تستقر ولا تتوثق بعد أن يبلغ الخليــلان غايتهما الأولى من صبابة الحب ويقضيا أربهما منها ، إلا إذا كانت هذه الثقة موصولة الأواصر بما يعتقده الرجل أو المرأة من دين أو فلسفة في الحياة ــــ أو أي شيء يعزز صلته بالحياة نفسها . وإنه ليس بخيال بل هو حقيقة ثابتة ، أن العلاقة الجنسية لا بدّ فيها من أمرين : إما أن تكون وثيقة الصلة بقانون من الأخلاق يعصم صاحبه (وهذا نادر جداً) ، وإما أن تكون قائمة على عقيدة تجعل صاحبها يؤمن بأن العلاقة الجنسية واجبٌ ، حقّ الجماعة فيه كحق الفرد . وقد بينت أولجا نوف هـــذه

المسألة بأجلى بيان حيث قالت: « إن العلاقة الجنسية ليست من خاصة شئون الفرد وحده ، إنها من الشئون التي تهم الجماعة بأسرها ».

وهذا هو الشيء الذي ينبغي أن نحرص على أن يدركه الشباب الذين لم يزالوا في طور التشوق والتطلع ، والذين بلغوا مبالغ الرجال ولكنهم يتورّعون. وينبغي أن يبين لهم — دون تحقير أو إهدار لحق الفرد في الحب — أن الناس قد يخالفون أو يعصون ما تأمر به شرائع الزواج ، ولكن هذه الشرائع لا تزال قائمة ، والقصاص لا يزال ينزل بكل من يتعدّى حدودها .

فإذا استطعت أن نجعل كل شاب يؤمن بهذا كله قبل أن يخلو بصاحبته ، فخيراً مافعلت . ولكن أنّى لك ؟ إنهما فتىً وفتاة في فورة الشباب ، وفي صَبْوة الشوق ، وفي خلوة تضمهما معاً : فينبغي إذن أن يعرفا بادىء ذي بدءٍ أن الذين يريدون أن يهيمنوا على الغرائز الدافعة إلى اجتماع الرجل والمرأة لا يحاربون الهوى الذي يحبب أحدهما إلى الآخر ، بل يحاربون النوازع التي تجلب الضرر على ما بينهما من الحب — أو على الشيء الذي قد ينتهي بهما إلى الحب .

فالذي ينبغي أن تفعله هو أن تعين هؤلاء الصغار على النجاة من التردّي في الخطر ، فإذا لم يكن الهوى الذي بينهما هوًى عابراً ، فعليك أن تحرضهما على أن يتزوجا . وما من أحد من ثقات أهل الرأي الذين لقيتهم لأفاوضهم الحديث في أمر العفة ، إلا ردّد على سمعي هذه الكلمة — وهي أن خير حلٍّ للمشكلة هو التبكير في الزواج ؛ وهو ليس بمرادف البتة للعجلة في الزواج . ولكن معناه هو أن الفتى والفتاة إذا أَمِنا قيام العوائق التي تُقصيهما عن مباشرة العلاقة الجنسية وتماطل في تحقيقها ، فذلك حقيق بأن يغير ما يعتلج في نفوسهما ، فإنه ليس يدفعهما إلى الثورة على العُرف والسُّنن المتبعة ، إلا ما يجابهان به من صدّ يملأ قلوبهما يأساً ، ومن هوّة تباعد بين يقظة هواهما وما يتطلبه هذا الهوى من حاجات .

وكثيراً ما نسمع أن الأحوال الاقتصادية هي التي تجعل التبكير في الزواج شاقاً في أيامنا هذه . بيد أن زواج الشباب لم يكن قط أمراً سهلا ، فالتاريخ يحدثنا أنه كان لزاماً على الآباء دائماً أن يعينوا الشباب في مستهل أيام زواجهم . فينبغي للآباء في زماننا هذا — أو أعرفهم بالحقيقة على الأقل — أن يحرّضوا الشباب على التبكير في الزواج . وقبل ذلك ينبغي أن يعلنوا دفاعهم عن قضية العفة قبل الزواج .

إنها قضية قائمة كما رأينا . وفوق ذلك فإن الرجال لم يسنّوا بعدُ طريقاً لحماية المرأة

التى فرطت فى عرضها إلا فى حالات قلائل كالحمل والمرض ، وهى مهددة أبداً بخطر يدمر أخلاقها ونفسها . والفسوق يُنْزِل أشرف تجارب الحياة فى أخسّ منزلة وأرذلها، وهو يقمع الحب ويعوقه عن النماء ، وهو يخرج جيلا من نساء يعشن فى وحشــة ، ورجال ملء قلوبهم الأثرة .

وقصارى القول هو أن الشباب ، فتياناً وفتيات ، لا يحرصون على الفسوق بل هم يتوقون إلى هادٍ يهديهم سواء السبيل . وقد دلت الأبحاث فى الكليات على أن الطلبة يؤمنون بالإخلاص فى الحب ويريدون الزواج ، إنهم يحبون أن يحيوا حياة طيبة فيها عاطفــة وفيها قوة لا تبلى على الأيام . وإذن فقضية العفة لا تحتاج إلى دفاع طويل كى يقتنع بها من كانت هذه فطرته وعقائده. وكل ما يحتاج إليه الفتيان والفتيات هو : الرأى السليم والإرشاد الصالح ، وشىء من الفرصة يتاح لهم .

قد يسدى الأطباء أو الخبراء أو علماء النفس أو الأصدقاء نصيحتهم للشباب، ولكن البتّ فى النهاية ليس إليهم بل إلى الشباب أنفسهم . فهذه إذن هى إحدى المشكلات التى تخص الجماعة كافة، ولكنها تصبح موزعة على أفراد الجماعة حتى يقضى فيها كل امرىء بإرادته ورأيه . فتكون العاقبة أن نرى خليطاً من الأهواء والنوازع — ينحدر بعضها إلى المرء بالوراثة ، وينشأ بعضها من إلحاح البيئة وضروراتها ـ فصار هذا الخليط أمانة ثقيلة فى عنق كل فتى وفتاة ، وهى أمانة تقتضى كلا منهما أن يحرص على أمرين عظيمين : سعادة البشر كافة وسعادة نفسه خاصة . ولعل الموقف الحاسم الذى كتب على كل فتى وفتاة أن يقفه حيال قضية العفة، هو أخطر المواقف الحاسمة فى حياته . فمن أجل ذلك يجب على الكبار أن يصرفوا أعظم همهم إلى بيان الأدلة العلمية والتاريخية والنفسانية التى تؤيد قضية العفة ، وأن يحرصوا على أن تظل معروضــة على أعين الشباب أبين عرض وأوضحه ، حتى يقوّوا عزائم الشباب على مقاومة الانحلال الذى يرونه محيطاً بهم من كل ناحية .

امتحن ذكاء صديقك

بين يديك ثمانى كرات متشابهة جميعاً ، ولكنّ إحداها أخف قليــلا من السبع الباقية ، وبين يديك أيضاً ميزان ، فكيف تستطيع أن تستخرج الكرة الخفيفة بوزن الكرات مرتين وحسب ؟ [الجواب صفحة ١٠٤]

قُلْ كَلِمَتكَ مُبْتَسِماً

مارشال درامند

مختصرة من مجلة "البيت الشهرية"

في كلمات التحية التي نلقيها على أصحابنا ومعارفنا كل يوم ، رقّة واهنة ، إذ ليس مردّ تأثيرها فيمن يسمعها إلى ألفاظها هي نفسها ، بل إلى نفحة الإخلاص التي تهبّ منها حين تجرى على ألسنتنا .

انظر كيف تراك تقول : « من فضلك » و « أشكرك » و « أهلا وسهلا » و « كيف أصبحت ؟ » . أتراك تلقيها إلقاء كأنها ألفاظ تعوّدها اللسان حين تلقى من تلقى من الناس ، أم تلقيها ألفاظاً نابضة ينبوعها القلب ، لتحدث المودّة بينك وبين من تلقى من الناس .

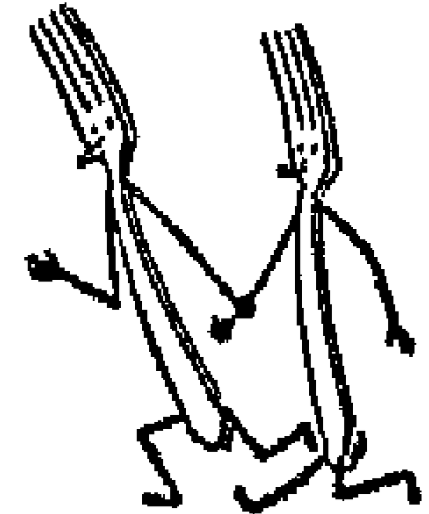
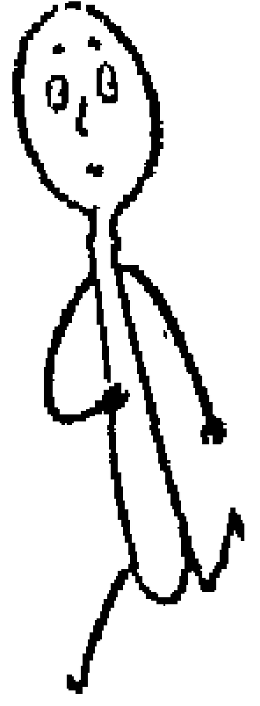
ألم ترفع مرّة سماعة التلفون فإذا بك تسمع من يقول « آلو » بصوت جذاب لاتجد منه فكاكا . وقد عرفت رجلا وقع في هوى امرأة فأحبها وتزوجها ، وذلك بعد حديث جرى بينهما بالتلفون عن عمل من أعماله ، ففتنه صوتها .

ومن الناس من إذا سمعته يقول لك : « من فضلك » أو « شكراً لك » أحسست كأنه يخاطب نكرة لايعرفك ولا تعرفه ، وربما أحسست كأنه يخاطب جماداً ، لخلوّ نظراته من بريق المعرفة ، وخلوّ صوته من نبرة تدل على بعض المودّة .

ولعل أشد الكلمات ابتذالا على الألسنة هي قول القائل : « معذرة » و « أنا آسف » ، فهي كلمات وضعت للتعبير عن الاعتذار ، ولكنها اليومَ تلقى إلقاءً كيفما اتفق ، دون أن يكون في صوت الناطق بها أيّ أثر من آثار الندم أو الاعتذار ، حتى يخيل إليك أنها ضربٌ من الإهانة . .

وهذا شيء يبعث على الأسف ، فإن هذه الكلمات التي نحتاج إليها في كلّ يوم ، لو هي استعملت وكان فيها نفحةٌ من الإخلاص ومن التعبير عما في نفس قائلها ، لأفاضت على الكآبة التي تتغشّى حياة الناس ضياءً مشرقاً ينفي عنها الملل والسآمة . وما من أحد يحسّ أنك « آسف » من أعماق قلبك إلا اغتفر لك كل إساءة قدّمتها إليه ، وإنه لخليقٌ أن يقبل عذرك إذا سألته المعذرة بأدب مشفوع بابتسامة رقيقة — بدلا من أن تفعل ذلك كأنه حقٌّ لك تتقاضاه إياه .



فى دنيا الصغار

-٢-

ج. ب. ماك إيفوى

تزعم زوجتى أن جميع الأطفال يتلكأون حين يأكلون، وأن جميع الآباء والأمهات يعانون مشقة كبيرة فى حمل أبنائهم على الأكل، وأن هذه هى طبيعة الأطفال، وأن أبناءنا لا يختلفون عن سواهم، وليس فى وسعنا أن نصنع شيئاً. أما أنا فأرى أن هذا كلَّه هراء وتسليم بالهزيمة، وأما الأطفال فلا يرون آراءً، بل يفعلون ما يريدون. فتراهم فى بعض الأيام لا يزالون يأكلون طعام الفطور فى ساعة متأخرة من النهار، وتراهم فى غيرها يزدردون كل شىء يقدم لهم كأنهم وحوش مفترسة.

فقرَّ رأيى منذ عهد قريب على أن هذا التعثر والعبث الذى تقول النساء إنه من وحى الفطرة لا يجدينا شيئاً، وأن الأوان قد آن لى أن أمسك الزمام بيدى، فأهيمن بعقلى ومنطقى ورباطة جأشى على تغذية ابنتينا فقلت: «الأطفال كالحيوانات الصغيرة، وجميع الحيوانات تأكل حين تجوع».

فقالت زوجتى: «ولكن الحيوانات تأكل أيضاً ما يضرُّها، وقد تكثر من الأكل حتى تصيبها التخمة وتمرض. أسمعت فى حياتك بجواد قد هلك من كثرة الأكل؟» فرددت عليها: «أسمعت فى حياتك عن طفل هلك من كثرة الأكل؟» فقالت كالظافرة: «هذا غير ذاك».

فقلت: «لعلك تريدين أن نعيد المناقشة من ألفها إلى يائها: الأطفال كالحيوانات، ولو كان لى ما أريد لوضعت الطعام أمامهما على المائدة، ولصحت بهما: هذا طعامكما، فإذا أقبلتا عليه فبها ونعمت، وإذا امتنعتا تركتهُ هناك حتى تقبلا عليه. ولكننى أعلم ولا ريب أنك أنت لا ترتضين حكماً يرتضيه العقل والمنطق كهذا الحكم؟».

فقالت زوجتى متعجبة: «حكم منطقىٌّ! أىُّ ضرب من الأولاد تصيران إذن؟

ولو تركت لهما الحبلَ على الغارب لأكلتا أكل الحيوانات » .

فقلت : « هو ما تقولين ، وإذن لرأيت عيونهما تتألق ، وشعرهما يلمع وأسنانهما تبرق ، ولشبَّتا ولهما عافية كعافية الأشبال ورشاقة كرشاقة القطط » .

فقالت زوجتى : « لعلك تريد الآن أن نعيد المناقشة من ألفها إلى يائها » .

فقلت بلهجة جافية : « إذن فلنفعل . وربما يهمك أن تعلمى أنى عكفت منذ أيام على مطالعة كتاب عن سلطان الآباء وطاعة الأبناء . فالخبراء يقولون إن الصغار مثلهم كمثل أهل الفطرة ، فى وسعك أن تدرِّبهم كما تدرب بين المستوحشين على الإذعان للسلطان ، إذا جعلت السلطان رمزاً من الرموز أو نُصُباً من حجر أو أى شىء من الجماد . فكذلك الأولاد ، تستطيعين أن تظفرى بطاعتهم إذا نقلت السلطان من الأب أو الأم إلى شىءٍ لا يسع الصغار أن يناقشوه أو يجادلوه » .

فقالت زوجتى : « ألا تضرب لى مثلا ؟ »

فلم تكد تسألنى مثلا حتى اقترحت عليها رأيىَ العظيم : « لنجعل المنبِّه ذلك الرمز . فالمنبِّهُ يدقّ وكذلك ناقوس المدرسة — وناقوس المدرسة رمز لسلطان المدرسة فى حياة التلميذ . فاضبطى المنبه حتى يدقّ فى الوقت الذى تريدين البنتين أن تنتهيا من طعام الفطور ، وقولى لهما إن جرس المنبه يخبرهما بالوقت الذى ينتهى فيه طعام الفطور . فإذا ما قرع الجرس رفعت الأطباق وأخذت إلى المطبخ سواءٌ أكانتا قد أتمتا الفطور أم لم تتماهُ » .

فقالت زوجتى كالواثقة المطمئنة : « لن يجدينا ذلك شيئاً » .

فقلت : « سوف ترين » .

وفى صباح اليوم التالى ضبطت المنبه ، وجلست الفتاتان إلى مائدة الفطور وقد سحرهما المنبه ، وجعلتا تراقبان عقرب الدقائق يتحرك وهو يدنو إلى العلامة التى ينتهى عندها زمن الفطور . وقد كانتا فى الأيام السابقة تأكلان بعض الشىء ، ولكنهما كانتا فى صباح اليوم كالمسحورتين وهما تراقبان الساعة وتنتظران الجرس حتى يدقُّ ، فلم تأكلا شيئاً . فلما دقّ المنبِّه ، لذت بالحزم ونفيت الشفقة من قلبى ، وأخذت الصحون إلى المطبخ ، فعدتا ورائى وهما تصيحان ، فحافظت على رباطة جأشى ، وظللت حازماً لا ألين ، فأسفر ذلك كلُّه عن أن البنتين جن جنونهما حتى عجزتا عن الذهاب إلى المدرسة .

وقد سرت زوجتى ولاريب سروراً عظيما بما كان من انهيار نظريتى ، فبينت لها أن ما تمَّ لا يعد امتحاناً علمياً صحيحاً . فالمصباح

الكهربائى ، والتلفون ، والراديو لم تتقن بعد تجربة واحدة ، وقلت : « وسنجرّب مرة أخرى غداً صباحاً » .

وقد فعلنا ، وكانت النتيجة كما توقعت مخالفة لنتيجة التجربة الأولى . فقد فتنهما منظر المنبه فجلستا تراقبان العقرب الدائر ، ولكنهما تذكرتا أيضاً أنهُ إذاما دق الجرس فإن الطعام سوف يختفى عن المائدة ولامحالة ، فلذلك رأيتهما تزدردان الطعام ازدراداً حين بدأ الجرس يدقُّ . وقد حاولت أن أنتزع الصحون منهما ، فلم أقوَ على ذلك ، فقد تشبثتا بها حتى التهمتا كلَّ ما كان أمامهما فى دقيقة واحدة تماماً . فأسفر ذلك عن إصابتهما بسوء هضم عنيف ، وعجزتا عن الذهاب إلى المدرسة فى اليوم الثانى أيضاً . فقالت زوجتى وفى لهجتها جلال النصر : « أرجو أن تكون قد اقتنعت الآن ، فقد حاولت أن تحلَّ محلَّ عادتهما البريئة فى التلكؤ على الطعام ، عادتين خبيثتين ربما لازمتهما طوال حياتهما ، فتنسفان صحتهما نسفاً ، وتفسدان عليهما حياتهما زوجتين ووالدتين : الأولى أنك حولتهما إلى آلات تراقب عقرب الساعة ، والثانية أنك وضعتهما على أول الطريق الذى يفضى إلى سوء الهضم وقرح المعدة .

ولا أزال أظن أن هذا العالم المخبول — عالم الأمهات اللواتى يصغين إلى الإلهام ، وعالم الأطفال الذين لا تستطيع أن تعرف ما يكون منهم بين ساعة وأخرى — لا يزال فيه مكانٌ لعقل الرجل الهادىء المنطق .

بيد أننى لست أعرف أين هو .



ظلَّ رجال المباحث ثلاث سنوات يبحثون عن سيدة تسرق الشيكات وتصرفها من المصارف حتى بلغ ماسرقت على هذا النحو عشرة آلاف ريال . وقد روى رجال المباحث أنه تعذر عليهم أن يظفروا بوصف دقيق لها ، لأنها دأبت على لبس فساتين تكشف عن جمال نحرها حين تتقدم إلى موظفى البنوك لتصرف الشيكات التى سرقتها . [أسوسييتد برس]

كثيراً ما يكون اطمئنان الضمير حسنة من حسنات ضعف الذاكرة .

[مثل شائع فى جمهورية شيلى]

انتفع بما آتاك الله

الدكتور هارى إمرسون فوزديك

مختصرة من مجلة "الرياضة البدنية"

لى صديق من علماء النفس يلجأ إليه الناس يستشيرونه فى متاعبهم . وقد قال لى منذ عهد قريب إن معظم الذين يأخذهم الاضطراب العاطفى هم قوم يعجزون عن الرضى بما قُسم لهم ، فيسخطون ويبرمون بقصورهم ويتمنى كل منهم أن يكون إنساناً آخر ، وتراهُ لايزال يتحسر ، متصوراً ما كان خليقاً أن يفعل لو أتيح له ما أتيح لغيره ، فإذا به يهمل ما انطوى بين جوانحه من قدرة فطر عليها ، وبذلك يعجز عن أن ينتفع بقدرته أعظم انتفاع وأجداهُ .

وكلٌّ أحد من الناس يستطيع أن يجد أسباباً كثيرة تسوغ له أن يبرَم بما قُسم لهُ ، فهذا ولبم ولبرفورس عاش غير راض عن نفسه ، فقد كان قميئاً . وقد ذهب الأديب بوزويل مرة ليسمع ولبرفورس يخطب فوصفه فقال : « رأيت دودة على منبر ، ثم رأيته يكبر فى عينى ويكبر وأنا أستمع إليه ، حتى صارت الدودة حوتاً هائلا » . وكان ولبرفورس أيضاً رجلا ضعيف الصحة ، وظل عشرين سنة يمتثل أوامر الأطباء ، وكان يأخذ الأفيون لكى يمسك عليه رمقه ، ولكنه بلغ من العزيمة مبلغاً وقاه أن يزيد الجرعة التى يأخذها بأمر أطبائه . وإليه يعود الفضل فى القضاء على تجارة بريطانيا فى الرقيق ، أكثر مما يعود إلى أى بريطانى آخر . فإذا ما وقفت فى دير وستمنستر أمام مدفنه ، ورأيت شاهد « المدعى العام المدافع عن حقوق الناس الذى لا حامى لهم ولا صديق » ، تمثل لك كيف تحوّلت تلك الحياة المرهفة الإحساس العذبة ، فصارت عطفاً زاخراً قاهراً يشمل المحرومين من النـاس ، قلما يحسُّ بمثله رجل قوىٌّ البنية تتفجر العافية من نواحيه .

وأنت إذا قلبت صحائف التاريخ وجدت أشد الأعمال الموفقة تحريكا للنفس ، ما تمَّ على أيدى قوم ابتلتهم الحياة ببعض أرزائها ، فعدوا تلك الأرزاء جزءاً من الحياة ، فقبلوها على علاتها ثم مضوا على سننهم يتقنون ما يعملون برغم ما نكبوا به . وقد روى أن عازف الكمان العظيم « أول بول » كان يعزف فى حفلة فى باريس ، فانقطع أحد أوتار كمانه وهو يعزف ، فعدّل ما بقى من اللحن حتى يطابق عزفه على ثلاثة أوتار ، وأتم العزف على خير وجه . فتلك هى الحياة — فإذا انقطع أحد

الأوتار مضيت تعزف على ثلاثة أوتار وحسب.

ولا يكاد المرء ينظر إلى مواطن القصور في نفسه هذه النظرة النافعة ، حتى يتيح لنفسه فرصاً تستحث همته ، وقد تفتن لبه أحياناً. فسخطك على مواطن قصورك لا يجدى عليك شيئاً ، والبكاء على ما أصابك يقعد بك دون المسير . فينبغى للمرء أن يكون جريئاً فى التسليم بأنه كتلة من القوى الكامنة، ثم أن يقدم على أروع مغامرة فى الحياة — أن ينتفع أقصى انتفاع بخير ما قُسم له.

يروى أن كتيبة من الأسكتلنديين خاضت معركة فى أسبانيا فلما حمى وطيسها قذفوا بقلب روبرت بروس — البطل الأسكتلندى — إلى المعمعة ثم جعلوا يحاربون لكى يصلوا إليه. فأسلوبك فى الحياة ينبغى أن يكون كمثل أسلوبهم فى القتال : اقبض بيديك على زمام حياتك، واقذف إلى ميدان الجهاد بمثل أعلى أو بأمل عظيم تريد أن تبلغ إليه ، ثم كافح حتى تبلغهُ . عين لنفسك هدفاً ، ثم دبر أمور حياتك حتى تفضى بك إليه . وكثير من الناس يخفق فى أن يصير شيئاً مذكوراً لأنه يرى أن الحياة شىء يجده على قارعة الطريق ، لا شيئاً يصوغه بيديه . والحقيقة هى أن الوجود شىء تمنحنا إياهُ الطبيعة ، وأما أعظم جهادك حتى تصير رجلا حقاً ، فهو أن تأخذ « الوجود » وتعين له الأهداف وتنظم الخطط لتحقيقها، حتى يصير « الوجود » حياة نابضة .

نزل صديق لى منذ نصف قرن فى مدينة بوسطن ، وكان والده قد قال له إنه دون الوسط من الناس قدرة وذكاء . وقد بدأ حياته فى أمريكا عاملا فى مسبك ، واتخذ له سكناً فى غرفة فوق حانة، فتلك كانت حالة « الوجود » التى بدأ بها حياته فى أمريكا . ولكنه أحال هذا الوجود حياة زاخرة حافلة فقد صار هذا الرجل — جورج جوردن — عالماً من أعظم العلماء الذين خرجتهم جامعة هارفرد ، وقد ظل أربعين سنة يفيض حكمة وضياء على حياة الناس من منبره . فوجوده فى المسبك وفوق الحانة ، كان كل ما لقيه جوردن فى أمريكا، وأما حياته فقد صاغها بيديه . وكثيراً ما يكون أصدق صديق يلقاه الإنسان ، هو التنافر بينه وبين بيئة لا يجد فيها سوى العداء ، فتستيقظ نفسه النائمة . أما الراحة والدعة فقلما ينفعان .

وهناك ثلاثة عوامل تتضافر على خلق شخصية كهذه الشخصية : أما الأول فهو الخيال ، فالحياة الزاخرة الحافلة بالرضى والنفع ، تبدأ صورة يراها المرء بعين خياله ، فيرى أى ضرب من الرجال يريد أن يصير، أو أى عمل من الأعمال يحبُّ أن يصنع . وقد تاقت فلورنس نيتنجيل إلى أن تكون

ممرضة ، وتصور إديسون نفسه مخترعاً ، وأشباههما كثر . وقد نجا جميعهم من تيار الحوادث المتدافع ، لأنهم تصوروا المستقبل فرأوه واضحاً ، فساروا إليه لا يلوون على شيء .

انظر إلى الشاعر جون كيتس ، فقد صار يتيماً وهو فى أول عمره ، وهوت عليه كف الفاقة ، وعذبه مالقيه من شدة النقاد وقسوتهم ، وخاب أمله فى الحب ، وأصيب بالسل ، ثم طواه الردى وهو فى السادسة والعشرين من عمره . بيد أن حياة كيتس لم تكن سفينة صغيرة يتقاذفها عباب الأحداث برغم مالقيه من شقاء . فمنذ كان صبياً يافعاً وقع على قصيدة الشاعر سبنسر « ملكة الجن » فأدرك عندئذ أنه خلق ليكون شاعراً ، فصار ذلك هو الهدف العظيم لحياته ، حتى انتهى به إلى شهرة جعلته أحد كبار المشاهير . وقد قال مرة : « أظن أنى سأعد بعد موتى بين شعراء الإنجليز » . فهذه صورة طبعت فى مخيلته ، فكانت له بمنزلة قلب روبرت بروس لتلك الكتيبة من الأسكتلنديين .

تمثل فى مخيلتك صورة الرجل الذى تريد أن تكونه ، وثبتها فيها زمناً طويلا ، فتصير لك كالمغنطيس يجذبك إليه . أو تصور نفسك رجلاً مهزوماً ، فإذا الظفر قد أصبح مستحيلا عليك . أو تصور نفسك رجلاً ظافراً يكن لتلك الصورة نصيب قوى التأثير فى نجاحك . فإذا لم تتخذ لنفسك صورة ما ، كنت كالحطام الطافى على العباب .

وأما العامل الثانى فهو الفطنة . فأنت لا تستطيع أن تجنى نفعاً ما إذا حاولت أن تركب مركباً لا تطيقه . وكثير من الناس يتعثر تعثراً يدعو إلى المرثية قبل أن يتبين القبلة الصحيحة التى ينبغى له أن يولى وجهه شطرها . وقد بدأ وسلى المصور العظيم حياته وكل همه أن يصير قائداً حربياً ، وظل على ذلك حتى فصل من الكلية الحربية ، لأنه رسب فى علم الكيمياء . وقد قال متهكما فى تعليقه على ذلك الامتحان : « لو قدّر الله أن يكون عنصر السليكون غازاً لصرت اليوم جنرالا » . وأراد والترسكوت أن يكون شاعراً ، ولم ينقلب إلى كتابة الروايات التى أذاعت اسمه وخلدته ، إلا بعد أن ظهر عليه بيرون فى عالم الشعر . فتدبر أمر نفسك تدبراً دقيقاً ، واحتكم إلى تقدير عقلك قبل أن تتصور هدفك ، ولكن لا تغفل أن تختار هدفا لك ، سواء أكنت حكما فى اختياره أم لم تكن . حذار من أن تكون كالحطام الطافى على وجه العباب .

وأما العامل الثالث فهو الشجاعة . وكل رجل ذى شخصية مطبوع على الإيمان الذى ينفخ فى قلبه الشجاعة ، فقد كان رتشرد ڤاجنر يؤمن بقوة موسيقاه ، يوم كان أهل

جيله يستنكرونها ويتنكرون لها ، فما لبثت موسيقاه حتى تمت لها الغلبة فى أرجاء الأرض.
وقد ظلت الحمى الصفراء قروناً تحصد نفوس الناس ، وقام الدليل بعد الدليل على شـدة فتكها، وإذا جماعة من رجال الطب الأمريكيين فى كوبا ، قد قر فى نفوسهم إيمان بأن قهرها مستطاع ، وقد قهروها . وأقام تشارلس دارون عشرين سنة يعمل فى حديقة إنجليزية يخفق وينجح ، ويجرب ويواصل العمل، لأنه كان مؤمناً بأنه قد كشف سراً من أسرار الخلق، حتى أدرك ما أراد. والإيمان شىء غير الغرور ، هو قوة مبـدعة ، هو البصيرة مقترنة بجرأة الجنان .

فالخيال والفطنة والشجاعة ، وإن قل حظك منها ، تفضى بك إلى نتائج هى عجب من العجب . فإن كان غرض المرء الأول أن يجمع ثروة ، ففى وسع العـالم أن يسلبه ماجمع ، وإذا كان غرضه الأول أن يظفر بالمتعة ففى وسع العالم أن يغلبه على أمره ، أما إذا كان غرضه الأول أن يبنى شخصية ففى وسعه يومئذ أن يحسن الانتفاع بكل شىء يلقاه فى هذه الحياة .



إن لم يكن فى وسعك أن تهب ابنك سوى هبة واحدة ، فلتكن هى الحماسة .

[بروس بارتون]



رأيت رجلا جالساً يحمل بيديه مجلة يطالعها ، ولـكننى استغربت حـين رأيته يقرؤها مقلوبة كما تبينت من الغلاف ، فظننت أنه يتظاهر بالقراءة لأمر فى نفسه . فلما هممت أن أعود إلى عربتى لاحظت أنه مكب حقاً على المطالعة مستغرق فيها ، فاستغربت ذلك فسألته ، فقال : « تفضل واجلس أكشف لك عن سرى . ذلك أنى كلما ركبت القطار فى رحلة طويلة أشترى مجلة فأفك السلك الذى يربط صفحاتها بالغلاف وأقلب الغلاف فأجعل أسـفله أعلاه ، وأعلاه أسفله ، ثم أذهب إلى مركبة البولمان وأبدأ أقرأ فصولها . ولابد أن يرانى من يظننى أتصنع القراءة ، ثم يرى الصفحات غير مقـلوبة فيسألنى كما سألتنى . وإنك لتدهش متى علمت عدد الظرفاء المهذبين الذين تعرفت عليهم بهذه الطريقة » .

[الكاتب : دون وارن]

هذا رجل يقسم ربحه مناصفة مع عماله ، فكانت النتيجة أن زاد الربح والإنتاج زيادة كبيرة .

الربح مُناصَفة بين العمّال وصَاحب العمل

جون تشمبرلن

مختصرة من مجلة "لايف"

قد يصبح سيسل أدمسون ، وهو من أصحاب المصانع فى بلدة أمريكية يبلغ تعداد سكانها ستة آلاف نسمة ، الرائد الأول لعصر صناعى حديث ، وذلك بفضل تطبيقه للمبدأ القديم القائل بقسمة الأرباح بين المالك والعمال ، فإذا بهذه القسمة تأتيه بالغنم لا بالغرم ، فإن أدمسون وشركاءه يقسمون الأرباح مناصفة بينهم وبين العمال ، ومع هذا فقد زاد ربحهم ضعفين عما كان عليه وقت أن كانت شركتهم تستأثر بالأرباح كلها.

وسيسل أدمسون رجل هادىء الطباع يبلغ من العمر ٦٤ سنة ، ومن عادته أن يمضى إلى عمله مشمّراً عن ساعديه . وهو عماد المصنع ، ولا يحجم عن العمل بيديه إذا ما دعت الضرورة . أما الشركة التى يديرها فليست بالكبيرة ، وتقدر ما تبيعه بمليون ريال فى السنة تقريباً ، وتختص بصنع فناطيس من الصلب تشتريها شركات البترول ومحطات البنزين . ولكن أدمسون لم يزل يعرف كيف يجنى الأرباح حتى فى أيام الأزمات ، وظل يدفع لعماله أكبر الأجور فى تلك الصناعة. وهو بعد ذلك من المؤمنين بصواب تخفيض أسعار البيع ، كلما هبطت اثمان المواد الأولية .

وقد أتقن ، وهو صبى فى المدرسة علوم، الرياضة العالية والهندسة والرسم وطرق الصناعة . ثم رأى أن الدراسة فى الجامعة مضيعة للوقت ، فانصرف إلى أول مشروعاته واخترع جهازاً بسيطاً يتيح لصاحب السيارة أن يلحم وهو فى الطريق إطاراتها الداخلية إذا ما انفجرت . ولكن هذه الإطارات صارت بعدئذ موفورة، فانقطعت الحاجة إلى جهازه. وسأل أدمسون نفسه: «أى شىء أستطيع أن أصنعه وأبيعه فى السوق التى أوجدها



أول رجل صنع الفناطيس الملحومة الألواح

انتشار صناعة السيارات ؟ » وكان قد خبر طرق لحام الصلب فى مصانع السفن فى زمن الحرب العالمية الأولى، ورأى انتشار محطات البنزين ، فصح عزمه على أن يكون أول من يصنع أنموذجاً موحداً من الفناطيس الملحومة الألواح لتخزين البترول . وكان هذا فى سنة ١٩١٩ ، فباع أدمسون بعد ذلك فى بحر خمسة وعشرين سنة ما يقرب من مليونى فنطاس، وأثبت بهذا صدق فراسته .

وفى سنة ١٩٣٧ أوفدت نقابة عمال الصلب بعض رجالها إلى بلدته ، فلم يقف أدمسون فى سبيلهم ، وقال لعماله إنهم أحرار فى الانضمام إلى النقابة إذا ما أرادوا .

وقرر أدمسون أن رضاه بانضمام العمال إلى النقابة سيزيد من مقدرتهم على الإنتاج ، فلما خاب أمله بدأ يتدبر ما بين العمال ورأس المال من علاقة .

فرأى أن العمال ورأس المال كلاهما آلة ، فتتعاون هاتان الآلتان على الإنتاج ، وكلتاهما تتطلب تكاليف لتعهدها وصيانتها . فتكاليف الآلة الأولى هى الأجور التى تدفع للعمال من الدخل ، وتكاليف الثانية هى المال الذي يدخر من الدخل فى مقابل ما يستهلك من الآلات . بيد أن رأس المال يأخذ نصيباً آخر من الدخل سوى نصيبه الذى يدخر لاستهلاك الآلات ، وأما العامل فلا يأخذ شيئاً سوى أجره . وهذا فى رأى أدمسون ميزة اختص بها رأس المال دون العمال ، فلا جرم إذا كان ذلك سبباً فى سخط العمال . وبذلك وضع أدمسون المبدأ الذى يرمى إلى قسمة الأرباح مناصفة بين الشركة وعمالها .

ولم يضع أدمسون مبدأه هذا إلا بعد أن درس تجارب الشركات الأخرى التى تتبع مبدأ قسمة الأرباح ، فوجد أن بعض الشركات يطلب من العمال أن يساهموا بمقدار من أجورهم على أن تضم إليه مبلغاً مماثلا له تخصمه من أرباحها . وهناك شركات أخرى تجعل الأرباح التى توزع على العمال وقفاً على دفع معاش لهم عند الشيخوخة أو المرض ، أو لدفع مكافأة لهم عند فصلهم من العمل . وهناك شركات أخرى ــ ولكنها قليلة ــ تخصص قسما من أرباحها لتدفعه رأساً إلى العمال ، ولكنها لا توزعه عليهم إلا فى نهاية العام وطبقاً لهوى أصحاب الشركة. ولم يجد شركة واحدة تعطى العامل حصة فى أرباح الشركة باعتبارها حقاً خالصاً له . ولذلك ارتاب أدمسون فى أن تؤدى هذه الخطط إلى زيادة الإنتاج، فالعامل لا يضاعف جهده من أجل معاش يرجو أن يدفع له فى المستقبل يوم يعتزل العمل لشيخوخته .

ويخالف أدمسون معظم أصحاب المصانع

الذين يتشدقون بفضائل « حرية العمل » ثم لا يقدمون للعامل شيئاً من المزايا إلا على على وجه يحرمه حرية اختيار الوسيلة التي يستغل بها ماله . أما أدمسون فيقول إن الإيمان بالحرية يتضمن الثقة بقدرة الفرد على توفير الطمأنينة لنفسه بنفسه. ولهذا كان من رأيه أن مبدأ قسمة الأرباح ينبغي أن يقوم على دعامتين لا غنى لإحداهما عن الأخرى . أما الأول فنهوض العامل بالتبعات الملقاة عليه ، أما الثانية فأن ينال فوراً مكافأة محسوسة ملموسة . ومن رأيه أيضاً أنه ينبغي توزيع الأرباح مرة كل شهر .

واجه أدمسون بعد ذلك مشكلة أخرى ، فإن رؤساء نقابات العمال لا يرتاحون لتطبيق مبدأ قسمة الأرباح ، الذي يجعل لكل عامل حصة في رأس المال ، إذ تبين لهم في أحوال كثيرة أن تطبيق هذا المبدأ يتخذ وسيلة للحيلولة بين العمال والانضمام للنقابات ، ولهذا قرر أدمسون أن يطلب إلى النقابة أن تضع التفاصيل التي تعينه على تطبيق مبدئه الجديد ، وأن يكون لها الإشراف على تنفيذه. فذهب إلى مدينة بتسبرج ، مقر اتحاد نقابات عمال الصلب في أمريكا، وقال لرجاله : « إنني ألبي كل ما يطلبه الاتحاد ، ولكن العمل في مصنعي ليس على ما يرام . فماذا تطلبون ؟ هيا بنا نتعاون معاً » .

وقد أحسن أدمسون بذهابه إلى جو سكانلون خبير اتحاد النقابات في وسائل الإنتاج وحساب مصاريفه ، إذ هو من أكثر الناس بصراً بهذه المشاكل ، وهو يؤمن بأن نجاح نقابات العمال رهن بازدهار الصناعة ، وتباحث سكانلون وأدمسون معاً حتى وصلا إلى حل ارتضاه كلاهما .

وبدأ تطبيق مبدأ قسمة الأرباح منذ يوم أول يناير سنة ١٩٤٥ ، ففي أول شهر وزع من الأرباح ٤٢٠٠ ريال على مئة عامل بنسبة أجورهم. فانهالت على الشركة اقتراحات العمال بتحسين وسائل الإنتاج وتيسير العمل والقضاء على التراخي والكسل في المصنع ، وبعد أن كان العمال الفنيون يقفون في المصنع مكتوفي الأيدي إلى أن تهيأ لهم مواد العمل ، إذا بهم يمدون يد المساعدة إلى الحمالين المكلفين بتفريغ البضائع ونقلها . وبدأ العمال أيضاً يتدربون على أعمال مختلفة ، حتى يسهل على كل منهم أن ينتقل من عمل إلى عمل فلا يضطر المصنع إلى استخدام عمال جدد ، أو إلى بطالة بعض العمال أحياناً . وفصلت الشركة من العمال كل من اعتاد الكسل أو التغيب عن عمله مراراً .

وكانت الشركة قد حرصت على شيئين : أن تمتنع عن إثارة الغيرة بين العمال بإعطائهم مكافآت على أساس عدد القطع التي يصنعونها ،

وأن تهمل الأساليب التي تثير نفوس العمال بما تحصيه عليهم من دقائق العمل وثوانيه ، فلذلك زادت كفاية الإنتاج في المصنع زيادة كبيرة ، وكان سبب الزيادة تكاتف العمال من حيث هم جماعة واحدة لا فرق في نظرها بين مصلحتها العامة ومصلحة كل فردٍ فيها . وأخذ العمال يقيدون على لوحة في المصنع أرقام الإنتاج شهراً بعد شهر ، ويرون في هذه الأرقام شاهداً على فوزهم في جهادهم ، وضماناً جديداً لتوفير طمأنينتهم على أرزاقهم. فكان من حسنات هذا الأسلوب أن ترى من عمال هذا المصنع من دفع في سنة واحدة خمسة أقساط سنوية تسديداً للباقي من ثمن داره ، واشترى عامل آخر ستة أفدنة من الأرض . وقد حدث أخيراً أن اجتمع العمال معاً وقرروا أن يمنحوا أدمسون مرتباً قدره ١٢ ألف ريال في السنة ، وكان كل دخله من قبل هو حصته من أرباح الشركة .

وعمال شركة أدمسون رجال جاوزوا عهد الشباب ، ومتوسط أعمارهم ٤٨ سنة ، ولذلك كان ازدياد كفايتهم في الإنتاج مدعاة للعجب ، بل لقد دهش أدمسون نفسه حينما رأى كفاية الإنتاج في أول سنة قد زادت ٥٤ ٪ ، وكذلك زادت الأرباح زيادة مدهشة ، وزاد دخل العامل ٥٠ ٪ ، وتضاعف ربح أصحاب الشركة بالقياس إلى ربحهم في السنين الماضية . ولما كانت الأحوال الاقتصادية لم تتغير فإن هذه الزيادة في الأرباح لا ترجع إلا إلى سبب واحد : هو زيادة مقدرة العمال على الإنتاج بفضل شعورهم بالطمأنينة ، وبأنهم يساهمون في عمل الشركة وينهضون بتبعاتها .

وقد قامت اعتراضات متعددة على أن خطة أدمسون قد لا تجدى في شركات أخرى : حيث يتوقف مقدار الربح على البحث العلمي والتحسين الصناعي ، أو حيث تكون جماعة العمال تابعة لاتحادات متفرقة في أنحاء البلاد ، أو حيث يأبى أصحاب الأسهم في الشركات المساهمة أن يقتسموا هذه الأرباح ، أو حيث تظفر الشركة بخفض نفقات الإنتاج وزيادة مقدار الربح ، فيسارع المستهلكون إلى المطالبة بخفض ثمن المنتجات.

ولكن هذا لا يمنع أن يصبح مبدأ أدمسون صالحاً للتطبيق في الشركات الصغيرة أو الشركات المقصورة على أعضاء أسرة واحدة ، وهي كثيرة . وقد يقال إن أدمسون لم يأت بمعجزة ينتفع بها الناس جميعاً ، ولكن هذا عصر كثر فيه إضراب العمال ، أفليس المرء معذوراً إذا خيل إليه أن هذا الرجل قد فتح فتحاً جديداً يفضى بنا إلى عصر يسوده السلام والرضى فيما بين العمال وأصحاب العمل ؟ .

محضر تحقيق

مارك كونولى

مختصرة من مجلة "كوليرز"

« ما اسمك ؟ »

« فرانك واينجارد » .

« وأين تقيم ؟ »

« فى المنزل رقم ١٨٥ بالشارع رقم ٥٥ » .

« وما صناعتك ؟ »

« مدير مسرح الفرقة التى تمثل رواية : هاللو أمريكا » .

« هل تعرف جيمس داول ؟ »

« نعم ، هو من ممثلى هذه الفرقة »

« وهل تعرف تيودور روبيل ؟ »

« نعم ، ياسيدى » .

« هل هو من رجال الفرقة أيضاً ؟ »

« كلا ياسيدى ، فإننا عند إخراج الرواية أعلنا عن حاجتنا إلى أقزام ، فتقدم لنا روبيل وجيمى معاً ، ولكننا رفضنا روبيل لأن قامته أطول مما كنا نريد ، ولم أره بعد ذلك إلى أن فتحنا باب حجرتهما عنوة فى يوم الثلاثاء الماضى » .

« وهل وجدتهما ميتين ؟ »

« نعم ياسيدى » .

« ولماذا ذهبت إلى حجرتهما ؟ »

« لأن جيمى لم يحضر ليقوم بدوره فى الرواية ، لذلك ظننت أن قد حاق به مكروه »

« ماذا تعنى بقولك هذا ؟ »

« لأنى كنت أرى جيمى فى الأيام الأخيرة غارقاً فى غم شديد ، وكنت أعلم أن روبيل يقصر فى تسرية الهمّ عنه » .

« هل تريد أن تقول أنهما تعاركا ؟ »

« كلا ياسيدى ، فكلاهما كان مغموماً . وقد طال الكرب على روبيل ، فإنه قد تزوج منذ خمس سنوات أخت جيمى ، وهى من الأقزام أيضاً ، فماتت بعد ذلك بنحو سنة ، وظل روبيل عاطلا سنتين ، وتحمل جيمى عبء الإنفاق عليه ، وكان جيمى يحدثنى مراراً عن أن روبيل قد بدأ يغتم كثيراً منذ رأى هذا الطول الطارىء على قامته » .



« ماذا تعنى بعبارة الطول الطارىء ؟ »

« نعم ، هذا طول طارىء ، فإن القزم يظل ما عاش بالطول الذى بلغه وهو فى الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة ، ولكن قامة

بعض الأقزام تأخذ أحياناً فى الطول من جديد قبل بلوغ الثلاثين، وقد تطول مقدار قدم واحدة أو أكثر فى بحر سنتين ، ثم يقف نموه ويظل طوله ثابتاً لا يتغير إلى آخر عمره ، ولكنه لا يعد بعد ذلك من الأقزام .

« وهذا هو ما حدث لروبيل ، فإنه لم يوفق إلى عمل، وانتابه غم شديد ، وحاول جيمى أن يسرّى عنه كربه ، فكان يصحبه للتنزه ، أو يذهبان معاً إلى السنما . ويخيل إليه أن إدراك روبيل لما أصابه من طول القامة كان يتجلى له أوضح ما يكون حين يسيران فى الطرقات جنباً لجنب، ولعل هذا هو سبب موتهما » .

« ماذا تعنى بهذا ؟ »

« نعم، فكلاهما قد أدرك أن جيمى وحده هو الذى سينهض بعبء الإنفاق على نفسه وعلى زميله ، وأنه سيتاح له العمل دائماً ، على حين يظل روبيل عاطلا ، وأخذ هذا الخاطر يسيطر على روبيل ويقلق باله.

« وقد لاحظت منذ ثلاثة أسابيع أن جيمى قد أخذت تبدو عليه أيضاً دلائل الغم، فقد كنت واقفاً بباب المسرح ، فأقبل علىَّ مقطب الأسارير، مع أنى كنت أراه من قبل يسير مرحاً ويلعب بعصاه ، فقلت له : « كيف حالك ياجيمى؟ » فأجابنى : « لست بخير يامستر واينجارد » ، فقلت له : « ماذا بك ؟ » فأجابنى : « لقد بدأت قامتى تطول مرة أخرى » وكانت لهجته لهجة رجل ينبئك بأنه أصيب بمرض سيقضى عليه فى بحر أسبوع .

فأجبته : « هذه أوهام ياجيمى ، فهذه قامتك على حالها لم تطل» ، فأجابنى « كلا ، فإنها تطول ، كما حدث لزوج شقيقتى ، وقد جرى هذا أيضاً لأبى ، ولكن أهله كانوا من ذوى اليسار فلم يضره طوله الطارىء . أما أنا فلا محيص لى من العمل لكسب قوتى» . فقلت له : « إننى أرى قامتك لم تتبدل ، فكم كان طولها ؟ » فأجابنى : « ٣٧ بوصة » فقلت له : « تعال معى إلى مخزن المسرح لنقيس طولها » .

« فتراجع عنى وقال : « كلا ، لا أريد ، إنى أعرف مبلغ طولى الآن ! »

« وظل الغم مستولياً عليه طول الأسبوع ، ولما جاءنا يوم الإثنين الماضى رأيته ممتقع الوجه من الخوف وقال لى : « لقد طالت قامتى مقدار بوصتين »

«ومع ذلك لم أتبين شيئاً من الطول فى قامته، فقلت له : « تعال نقس قامتك » ولكنه كان يشعر بوجل شديد من مواجهة النتيجة ، فرفض طلبى ، وظل يتهرب منى طول الأسبوع . وقد سألته ليلة السبت الماضى عن حاله هل تحسنت فقال لى : « نعم تحسنت جداً هذا»

مع أن وجهه كان ينطق بذعر شديد. وهذه آخر مرة رأيته فيها قبل أن تقع عيني على جثته » .

« لقد شهد الشرطي جورليتز أنه حينما وصل وجد إحدى الجثتين في ركن من الحجرة ، والأخرى في الركن المقابل له . فهل كانتا على هذا الوضع حينما فتحت باب الحجرة ؟ »

« نعم ياسيدى » .

« وقد شهد الطبيب الشرعي أن الموت كان من جراء طعنات بسكين ، ولعلها سكين واحدة . فهل تظن أن اليأس هو الذى دفعهما إلى هذا الانتحار ؟ »

« كلا ياسيدى ، ولا أعتقد أنهما انتحرا » .

« ماذا تعنى بهذا القول ؟ »

« نعم . فإننى حين دخلت الحجرة أنادى عاملة المسرح ، نظرت إلى مدية وقلت لها إنها مُدْية من طراز عجيب ، وعجبت لماذا احتفظا بها فى حجرتهما .

« فقالت لى إنها مُدْية قصّاب ، وإنها كانت بين أدوات مطبخها ثم اختفت منذ بضعة أسابيع . فأخذت أعجب أيهما الذى سرقها . ثم تدبّرت الوقائع وأدركت حقيقة ما حدث . أين تلك العصا الصغيرة التى وجدت فوق الفراش ؟ »

« هذه هى . »

« نعم ياسيدى . الواقع هو أننى لم أصدق قول جيمى إن قامته قد أخذت تطول ، ولما أنبأتنى عاملة المسرح بخبر اختفاء المدية بدأت أفكر ، وبدا لى أن جيمى كان قد عثر على هذه المدية مصادفة قبل حدوث الحادث » .

« ولماذا قلت مصادفة » .

« لأن روبيل كانت قد انتابته لوثة من الجنون فيما أعتقد ، فسرق المدية وأخفاها عن جيمى ، فلما عثر عليها جيمى أخذ يعجب فيمَ يستعملها روبيل . وهو لو سأله لما ظفر من سؤاله بشىء ، ثم أدرك جيمى من تلقاء نفسه فيم استعملت هذه المدية ، أو لعل روبيل أخبره بما كان . ومهما يكن من شىء فالرأى أن جيمى أخذ يفحص عصاه — تلك العصا التى كان يحملها دائماً ، ورأى مكان حزّ المدية فى أحد طرفيها » .



نزع المحياة

لم ألقَ فى حياتى رجلا عظيماً لم يكن ينطلق دائماً على سجيته فى وداعته وبساطته ، أما التصنع والتظاهر فهما أبداً علامة الرجل الذى لا يثق بنفسه .

[الجنرال شارل دوز]

وهبت أبي

شروود أندرسن

شاعر، وروائي، وصحفي أمريكي

من أعجب الأواصر التي تربط بين البشر في هذه الحياة الدنيا ، تلك الأواصر التي بين الأب وولده . وقد عرفت حقيقتها اليوم بعد أن صار لي وَلد .

إن الوَلد يتمنّى أن يرى في أبيه خلالاً يمتازُ بها عن سائر الناس. وأنت تسمع الناس يقولون إن الآباء يحبون لأولادهم أن يكونوا على الصورة التي يشعرون في أنفسهم أنهم عاجزون أن يكونوا هم عليها . ولكني أقول لك إن العَكْسَ صحيح أيضا . وأنا أعرف عن نفسي أني كنت في أول عمري أحب أن يكون أبي على صورة بعينها غير التي هو عليها . فإذا رأيته يمرّ بنا أنا ولِداتي ونحن نلعب في الطريق ، أتمنى أن أشعر بنفحة من الكبرياء تجعلني أقول: «هذا هو ، إنه أبي» .

ولكن لم يكن أهلَ ذلك ولا يستطيع أن يكونه . فكنت أرى يومئذ أنّه يحرص على أن يجعل نفسه مهرّجاً ومسلاة للناس. فلو فرضنا أن أحداً من أهل قريتنا أقام حفلة تمثيلية يكون فيها الصيدليّ وكاتب الخبّاز وطبيب القرية وكثير من النساء والرجال ، فإنّ أبي سيحرص أشد الحرص أن يمثل دور المهرّج الأول ، ويفعل أحمق الأفعال . وسيراه الناس لطيفاً ، ولكني لا أراه كذلك .

بل كنت أراه فظيعاً ، ولست أدري كيف كانت أمي تطيقه. وأعجب العجب أنها كانت تضحك مع الضاحكين . ولعلي كنت خليقاً أن أضحك معهم لو لم يكن هو أبي .

وكان لا يحسنُ ركوب الخيل ، ولكنه يركبها فإذا به يسقط عن ظهر الجواد ، ولا يبقى أحدٌ من الناس إلا استغرب في الضحك ، ولكنه لا يعبأ شيئاً ولا يبالي ، بل لعله كان يرتاح إلى ضحكهم . وأذكر يوماً رأيته يأتي عملا مضحكا، وعلى قارعة الطريق أيضاً ، وكان معي لِداتي من الأطفال ، فإذا هم يتضاحكون ويتصايحون به وهو يصيح إليهم ويعبث كما يعبثون . فانطلقت أعدو إلى زُقاق بعيد عن أعين الرفاقِ ، وظللت أبكي وأنتحب .

وربما كنتُ فى فراشى ليلا ، فأسمع صوته وقد دخل ثملاً ومعه بعض أصحابه ، وكان رجلا لا تراه وحده أبداً . وكان قبل إفلاسه سروجياً ، فكان دكانهُ لا يخلو من المتسكعين الذين لا عمل لهم . وقد أفلس ولا عجب ، من جراء التسليف والبيع بالنسيئة. فقد كان لايستطيع أن يرد طالبا ، وكنت أعد فعله هذا حماقة وجنونا . وبدأت أنطوى على بُغضه وكراهته .

وكان فى المدينة رجال لم أكن أظن فيهم أنهم يحبون أن يتابعوه فى عبثه وحماقته ، كمفتش المدارس التى فى قريتنا ، وذلك الرجل الوقور الذى يملك دكاناً لبيع الحديد. وأذكر أنه كان عندنا رجل جليل أبيض الشعر ، وكان صرافاً فى المصرف ، فعجبت أشدالعجب حين رأيته يماشى هذا الثرثارة — فهكذا كنت أرى أبى . وأنا اليوم أعلم ما الذى حببه إليهم ، ذلك أن الحياة فى القرية ، كما هى فى سائر القرى الصغيرة ، كانت مملة أحياناً . وكان هو يطرد مللها ويملؤها حبوراً ، فكان هو الذى يضحكهم ، ويقص عليهم القصص ، بل كان أحياناً يستدرجهم حتى يغنُّوا .

وكان إمّا يجمعهم فى دارنا ، وإما يخرج بهم فى الليل مثلا إلى روضة قريبة من الجدول ، فيسمرون ويطبخون ويشربون ، ويجلسون ليسمعوا منه قصصه .

وكان كثير الحكاية عن نفسه ، ويقص عليهم العجائب التى حدثت له . وربما كان فى حكايته مايدل على أنه مغفل أو سخيف ، ولكنه لم يكن يبالى .

وإذا نزل بنا رجل إرلندى فسرعان ما يقول له أبى إنه إرلندى أيضاً ، ويذكر له القرية التى وُلد فيها ، ويحكى له أشياء حدثت هناك فى زمن صباه . وكان يُسْبِغُ على حديثه لهجة من الصدق كانت خليقة أن تجعلنى أنا نفسى أصدق ما يقول ، لولم أكن أعلم علم اليقين أنه مولود فى بلاد أمريكية خالصة .

فإذا كان الضيف أسكتلندياً ، فهو أسكتلندى ، ويتخذ فى لهجة حديثه نبرة الأسكتلنديين فى النطق . وكذلك إذا كان الضيف ألمانيا أو سويدياً ، فهو من بنى جلدته أياً كان . وأظن أنهم جميعاً كانوا يعرفون أنه يكذب ، ولكن يبدو لى أنهم كانوا يحبونه صدق أو كذب . ولم يكن يسعنى وأنا طفل أن أدرك سر ذلك .

أما أمى ، فوا رحمتاه لها ، كيف كانت تطيقه ؟ كان يساورنى أن أسألها ولكنى لم أفعل قط ، فلم تكن ممن تستطيع أن تسألهم مثل هذه الأسئلة .

فلما أفلسنا ولم تبق لنا سوداء ولا بيضاء ،

فهل تظن أنه كان يدخل علينا وفى يده شيء من طعام ؟ غيره من يفعل ذلك ! أما هو فكان إذا لم يجد فى البيت طعاماً خرج يدور على بيوت أهل القرية ، فكلهم كان يحب محضَره. فكان يظل غائباً عنا أحياناً أسابيع، وتنوبُ عنه أمنا فى كسب شيء لإطعامنا. ثم إذا به يعود يوماً حاملا فى يده فخذ خروف مثلا جاء به من أحد أصحابه المزارعين ، فيضرب به وجه مائدة المطبخ وهو يقول : «أقسم بالله أنك سوف تصنعين لأولادنا طعاماً شهياً » ، أما أمّنا فما كانت تفعل سوى أن تنظر إليه وتبتسم له ، ولا تقول له شيئاً عن الأسابيع والأشهر التى غاب فيها عنا غير تارك لنا قرشاً لطعامنا. وقد سمعتها مرة تكلم امرأة فى شارعنا ، ويخيل إلى أن المرأة كانت قد اجترأت أن تواسيها وتسرّى عنها بلواها ، فإذا هى تقول لها : « لا عليكِ ، فنحن بخير والحمد لله ، إنه ليس بإنسان كئيب النفس كأغلب سكان الشارع ، فإنه إذا كان معنا نفى عن الحياة كل كآبة » .

وكان صدرى يمتلىء كل يوم بغضاً له ، وطالما تمنيتُ لو لم يكن لى أباً ، حتى أنشأت فى نفسى لنفسى أباً سواهُ. وكنت أحب أن أنزّهَ أمى عن العيب فأتخيل قصة زواج غامض مستور لم يظهر أمره لسبب من الأسباب الغريبة ، فأزعم أنها تزوجت رجلا كرئيس إحدى الشركات أو أحد أعضاء البرلمان ، وكان الرجل يظنّ أن زوجتــه قد ماتت ، ثم تبين له أنها لم تمتْ .

ثم تكتّموا الأمر ما استطاعوا تكتماً شديداً ، ولكن ماذا يضيرنى مادمتُ قد ولدتُ لأب كهذا ؟ فأنا ولا ريب لست ولد هذا الذى هو أبى عند الناس . أما أبى الذى تحدّرت من صلبه ، فهو رجل مهيب عظيم الشأن قد استقرّ فى مكانٍ ما من هذا العالم . ولم أزل أفعل ذلك حتى داخلنى بعض الإيمان بهــذه القصة التى كنت أتخيلها .

وجاءت ليلة، وكانت أمى غائبة عن الدار لبعض حاجاتها ، وجاءَ أبى وكان غائباً، ولا أدرى، أين، منذ أسبوعين أو ثلاثة، فوجدنى وحدى فى الدار أقرأ على مائدة المطبخ .

وكان المطر منهمراً وقد بلل ثيابه . فجلس وجعل يرمقنى ببصره وقتاً طويلا دون أن ينبس ببنت شفة، فأخذنى الفزع، فقد رأيت على وجهه مَسْحة من الحزن لم أر مثلها قط وظل جالساً زمناً والماء يقطر من ثيابه ، ثم هبَّ واقفاً وقال :

« تعالَ معى » .

فنهضتُ وخرجت معه من الدار والعجب يملأ قلبى، ولكنى لم أكن خائفاً. وسرنا فى طريق تَرِب يفضى إلى وادٍ يبعد عن المدينة

نحو ميل ، وكان فى الوادى بركة . ومشينا صامتين . لقد سكت الرجل الذى لم يسكت له لسان قط !

لم أكن أعلم ماذا يبغى ، وكان يخالجنى شعور عجيب بأنى أسايرُ رجلا غريباً عنى . ولست أعلم أكان يريدنى أن أحسّ هذا الإحساس، ولكن لا أظن أنه كان يريد ذلك.

كانت بركة كبيرة ، وكان المطر لا يزال يسحّ سحاً، والبرق يومض والرعدُ يقصف، ولما بلغنا شاطىء البركة المعشب ، فعندئذ نطق لسانه ، وكان صوته غريباً تحت هذا الظلام وهذا المطر .

قال : « اخلع ثيابك » . فأخذت أنضو ثيابى وأنا لا أزال فى عجبى ودهشتى. وأومض البرق فرأيته عارياً قد خلع ثيابه كلها .

ثم نزل إلى الماء ، وأخذ يدى وجذبنى معه . لم أنطق بحرف ، ولا أدرى أكان ذلك من خوف تملكنى أم من الدهشة التى استبدّت بى . وكان يبدو لى أن أبى لم يلق إلىّ قط بالاً قبل هذه الليلة .

وظللت أسائل نفسى : « ماذا يبغى هذا الرجل ؟ » وكنت لا أحسن السباحة ، فأخذ يدى ووضعها على كتفه وأوغل فى الظلام .

كان رجلا عريض المنكبين ، قوياً على السباحة، وكنت أكاد أحسُّ بحركة عضلاته تحت جنح الظلام. وسبحنا حتى بلغنا الطرف الآخر من البركة، ثم عدنا أدراجنا إلى حيث تركنا ثيابنا ، وكان المطر لا يزال ينهمر ، والريح لا تزال تعصف . فكان أبى يسبح أحياناً على ظهره ، فإذا فعل ذلك أخذ يدى فى يده القوية وجذبها إليه حتى تظل دائماً على منكبه ، فإذا خفق البرق رأيت قسمات وجهه واضحة .

كانت على وجهه مسحة الحزن التى رأيتها عليه حين دخل المطبخ . وكنت أرى هذا الوجه لحظة خاطفة ثم يطويه عنى الظلام والمطرُ وعاصف الرياح . وإذا بى أحسُّ فى قلبى شيئاً لم أحس مثله من قبل .

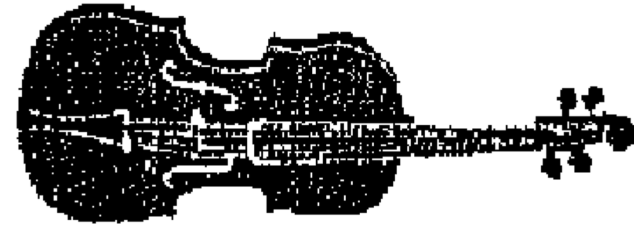
كان إحساساً بالقرب والتدانى: إحساس غريبٌ، كأنْ ليس فى هذه الدنيا سوانا أنا وهو ، وكأنه نفضنى نفضاً أطار عنى نفسى وما فيها ،وأطار عالم صباى، والعالم الذى كنت أستنكف فيه من نسبتى إلى أبى الذى ولدنى.

وصار هذا الرجل سرّ دمى الذى يجرى فى عروقى ، وكان هو السباح الأيِّد الذى يلوذ بقوته فى ظلام الليل ولده الضعيف . وسبحنا صامتين، ولبسنا ثيابنا المبللة صامتين أيضاً ، وانقلبنا عائدين إلى الدار .

رأينا نور المصباح فى المطبخ ، ولما دخلنا والماء يقطر من ثيابنا رأيت أمى جالسة هناك فابتسمت لنا، وأذكر أنها قالت لنا : «أين

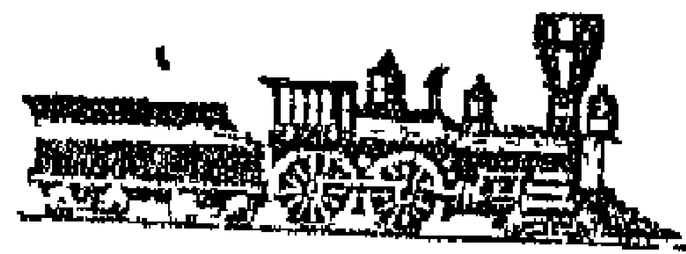
كنتم يا أولاد ؟ » ، ولكن أبى لم يجبها . وقد بدأ مغامرته معي بالصمت وختمها أيضاً بالصمت . ثم استدار والتفت إلىّ ، وذهب خارجا من الغرفة وعليه فيما خيّل إلىّ مهابة لاعهد لى بمثلها فيه من قبل .

ثم صعدت الدرج قاصداً غرفتى ، ونضوت عنى ثيابى فى الظلام ، وأويت إلى فراشى ، ولكن لم أنم بل لم أكن أريد أن أنام ، فهذه أول مرة تستيقن نفسى فيها أنى ولد أبى . لقد كان أبى قصّاصاً كما قدّر لى أنا أن أصيرَ . وعسى أن أكون قد كانت ضحكة غلبتى وأنا راقد تحت الظلام ، ولو كنت فعلت ذلك فقد فعلته لأنى علمتُ أنى لن أبغى بعد اليوم بأبى بديلاً .



فى الليلة الأولى بعد عودتى من الحرب ذهبت أزور خطيبتى فى دارها . وبعد قليل ترفّق أبواها فى الخروج من حجرة الاستقبال . وبينا نحن جالسان وقد دعانى شوقى إليها أن أقبلها ، إذا بى ألمح شقيقتها الصغيرة واقفة بالباب وهى فى ملابس النوم ، فناديتها وربتُّ لها على كتفها وقلت لها : « ألا يحسن بك أن تأوى إلى فراشك ؟ فإن فعلت أعطيك ربع ريال » .

فلم تقبل الرشوة وخرجت دون أن تنبس ببنت شفة وعـَدَت إلى حجرتها ثم عادت وقالت : « خذ نصف ريال ودعنى أتفرّج » . [الجاويش هنرى شنكر]



حل المسألة

(انظر صفحة ٨٤)

ضع ستّ كرات لاغير فى كفتى الميزان ، ثلاثاً فى كل كفة . فإذا تعادلت الكفتان ، فالكرة الخفيفة هى إحدى الكرتين اللتين لم تزنهما ، فاطرح الكرات الست وضع كلاًّ من الكرتين الباقيتين فى كفة تعرف أيهما أخف . فإذا لم تتعادل الكفتان ، طرحت الثلاث التى فى الكفة الراجحة ، ثم تأخذ كرتين من الثلاث التى فى الكفة الخفيفة ، فتزنهما الوزنة الثانية ، فإذا تعادلتا كانت الخفيفة هى التى لم توزن . وإذا لم تتعادلا عرفت أيهما هى الكرة الخفيفة .

فلتثر العاصفة



خلاصة رواية

روز وايلدرلين

مؤلفة

"هيلى بيلى" و "سندا" الخ

هذا مختصر رواية رائعة حافلة بآيات الحب والبسالة وكفاح الطبيعة القاهرة ، وهى رواية جعلت مؤلفتها روز ويلدر لين فى طليعة كتاب الروايات فى هذا العصر ، وقد رحب بها النقاد يوم صدورها أيما ترحيب فأعيد طبعها ثمانى مرات ، ولا تزال رواية يعاد طبعها مرة كل سنة .

فلتــزأر العـــاصفة

لما كان طفلين يلعبان معاً ، قالا إنهما سيتزوجان متى شبّا وكبرا ، فلما كبرا تزوجا .

ولم ينقض قط عجب كارولين، الفتاة الحيية الهادئة التى لم يقسم لها حظ وافر من الجمال، كيف فازت برجل مثل تشارلز. وكان مرحاً مقداماً ، وصائداً جريئاً ، وراقصاً وعازفاً، ومكافحاً .

ولم يكن قد بقى بقرب حلّتهما سوى القليل من الأرض الطيبة، أما إلى الغرب فكانت أرضاً لم يستوطنها أحد ، وكان يقال إنها خصيبة ومستوية، وليس فيها غابات تقطع، فذهبا غرباً .

وكان والد تشارلز رجلا سخى الكف، وله ستة أولاد أصغر من تشارلز ، وكان على تشارلز أن يعمل لأبيه إلى أن يبلغ الحادية والعشرين ، ولكن أباه نزل له عما بقى له من الزمن — هبة حرة تتجاوز العامين ، وزاد على ذلك فأعطاه المركبة والجوادين ، وهذا ما كان يكسبه بالعمل حتى يبلغ الحادية والعشرين .

أما أبوا كارولين فأعطياها بطانيتين ، ووسادتين محشوتين بريش الإوز البرى ، وقدراً ، ومقلاة ، وطاسة . وأعطياها أيضاً لحماً محفوظاً ، وجبناً ، وقالبين من السكر، وديوان شعر تنيسون ، مجلداً بالجلد الأخضر المذهب ، وكان عندها هى ملاحف رقّعتها . فخرجا مزوّدين تزويداً حسناً .

ولم يستطيعا قط أن يقولا أيهما كان خيراً — أيام الرحلة غرباً وهى متنوعة على طرق مجهولة ، أم الليالى التى كانا يقضيانها بجانب النار الموقدة ، وتشارلز يعزف على قيثارته ، والخيل ترعى ، والنجوم تتلامح ، والقمر يضىء ، وهواء الليل ساج جميل . وكانت أغنيته المحببة إليه تنهضه على قدميه إذ يرفع الصوت بألفاظ التحدى والنصر ، فتنطلق فوق الحقول المعشوشبة وتتجاوب بأصدائها الغابات المتراحبة العذراء :

« خلّ العاصفة تزأر ، فإن ذلك أخلق بأن يعجل بفنائها ، وسنخوض الإعصار، ونرسو آخر الأمر على الشاطىء السعيد » .

ثم تخمد كارولين النار، ويربط تشارلز الخيل حتى يطلع الصبح ، ثم يأويان إلى فراشهما فى المركبة .

وكان تشارلز يصيب كل يوم صيداً ، وإذا احتاجا إلى الدقيق والشاى والسكر ، أقاما فى حِلّة من الحلل ، وذهب تشارلز يعمل ليكسب ما يتزوّد به .

وكان الصيف قد شارف آخره حين بلغا

السهوب الغربية ، ووجد تشارلز عملا على السكة الحديدية ، وقال إن إقامة بيت أمر لابد أن يؤجَّل، وفي أثناء ذلك تقيم زوجته في مخيم السكة الحديدية ، فإنها حامل، وهو يريد أن يكسب شيئاً من المال .

وكان مخيم الرجال الذين يمدون الخط الحديدى إلى الغرب صغيراً في هذا السهل المتقاذف : وهو قسم للنوم ، وآخر للطبخ ، ومخزن للشركة . وكانت المسز بيكر وأختها اللتان تديران قسم الطبخ ، امرأتين جافيتين غير مهذبتين ، فلم تشأ كارولين أن تقيم معهما ، فبنى لها تشارلز كوخاً أو عريشاً من العيدان، فكان يقطع العيدان الجافة القوية ، وساعدته هى على تمليس الحيطان ومدّ غطاء المركبة فوقها، واستخدمت الحشائش الجافة فوق السطح لاتقاء حرارة الشمس . وقد تمت إقامة البيت في يومين، فصارت لها دار مرتبة رطيبة الجوّ لا يشاركها فيه أحد .

وكان تشارلز يذهب بالمؤن إلى البيت الجديد على مسافة عشرين ميلا غرباً، فيكون مع كارولين ليلة ويغيب عنها ليلة . وكنت تسمع الذئاب تعوى على بعد ، وكانت مخازن الشركة القريبة كثيرة الضوضاء بوقع الأقدام فيها ، وارتفاع أصوات الذين يشربون ويقامرون، وكان تشارلز قد أعطاها مسدساً فلم تخف قط ، ولكنها كانت تستوحش ولا تجد أنيساً .

فلما كانا شهر سبتمبر صارت الرياح باردة، والسماء الغائمة تتجاوب بأصوات الطيور المرتدة إلى الجنوب ، وكانت المخيمات تنقض ، فلن يكون هناك عمل حتى يحول الحول . وكان تشارلز قد كسب من المال ما يكفى لمؤونة الشتاء ، ولشراء الأدوات والبذور ، وقد وجد مكاناً يقيم فيه بيته .

وكانت عيناه الزرقاوان تومضان وهو يحدثها بذلك، ففي هذا المكان بيت مسقوف ومستودع من العيدان ، وخمسون فداناً من الأرض الممهدة ، فقد كان فيها قبله رجل أخذ هذه الأرض وعمل فيها كل هذا ، ثم نفض يده منها وذهب مشرّقاً ، وقال إنه لا يطيق أن يقضى شتاء آخر مستفرداً وَحَداً.

وسألها تشارلز : « أترى ستكون هذه الأرض موحشة لك يا كارولين؟ إنه لن يكون هناك إنسان آخر إلى مسافة ثلاثين ميلا » .

« أما لك بُدّ من أن تنأى عنها ؟ »

« كلا ، بل سأكون هناك، ولكن — » .

فقالت : « لا ، لن تستوحش نفسى » .

وفى منتصف الليل قصد تشارلز مكتب تسجيل الأراضى على مسافة ثلاثين ميلا ، ليظفر بهذه الأرض قبل أن يسبقه إليها سواه . ولم يكن قد ناهز العشرين ،

ولـكنه كان رأس الأسرة ، فلم تكن به حاجة إلى الانتظار إلى أن يبلغ الحادية والعشرين ليسجل طلبه للأرض . وفى ثالث يوم ، وفى ظلام الليل ، سمعته كارولين يغنى على الرغم من كركرة المركبة ؛ وكانت معه الوثائق ، فبعد خمس سنوات تصبح الأرض ملكه.



انقطع العمل فى المخيم. وشرع الرجال يذهبون شرقاً إلى البلاد المعمورة فى مركبات أو على ظهور الخيل ، أو مشياً على الأقدام . أما كارولين فساعدت تشارلز على حزم المؤن ، فذهبا غرباً.

وغضبت المسز بيكر حين سمعت أن تشارلز وكارولين لن يذهبا شرقاً لقضاء الشتاء ، وواجهت تشارلز ويداها على خصرها .

وقالت مغضبةً : « هذه البنيّة وفى مثل حالتها ! أتريد أن تقتلها ؟ »

فأفزعته صراحتها ، فما كان يدور له فى خلد أن ولادة طفل تنطوى على خطر على المرأة ، فصار مستعداً أن يعدل عن كل شىء وأن يكر راجعاً بكارولين إلى أهلها ، ولـكن كارولين كانت تفكر فى البيت والأرض ، وكانت تعلم أنه إذا أخذها غيره من طلاب الأرض فقد يقتلون تشارلز حين يعود فى الربيع ، وكثيراً ما وقع هـذا ، فقالت فى أدب بصوتها العـذب : « وداعاً يامسز بيكر — يجب أن نمضى الآن » .

ومضى تشارلز بالمركبة ، ولـكنه كان لا يزال مستعداً للارتداد ، وكانت كارولين أفطن من أن تذكر له طلاب الأرض والوثّابين عليها ، واكتفت بأن تقول برصانة: « إن الوضع أمر طبيعى ، وفى وسعى أن أضع طفلى هنالك كما أضعه فى أى مكان آخر » .

وساقا مركبتهما طول النهار دون أن يلتقيا بأحد ، وأبصرا مرة فارساً من بعيد لعله من الهنود ، أو من البيض الخوارج على القانون الذين يختبئون فى الغرب .

وكانت دائرة الأفق طول النهار على وتيرة لا تتغير ، والحشائش البرية تتماوج مع الريح . ولما كان العصر مرا بمخزن بذور منفرد ، هو الأثر الوحيد الذى يُهتدى به فى كل هـذه الأرض ، فانحرف تشارلز عن طريقه ليشترى بعض البذور .

وقبيـل الغروب دار حول مستنقع ، ووقفت الخيل ، فصاح تشارلز : « وصلنا ! »

فاتسعت عينا كارولين وهى تصوبهما إلى الماء فى بطن الخور تحتها ، فقهقه تشارلز ، فقد أبقى هذا الخور سرًّا ليفاجئها به ، ولم يخبرها أن فى هذه الأرض ماء ، وأنهما لن يحتاجا أن يحفرا بئراً .

وقال تشارلز : « خطر لى أن نسميه

خور الكمثرى البرى » ، وكانت هناك على الماء شجرتا كمثرى صغيرتان : « إن الماء يجرى فى عروقهما، وسينورّان فى الربيع ».

وأسرع فأراها الكوخ ، وكان تحت أقدامهما ، والخضرة فوقه ، والحشائش تحجب مدخنة الموقد ، والطريق ينحدر على حافة الخور الوعرة إلى الباب .

كان الباب يفتح على حجرة كبيرة تتسع لكل ما معهم ، والأرض ممهدة وصلبة ، والقماش يستر السقف وجانباً من الحيطان ، وهناك سرير ، ومائدة ودكة ، وموقد من الحديد للطبخ وكان تشارلز قد اشترى ذلك كله من الرجل الذى رحل عن الأرض، وكانت الشمس تدخل من البـاب الذى يطل على السهوب المترامية من فوق الجانب الغربى المنخفض من الخور، بل لقد كانت هناك كوة صغيرة مغطاة بورق مزيّت، ومنها يدخل النور فى الشتاء .

ولم يكن ثم ما هو خليق أن يكون أدفأ من هذا الكوخ فى الشتاء وأبرد فى الصيف، وكل هذا الدفء وهذه الراحة — المخزن المصنوع من العيـدان ، والأرض الخصبة التى لا شجر فيها ، والخور ، وبعض النبت الذى يصلح علفاً للخيل ووقوداً — كل هذا لهما ! وكل ما يتطلب الأمر منهما أن يعيشا هنا ويفلحا الأرض ، وبعـد خمس سنوات يكون ذلك كله ملكا لهما .



وظل كل شىء مريحاً قبل أن تهب عواصف الثلج ، وكانت الخيل تجد الدفء فى المخزن، وأمامها النبات والشوفان تأكل منه إلى أن يقبل الربيع ، وكان تشارلز قد قطع كل الحشائش الجافة وكومها بجانب المخزن .

وعوت الرياح ودفعت الثلوج أمامها على الأرض . وكان تشارلز فى الأيام الصافيـة يحمل بندقيته ثم يعود باللحم والفراء، وكانت كارولين تكنس وتمسح ، وتطبخ، وتغسل وتكوى . وفى الأيام التى تهب فيها عواصف الثلج صارخة من الشمال الغربى ، كان تشارلز يتحسس طريقه إلى المخزن لا يعدوه، وكان قد مدّ حبلاً من رأس الطريق إلى باب المخزن حتى لا يضل فى العواصف التى تعمى البصر .

وصنع تشارلز مهـداً من صندوقين ، ونجر الخشب بعناية بقطعة مكسـورة من المدخنة ، حتى صار أملس مثل كفه ، وحفر على رأس المهد صورة طائرين وعش . وكان ضوء المصباح حسناً ، والموقد ينفث الحرارة ويبعث رائحة الطعام الطيبة . وكان تشارلز يتناول قيثاره من صندوقه ويعزف ويغنى ويوقع بقدمه .

وفى شهر فبراير غطى الثلج هذا العالم

الساكن ، وأثقل الحمل كارولين فصارت بطيئة الحركة قصيرة النفس ، وكان تشارلز لايفارقها إلا قليلا وإن كان الجو ملائماً للصيد. وكان السكون يغشى هذه الأميال من الثلج التى لا أثر فيها لإنسان ، والتى لا يسمع فيها إلا زفيف الرياح ، ولا يرى إلا آثار الوحوش — عالم لا عداوة فيه ولا رحمة .

وحاولت كارولين أن تتذكر كل ماسمعته عن الوضع ، وما أقل ذاك ، ولم تدع تشارلز يفطن إلى حنينها إلى أمها .

وجاءها المخاض بأوجاعه بعد ظهر يوم ، وكانت قد أعدت عجينة للخبز وأدنت الوعاء من الموقد ليرتفع العجين ويختمر بسرعة ، واستطاعت أن تملكه وتقرّصه وترغّفه قبل أن يرى تشارلز وجهها ، وكانت تعلم أن الأوجاع ستكون شديدة ، وآلت أن لا تصرخ أو تتوجع ، حتى لا تزيد ما يعانيه .

وطال الليل جداً ، وكانت راقدة على السرير تبتسم لزوجها كلما استطاعت ، وكان فزعها شراً من الوجع ، فتعلقت به فى جزع ، ولكنه كان أقل منها حيلة ، ثم غام كل شىء ، وسمعت صرخات أدركت أنها ندّت عنها ، ولم تكن تستطيع أن تردها أو تكتمها ، ولم تكن تشعر بشىء إلا هذا الألم الذى لا يطاق . وكانت قوتها قد أخذت تضعف .

وولد الطفل فى صباح اليوم التالى — ولد فى يوم عيد ميلادها السابع عشر كأنه هدية فسمياه تشارلز جون . وكان سميناً صحيح البدن ، وكان قلما يصرخ . وكانت كارولين تغسل ثيابه كل يوم وتغسله هو بماء الثلج بعد تدفئتـه على الموقد . وكانت سعادتها فوق الوصف إذ تحمله لترضعه .

وذهبت الثلوج بسرعة فى ذلك الربيع ، وبين مساء وصباح ازدانت السهوب بالأزهار البرية، وكان الباب يظل مفتوحاً طول النهار، وكانت كارولين تحمل الطفل وتمضى به إلى الحقل حيث يحرث زوجها ، وكانت الأرض كلها عليها تباشير خصْبها .

وكان الخط الحديدى سيصل فى ذلك العام إلى مسافة عشرة أميال من مكانهما ، ونزل عدد من الأسر عند موقع المدينة ، وستجرى القطر على الخط فى العام القادم. وكان الناس فى كل مكان يتخذون بيوتهم ، فاغتبط تشارلز وكارولين لأنهما سبقا غيرهما وأخذا خير بقعة . وسيخرج فى أرضهما أول قمح فى هذه المنطقة .

وفى صباح يوم من أيام مايو ، وقد أنبتت الأرض واخضرت رؤوس القمح ، وأخذ تشارلز يزرع البطاطس، أقبلت مركبة تجرها الثيران. وفى ذلك المساء دعا تشارلز كارولين

وأراها ناراً على مسافة نصف ميل، وفى صباح اليوم التالى كان القادمون يقيمون كوخاً.

فقال تشارلز بفرح: «سيكون لنا جيران».

ومضى فى الصباح ليحيي القادمين، ثم عاد كئيباً محزوناً، فقد كانوا من السويديين ولا يكادون يعرفون الإنجليزية.

وبعد بضعة أسابيع، وفى وقت الظهر ظهر المستر سفنسن فى مدخل الباب وهو رجل ضخم فى ثياب معفرة، ويداه غليظتان، ووجهه عريض مكتئب، وكان الدمع يلمع فى عينيه الزرقاوين، ومد ذراعيه مشيراً إلى السهوب المترامية، وأخرج صوتاً كصوت الرياح التى لا تهدأ، ورفع إصبعين، أحدهما يشير به إلى نفسه، والآخر إلى زوجته. وبسط يديه إلى كارولين متوسلا، فقد كانت زوجته تشعر بالوحشة.

وفى عصر ذلك اليوم ارتدت كارولين خير ثيابها، وقبعتها، وحملت طفلها بين ذراعيها، ومضت تجتاز السهل حتى وقفت أمام الستر الذى يغطى مدخل الباب، ونادت فى استحياء: «يامسز سفنسن».

فرفعت الستر امرأة صفراء الشعر، فى مثل سن كارولين، وكانت تنتفض من السرور، فأخذت بيد كارولين وأدخلتها الكوخ، وكان الكرسى الوحيد فيه هو المقعد الذى نزع من المركبة، وألحت عليها المسز سفنسن وهى تبتسم وتتكلم بما لا يفهم، أن تقعد عليه، ثم وضعت البن والماء فى إبريق وخرجت مسرعة لتوقد تحته ناراً، فما كان عندها موقد.

وكان غطاء المركبة مطوياً على الأرض، وعليه مرتبة سميكة من الريش ومخداتها ولحاف. وفى أحد الأركان براميل وصندوقان كبيران مدهونان، وفتحت المسز سفنسن صندوقاً وأخرجت فنجانين وطبقين، ثم جاءت بالقهوة.

وقالت كارولين وهى تشير: «فنجان».

فقالت المسز سفنسن مثلها: «فنجان»، وضحكت فبدت أسنانها البيض المتينة.

وقالت كارولين: «طبق».

فقالت المسز سفنسون بحماسة: «طبق».

ثم شرعت كارولين تشير إلى أشياء أخرى فكان الأمر كأنه لعب ولهو. وقالت المسز سفنسن بعدها: «طفل» فتركتها تحمل ولدها، فكان يضحك ويضرب برجليه وهو على ذراعيها.

ولما همت كارولين بالانصراف، ذهبت بها المسز سفنسن إلى المستودع المصنوع من العيدان وأرتها خليتى نحل، فعلمتها كارولين كلمتى «نحل» و«عسل»، وعادت إلى البيت تحمل أنباء كثيرة تريد أن تقصها على زوجها.

وبعد ذلك صارت كارولين والمسز سفنسن تجتمعان أحيانا مرتين في الأسبوع، وتقضيان العصر معاً في أحد الكوخين. وشعرت كارولين كأن الأرض تعمر بسرعة لما صار لها جار على مسافة نصف ميل منها.

وكانت الأرض تموج بنباتها وستخرج سوى القمح، البطاطس واللفت والجزر، ويتوفر الدقيق للشتاء المقبل، ويكون المال كافياً لغير ذلك من المؤن. وفي العام المقبل، إذا جرت الأمور على ما يرام، يستطيعان أن يتخذا بقرة، ومتى آلت ملكية الأرض إلى تشارلز، فإن في وسعهما حينئذ أن يبنيا بيتاً.

وغرسا الحبوب على صفين حول الموقع الذي اختاراه لإقامة البيت، وكانت كارولين تذهب كل يوم، بعد أن تفرغ من أعمالها الأخرى، تملأ الدلو عشرات المرات من ماء الخور إلى صفي الحبوب النابتة. وسيجيء يوم يكون لهما فيه حجاز يصد الرياح.



وفي صباح يوم في أخريات شهر يونيه قال لها زوجها: «أريد أن أريك شيئاً»، وكان صوته يرعش من فرط التأثر، فتبعته في الطريق، ثم وقفت مذهولة. فقد كانت السنابل الخضر في الحقل كله ترتفع أمامها إلى صدرها.

وعجز تشارلز عن ضبط صوته وهو يقول «انظري يا كارولين! سأحصد مقدار أربعين بوشلا من الفدان الواحد. والقمح يباع هنا الآن بسعر ريال للبوشل. فهذا المحصول يساوي ألفي ريال!»

فذهلت، فقد كان هذا مبلغاً يتجاوز كل تقدير، وقالت بلهجة من به رهبة: «في وسعنا أن نشتري البقرة».

فصاح تشارلز: «بقرة؟ قولي قطيعاً من البقر! وسنحيط الأرض بحاجز، ونبني البيت، وسأشتري لك ثوباً من حرير! وستكون لنا مركبة وزوج من الخيل!»، ورفعها بين ذراعيه وراح يدور بها ويرقص ويصيح وقد غلبه الطرب، ويقول: «أصبحنا أغنياء يا كارولين! أغنياء!»

وجعلا يذهبان كل مساء إلى حقل القمح لينظرا إليه، وكانت أيام الصقيع قد ولت، ولم تعد بالمحصول حاجة إلى المطر، وشرع تشارلز يحفر سرداب البيت الجديد بين صفوف الحبوب التي زرعها. وكانت كارولين قد ولدت في بيت من خشب، أما تشارلز فكان يطوف برأسه شبح من ذكرى بيت أبيض الدهان في الشرق، فاعتزم أن يبني البيت على هذا المثال.

وخطر لتشارلز أن الأرض التي حصل

عليها ليست كافية ، وقال : « وينبغى أن أستجل طلباً لأرض أغرس فيها أشجاراً . إننا ننمو ونكبر يا كارولين وينمو معنا أعظم بلد فى العالم ! »

فقالت : « ستحتاج إذن أن تغرس مئة شجرة وتتعهدها خمس سنوات ، وتقتل نفسك عملا ، وأنت تتعهد أرضين » .

فضحك منها ضحكا طيبه الحب وقال : « وما فائدة المال ؟ فى وسعنا أن نستأجر عمالا » .

وقبل أن تطلع الشمس استقل المركبة ، فقد أقيم فى موقع المدينة مكتب للأراضى ، فنى مقدوره أن يعود إلى البيت فى تلك الليلة .

ولم يكن عمل اليوم فى نظرها إلا صدفة تضم فى جوفها مستقبلا هو أقرب إلى الحقيقة من الحاضر ، وستكون فى البيت الجديد بئر ومضخة ، فلا تحتاج أن تأخذ الماء من الخور بعد ذلك وتحمله . وسوف تكون للطفل ثياب رقيقة من الصوف ، وأردية موشاة بالمخرم (الدنتلا) ، وتفرش أرض البيت بالخشب ليسهل تنظيفها .

ولما مالت الشمس للمغيب ذهبت تحمل الماء لتسقى البذور المغروسة ، واعتدلت فى وقفتها ونظرت إلى الحفرة التى ستكون سرداب البيت ، وفكرت فى الدار البيضاء التى ستبنى وحولها الأشجار الذاهبة فى الهواء تصد عنها الرياح ، وتحيط بها حقول تخرج ثروة من القمح . هكذا سيكون بيتهم ، ولن يعرف الطفل بيتاً غيره ، وسيكبر ويصبح فتى ثم رجلا فى هذا البيت الأبيض الكبير ، ويعمل فى حقول القمح وفى المخازن الكبيرة ، ويركب جواده ويركض به فى السهوب ، ولن يتذكر شيئاً من الحياة فى كوخ فقير .

وكان الظلام قد أرخى سدوله حين سمعت صوت المركبة وخرجت للقاء زوجها عند المخزن ومعها مصباح ، فوقع الضوء على حمل من الحطب ، ووراء المركبة آلة حصاد جديدة حمراء تلمع أجزاؤها المصنوعة من الصلب ، وكان على المقعد بجانبه كوم من حزم ملفوفة .

ووثب تشارلز فوق العجلة ، وضمها ضمة طردت الهواء من رئتيها : « خمنى ماذا جئتك به ! »

« ولكن يا تشارلز ، كيف ؟ أتراك استدنت ؟ »

« ولم لا ؟ إننا قادرون على الوفاء ، أليس كذلك ؟ أما لو أنك سمعت ما يتحدثون به فى البلدة عن قمحنا ! لقد قدمت طلباً للأرض الواقعة فيما وراء الخور وصار لنا خير رقعة فى هذه المنطقة . ومتى صارت كلها مزروعة قمحاً — ربّاه ! هل كنت

تحسبين أنى سأقطع كل هذه الأميال العشرة على مركبة فارغة ؟ لقد كان واجباً أن نشترى آلة الحصاد هذه — والحطب ! »

ولم يسبق لهما قط أن تناولا عشاء كهذا أو قضيا مثل هــذه الليلة . وكان تشارلز قد اشــترى قطعة من اللحم ، وشيئاً من الحلواء والزبيب ، وزاد فابتاع رطلا من الزبد ورطلا من السكر الأبيض ، وجاء بلعبــة للطفل ، وحذاءين كبيرين جداً له فى سنه هذه . ثم فك حزمة ، وكشف عن ياردات من الحرير الرقيق الأسمر ، فشهقت كارولين وهى لاتكاد تصدق ما ترى عيناها ، ولمست الحرير فى خشوع ، وحاول تشارلز أن يتكلم مستخفًّا فقال : « إن شعرك أرق وأنعم من الحرير » ، ثم ندت عن صدره صيحة وهو يقول : « حمداً لله، فإن فى وسعى الآن أن أعنى بك وبالطفل » .

وبعد أن أكلا عشاءهما جلسا معاً فى مدخل الباب ، وصعَّــدا عيونهما إلى النجوم ، وكانا مطمئنين آمنين بفضل ما أخرجت الأرض من القمح . وقال تشارلز : « سأحصده فى آخر الأسبوع المقبل » .

وكانت كارولين تضع طعام العشاء على المـائدة فى اليوم التالى حين سمعا صراخ امرأة .

فقال تشارلز : « ابقى حيث أنت » . وتناول بندقيته وخرج ، ولم تبعد كارولين عن الطفل واكتفت بأن تذهب إلى رأس الطريق .

وكانت المسز سفنسن مقبلة تعدو ، وتشارلز يعــدو إليها ، فصاحت وهى تلهث بألفاظ تنم على التحذير والفزع ، ثم دارت وأشارت إلى فوق ، فرأت كارولين سحابة لم يسبق لها بمثلها عهد مقبلةً من الشمال الغربى بسرعة . وعادت المسز سفنسن إلى كوخها وهى تنتحب .

وأحست كارولين بمثل وقع المطر على النبات حولها ، ولـكنها لم تر سوى أوراق تضطرب ، ووقف تشارلز كأنما تجمّد وصاح : « ربّاه ! ربّاه ! » .

ذلك أن الجراد كان يتساقط من السماء بالمئات ، فقد كانت السحابة من جراد .

وذهب تشارلز يعدو إلى المستودع وهو يصيح : « املأى الدلو . اغمسى البطانيات فى الماء ، فقد تكون النار منجاة من شرّه ! » .

وقبل أن ينقطع تساقط هذه المخلوقات المجنحة من السماء ، كان تشارلز قد ساق الخيل ثلاث مرات حول حقــل القمح ، وحفر ثلاثة أخاديد فى الأرض ليحمى بطينها المرفوع قمحه من النار التى أوقدها بعــد ذلك فى الحشائش البرية . ومن حسن الحظ أن الريح كانت ساكنة .

وكان على كارولين أن تتبع النار على طول الخط المحروث لتمنع النار من أن تشبّ في القمح ، أما تشارلز فكانت مهمته أشق ، وهى أن يحصر النار فى الحشائش ويمنعها أن تحرق الأرض كلها . وكانت هنالك سوى رائحة الحشائش المحترقة ، رائحة زيتية منبعثة من الجراد الذى يقع فى النار .

وبدا كأنه لم يكن قط هناك ، ولن يكون أبداً ، سوى هذه المعركة المستيئسة العنيفة التى لا رحمة فيها ولا هوادة . على أنها انتهت أخيراً ، وهوت كارولين إلى الأرض وهى ترتعد .

خف إليها تشارلز ، وكان قد غشيه الدخان وذهب شعر جفونه ، واحترق الشعر الذى كان على ذراعيه ، ولكن أعواد القمح ظلت قائمة كما كانت — خضراً ذهبية جميلة — وللجراد حفيف فوقها .

وقال : « ادخلى واستريحى ، وسأحافظ على أن يبقى هذا الدخان الكثيف الخانق ، وأخلق بهذا أن يجدى »

ومشت كارولين فوق الجراد ، وكانت قدماها تسحقان ما تدوسان منه وكان الجراد فى شعرها ، وفى كمها ، وفى إزارها ، وحاولت أن تسد أذنيها فلا تسمع حفيف أجنحتها .

ومضت إلى الطفل تتعهده بلا تفكير ، وفى الوقت المعتاد أطعمت الخيل ، وقادتها إلى الماء لتسقيها ، ثم طبخت العشاء . وكان تشارلز يجز الحشائش ويكومها على الخط الذى كانت فيه النار حول حقل القمح ، فارتفع الدخان الكثيف وانتشر فى الهواء الراكد .

وأبقت كارولين العشاء دافئاً زمناً طويلا ثم جاء زوجها أخيراً ، وقد زهد فى الطعام من الإعياء والقلق والاضطراب . وخرجت معه إلى حقل القمح ، وأرته النار الهامدة على ضوء النجوم ليظل الدخان يرتفع فى الجو .

وطلع الفجر معتما من الدخان ، ولما وقعت أشعة الشمس الأولى على السهوب ، ارتفع من الأرض صوت ، وكان هذا صوت أشداق صغيرة لا عداد لها تأكل وتقضم . وبدأ الحقل يموج ويضطرب ، والأعواد الطويلة تنتفض وكان أحدها ربما اهتز وتحرك كأنما يكافح ، ثم يتطرح ويميل على ما جاوره .

صاح تشارلز بصوت مبحوح وانطلق إلى الحقل ، وجعل ينتزع الأعواد جملة ، وكان يحس كأنه إنما يقطع لحمه هو حين يقتلع الأعواد ويكدس أكوامها ليشعل فيها النار ، ولكنه لابد من التضحية ببعض النبات لإنقاذ البقية .

وكان تشارلز يصيح من خلل الدخان : « كارولين ! ارجعى إلى الكوخ وابقى فيه — لاقبل لك بهذا — ما زلت ترضعين الطفل ! » وكانت الدموع المنحدرة من

عينيه المحمرتين تبلل الهباب الذى على خديه.

وكانت كل ساعة تحمل إليه شبراً بارداً وطعاما ، ولكنه كان لا يكف عن العمل ليأكل. وقال مرة وهو يشهق: «لو استطعنا أن ننقذ ما يكفى للبذور ، لأمكن تأجيل هذا الدين إذا رهنت له المحصول » .

وفى اليوم التالى لم يبق عود من الحشائش قائماً على الأرض ، وكانت ملقاة كأنما حشت ولكنها كانت لا تزال تضطرب . وجاءت كارولين بدلو من ماء الخور ووقفت تحدق فى أشجار الخوخ. لم تكن عليها ورقة واحدة.

ولما دخل تشارلز فى الكوخ كانت عيناه محمرتين فى وجهه الذى علته طبقة من الدخان. وقال : « ذهب القمح يا كارولين! كل سنبلة . » وانحط على المقعد .

وأبت أن تدعه يتهافت وينهار . وقالت : « إذا لم يكن هناك قمح فإنى أحسب أننا نستطيع أن نمضى فى سبيلنا بدونه . وقد استطعت إلى الآن أن تمضى بدونه » وقعدت بجانبه فجذبها إليه، وأحست أن الشهيق يرج كيانه حين أسند وجهه إلى كتفها ، وقد تعلق بها فى هذه المحنة التى تجاوز طاقته ، كما تعلقت هى به حين وضعت طفلها .

« آه يا كارولين ! أما لو أنى لم أرتكب هذه الحماقة! مدين بمئتى ريال، لا طحين لهذا الشتاء — ولا بذور أيضاً » .

« لا تفكر فى هذا الآن . ولن تعجز عن تدبير أمرك . وسيزول عنك هذا الشعور متى نمت قليلا » .

ونام نوماً ثقيلا من الإعياء ، وفى الصباح كان وجهه منضناً وعيناه وارمتين ، وبعد أن اغتسل وأفطر ، أقنعته بأن يرقد ثانية فنام، وجلست كارولين ساكنة حتى لا تقلقه.

وسمعت فجأة صوتاً حاداً تمشى دبيبه فى ظهرها ورأسها ، فوثبت إلى قدميها ، فرأت على عارضة الباب صفا أسود يتهاوى عليه ويتدفق منه. فقد أقبل الجراد يغزو الكوخ، وكانت آلاف من ذوات الرؤوس الصلبة ، والعيون الجاحظة، والفكاك البارزة ، تتحرك فوق عارضة الباب ، فالتقطت الطفل ولفت عليه فوطتها وغطته بذراعيه .

وصاحت : « تشارلز. تشارلز ! اقتلهم! »

وكان الباب مفتوحا على حافة الخور. فبدا لها كأن الأرض كلها تزحف — الطريق ، وحافة الخور، والسهوب ... تموج وتزحف، ومدت يدها إلى الرتاج ودفعت الباب فأغلقته بشدة فسحق عدداً من الجراد .

وهب تشارلز يسقط الجراد عن السقف والحيطان ، ويسحقه بقدميه ، ويزيله عن السرير ، ويكنسه من تحته .

وظلت هذه المخلوقات تجىء طول الليل والنهار بعده ، ولم يبرح تشارلز الكوخ

ألا ليتعهد الخيل ، وقال : « الحمد لله فإنها بخير ، وسأستطيع أن أجد عملا لى بها ، وسأعود إلى العمل فى السكك الحديدية ، لما قضى علينا بعد ، وسنكون بخير » .

فقالت كارولين : « طبعاً . وقد وفقنادائماً » .

وكانت تعلم مبلغ كرهه للعود إلى العمل فى السكك الحديدية ، فقد قضى عاما يعمل فى أرضه ، وكان حراً مستقلا .

وقبيل المساء ، بدا الورق المزيت الذى يسد الشباك صافياً ، فقد ذهب الجراد فجأة كما جاء ، ومضت سحابة شفافة منه إلى الشمال الغربى . ولم يبق فى السهوب كلها عود واحد من النبات ، وثار التراب مع الريح فى المساء ، وكان كل ما تركه الجراد ولم يأت عليه هو أكوام الدريس المتخلفة من العام الماضى .

واستقل تشارلز المركبة فى صبيحة اليوم التالى إلى أقرب مخيم للسكك الحديدية ، وكان على مسافة عشرين ميلا ، وقال لها : « إذا استخدمنى رئيس العمال على الفور ، فسأبقى هناك ، وسأحاول أن أبعث إليك بخبر إذا وجدت أحداً آتيا إلى هنا ، ولكن لا تقلقى إذا لم أعد غداً مساء ، فإن سفنسن هنا ، وسيتعهدك » .

وضمها إليه لحظة ، وقبلها ، ثم استقل المركبة ومضى بها .

ولم تدرك مبلغ قلقها إلا بعد أن تخلف عن العودة فى الليلة التالية ، وحدثت نفسها أنها كانت واثقة أنه سيجد عملا ، وسيستطيعان الآن أن يؤديا بعض ما عليهما وأن يبتاعا بعض المؤونة للشتاء المقبل ، وبذوراً للعام التالى . وقالت إن ما ضاع من القمح ليس بالخسارة الحقيقية ، فما حصدناه قط ، ولا بنينا البيت الجديد ، ولا اشترينا المركبة الجديدة والجوادين ــ ما كان شىء من هذا كله حقاً . وقالت لنفسها : « لقد وجد عملا ، وستكون لنا بقرة فى العام المقبل ، ويشرب ابنى من لبنها » .

وبعد خمس ليال عاد زوجها . وكانت كارولين ترضع الطفل حين سمعت المركبة تقف أمام المستودع . وأراها ضوء المصباح التراب الكثيف فى عينيه ، وأدركت أنه قطع عدة أميال فى يومه فى التراب والحر وحده ، وعاد مهزوماً .

فقالت تلاطفه : « أراك تعبت جداً فدعنى أفك الخيل » .

« لم أستطع أن أجد عملا . ليس فى المنطقة كلها عمل » .

فرفعت إليه وجهها ، فقبلها قبلة سريعة ودار ليحل السيور ، ودخلت هى فى الكوخ . فلما أقبل كان الشاى يغلى ، والبطاطس يصعد منه البخار وكان فمه وفكه صارمين ، فاستغربت كارولين وقالت لنفسها : « إنه لم يتجاوز العشرين ! »

وقال : « إنهم يستغنون عن العمال فى كل مكان ، وقد كفوا عن العمل . وكل امرىء يبحث عن عمل . ونصف من فى البلدة يخرجون منها ، وقد رأيت الرجال يشحذون فى مخيمات السكة الحديدية ، — رجال لهم أسر وأطفال ! »

فتشددت وقالت : « ليس الأمر من السوء بهذا القدر . فعندنا الدريس والبطاطس ، وفى هذا الشتاء تستطيع أن تخرج للصيد » .

فضرب المائدة بقبضته وقال : « لن أستطيع ، فليس عندى بارود ولا أستطيع أن أقترض . وقد قضى على » ووضع قبضتيه على ركبتيه وقال : « علينا أن نرحل عن هذا البيت إذا استطعنا . وقد أجد عملا إذا ذهبنا شرقاً » .

وكانت كارولين تدرك أنه لا ينبغى لهما أن ينزلا عن البيت والأرض ، فقالت : « لماذا لا تذهب شرقاً حتى يقبل الشتاء ، وفى وسعنا أن نرجىء الدين إذا بقينا فى البيت » .

فقال بفتور : « كيف نستطيع أن نقوم برحلة كهذه ونعود فى خمسة شهور ؟ إننا سنضطر أن نسير على مهل من أجل الطفل ، ويجب أن يكون معنا مال لنعيش ونقتات . وسيثب بعضهم على هـذه الأرض المحروثة إذا تركناها » .

ولم يكن قد خطر له أن يشرّق وحده فقالت بحزم : « لن يثب على الأرض أحد وأنا هنا » . ففهم ورفع إليها عينيه وقال : « هل تعنين يا كارولين — » .

فقالت : « إنى أشعر بالوحشة فى الحالين ، سواء أكنت تعمل فى السكة الحديدية أم فى أقصى الشرق » . وتشددت وقالت بسرعة : « سأكون بخير فإن آل سفنسن هنا » .

وفى تلك الليلة ظلا يتحدثان وهما راقدان والطفل بينهما ، واستطاعت أن تبين له أن الأمر بسيط : فالعمل فى الشرق أو فى السكة الحديدية سواء .

وقضيا بضعة أيام معا قبل أن يرحل . وساعدته وهو يغرس البطاطس واللفت ، وحفر بئراً ، وعلق عليها البكرة لتمتاح منها ، وهى قريبة ، فلا تحتاج أن تذهب إلى الخور . وقضيا المساء مع آل سفنسن ، ثم عادا إلى الكوخ فى ضوء القمر ، والطفل نائم على ذراعى أبيه .

وفى صباح اليوم التالى وضع الحطب فى المركبة وذهب إلى البلدة ، ثم عاد يحمل الدقيق والملح والعسل والبترول ، وقطعة من اللحم المملح ورطلين من الشاى ، فقد باع الحطب واشترى بثمنه هذه المؤن ، وهى تكفى كارولين حتى يعود فى الخريف . ورهن الخيل لوفاء الدين ، ولكنهما مع ذلك تحدثا وهما مستبشران . وقال إنه سيقطع الطريق بسرعة ، ومتى وجد قطاراً فسيركبه ، ويقال إن المحصولات جيدة

فى الشرق ، ومن السهل أن يجد عملا فى الحصاد ، وفى الخريف يعود ومعه ما يكفى من المال ويسترد الخيل ، ويقضيان شتاء آخر معا ، ثم يجىء الربيع ، والعام الجديد ، والمحصول الجديد .

وظلا مستبشرين إلى آخر لحظة ، التفت إليها تشارلز ولوّح لها بيده عند قمة الطريق ، ورفعت كارولين الطفل وأمسكت بيده ولوحت له بها ، وبقيت واقفة تصغى حتى انقطع صوت المركبة . لقد رحل .

وكان عندها ثلاث كرات من الخيط ، وإبر صغيرة للنسج ، فبعد أن فرغت من شئون الكوخ ولم يبق شىء آخر تعمله ، نسجت الخيط كله ثم حلته لتنسجه مرة أخرى .

وكانت كارولين دائمة التطلع إلى القادمين إلى السهوب على الخيل ، فإذا رأت أحدهم يركض إلى الجنوب ، راحت تعدو وتنادى وترفع عينها إلى الغريب القادم وتقول : « أماض أنت إلى البلدة ؟ إذا كنت سترجع من هذا الطريق فهل لك أن تسأل فى مكتب البريد عن رسائل لى ؟ »

فكانوا جميعاً يقولون : « حباً وكرامة . يسرنى أن أفعل ذلك » ، ولكنهم لم يعودوا .

وكانت كارولين واثقة أن لها رسالة فى مكتب البريد — إذا لم يكن قد وقع لزوجها حادث ، وكانت الرحلة ذهاباً وإياباً تستغرق يومين ، بعربة تجرُّها الثيران ، أو سيراً على الأقدام ، فعرض سفنسن أن يقوم بها ، ولكنها فى عصر ذلك اليوم سمعت وقع حوافر ، ثم سمعت من يدعوها ، فإذا رجل يحمل لها رسالة :

« زوجتى العزيزة — إنى أتناول القلم لأخبرك أنى بخير ، وأنى أرجو أن تكونى كذلك ، كيف حالك وحال الصغير ؟ إنى أزاول عملا فى مطحن وأتقاضى ٥٠ ريالاً فى الشهر مع المسكن . وصاحب المطحن يعاملنى معاملة حسنة . اكتبى إلىّ لأعرف كيف أنت . وسأعود فى شهر أكتوبر . والآن يكفى هذا من زوجك المحب . قبلاتى لك وللصغير » .

وقد أبلت الرقعة من كثرة ما قرأتها .

وسار سفنسن إلى البلد ليرسل ردها بالبريد ، وكان عطوفاً جداً حتى لكانت كارولين تشعر أنها لن تستطيع أن توفيه حقه . ورأت أن تدعه يجز البرسيم لها على أن يقتسماه . وكان يحتاج إليه لإطعام ثيرانه ، أما هى وولدها فيكفيهما ما بقى عندها من العام الماضى ، ونصف المحصول الجديد .

وظل سفنسن أسبوعاً كاملا يجز البرسيم ويكومه ، وكانت امرأته تجىء معه كل صباح حاملة جانباً من الطعام ، فيأكل الثلاثة غداءهم فى الكوخ الظليل ، وكان هذا الأسبوع خليقاً أن يكون مما يطيب تذكره لولا كآبة

سفنسن . وكانت كارولين تغضب حين تسمعه يحمل على البلاد كلها وعلى الغرب . فتقول بحدة : « إن البلاد بخير . وما من بلد يمكن أن يطعمك بملعقة » .

فيشير سفنسن بعديته إلى الفضاء ، وكانت السهوب تحجبها الحرارة ، ولا أفق يبدو ، ويقول بمرارة : « هذه الأرض اللعينة لا تطعم أحداً ، هى مأوى جن » .

فتسكت كارولين وتتقى تأدباً منها أن تقول : « إن الرجال هم الذين يصنعون البلاد » . ثم تقول بلطف بعد قليل : « إن الجو حار لأنه لا شجر هناك ، وفى حيثما تكون الأشجار يروح الناس يقطعونها ويحرقونها ويقتلعون جذورها . أما هنا فسنغرس الأشجار التى نريدها ، وسيكون الجو أكثر اعتدالا متى نما الشجر وزرعت الأرض وخرجت المحاصيل . إنها أرض طيبة » .

ولما أقبل شهر سبتمبر ، راحت كارولين تعد الأسابيع ، فما بقى إلا ثمانية أسابيع ثم تجتمع بزوجها .

وأقبل سفنسن ذات صباح ووقف بباب الكوخ وبسط يديه الغليظتين ثم تركهما تهويان إلى جانبه وقال : « سنرحل » .

لقد قنط واعتزم أن يرحل إلى الشرق .

وحاول سفنسن أن يتصيد الألفاظ ، واغرورقت عيناه بالدموع وهو يقول لها إن فحول النحل تقتل الصغار فتغرس إبرها فيها فتميتها ، لأن غريزتها دلتها على أنها ستعجز عن إطعامها فى الشتاء . فقد أتى الجراد على كل نبت ، ولم يعد النحل يجد نوراً وزهراً يستخرج منه العسل ، وانحدرت دموعه إلى لحيته حزناً على صغار النحل ، وقال بحدة إنه لن يبقى فى أرض لا تستطيع أن تعيش فيها نحلة .

وفزعت كارولين قليلا ، فقد احتفظت طول الصيف بشعورها بأن الأرض سيستقر فيها العيش بسرعة ، إذا كان لها جيران على مسافة نصف ميل منها ، ووضعت قبعتها على رأسها وذهبت لتزور امرأة سفنسن .

وقالت المسز سفنسن إن لها أخا فى ولاية أخرى ، وسيقصدان إليه ، وسيقضيان هذا الشتاء فى أرض حقولها مسوّرة وفيها جيران ، أرض زاخرة بالحياة . وقد تحدثت عن كل هذا وهى مشغولة بالتهيؤ للرحيل .

ولم تنطق عيناها بحقيقة شعورها إلا مرة واحدة على غير عمد ، فقد كانت تدرك أن زوجها يئس ، وأنه لن يكون إلا أجيراً فى الشرق ، ولكنها تبسمت وقالت : « سنعود ، والأرض واسعة ، أليس كذلك ؟ »

نعم ، ولكن تشارلز سيصبح مالك الأرض بعد أربع سنوات أخرى ، ولن ييأس أبداً .

وحمل سفنسن على ثيرانه ما عنده من البطاطس واللفت ونصيبه من البرسيم البرى

إلى البلدة ، ليستبدل بها مؤناً يحتاجان إليها فى رحلتهما . ولما عاد دسّ يده فى جيبه وأخرج رسالة ، ففضتها كارولين بسرعة وكانت فيها ورقتان من أوراق النقد ، وكانت لا تكاد تتبين الألفاظ المكتوبة على الرقعة ، لترقرق الدموع فى عينيها :

« زوجتى العزيزة — إنى أتناول القلم لأقول لك لا تقلقى . فقد وقعت لى حادثة ولكنى أتماثل للشفاء بسرعة. لست أستطيع يا كارولين أن أعود فى شهر أكتوبر ، فقد انكسرت ساقى فى موضعين ، ولكن الطبيب يقول إنها تلتئم بسرعة ، ولن أصاب بالعرج — وقد تسلمت رسالتك ، ويسرنى أن أعلم منها أنك بخير ، وأن الصغير سمين وبصحة . يحسن بك يا كارولين أن تقيمى مع آل سفنسن فلست أدرى متى أستطيع السفر ، والشتاء قد يكون قارساً هناك ، وسيكون الصيد نادراً ، وستخرج الذئاب والمتشردون إلى الأرض المعمورة ، وسيعنى بك سفنسن ، فدعيه يبنى لك كوخاً بجوار كوخه ، وقد بعثت لك بما تيسر من المال للمؤن ، وسأعود متى استطعت ، فلا تقلقى علىّ ، فإن صاحب المطحن لا يتقاضانى شيئاً على طعامى وأنا طريح الفراش ، وسيؤدى للطبيب أجره . وحاولى يا كارولين يازوجتى العزيزة أن لا تحنّى إلىّ كحنينى إليك ، فلن أفارقك مرة أخرى ما دمت حيًّا . واكتبى إلىّ . زوجك المحب »

ونظر سفنسن إلى كارولين مستطلعاً . وكان هو وزوجته قد تأهبا للرحيل ، وكل يوم يمضى يعد خسارة ، لأنه ينبغى لهما أن يرحلا بسرعة قبل نزول الثلج وتراكمه .

وقالت : « لن يعود الآن فقد أصيب بكسر » ، حتى هذه الكلمات لم تدلّ على ماعراها من الذهول ، وكانت عيناها تنظران إلى ورقتى النقد ، ورقتين كل منهما بعشرة ريالات ، فهما عشرون ريالا .

وصار الأمر مرجعه إليها الآن ، فقالت : « سآخذ الطفل وأذهب إلى البلدة » .



وانحرف آل سفنسن عن طريقهما ليذهبا بكارولين إلى البلدة ، وبذلك منحاها يومين من جملة الأيام القليلة الباقية لهما ليقطعا الطريق إلى غايتهما. وفى هذين اليومين كانت الثيران تأكل طعامها دون أن تدنيهما من غايتهما . ولم تستطع كارولين أن تأبى هذه المعونة ، ولكنها أبت أن تتقبل غيرها . وعليها اليوم أن تجد لها مأوى فى البلدة .

وكان هناك المتجر ، فتنفست تنفساً عميقاً وحملت الطفل على كتفها ، وكان هندرسن

صاحب المحل يكنس الأرض حين دخلت هى وامرأة سفنسن فقال : « صـباح الخير . ماذا أستطيع أن أصنع لكما ؟ »

فقالت له كارولين إنها تريد أن تقيم فى البلدة حتى يعود زوجها : « وفى وسعى أن أعمل فى مقابل الإقامة . وقد بعث إلىّ بقدر من المـال ولـكن — »

فعبث هندرسن بلحيته وقال : « أقول لك الحق ، إنه لم يبق كثير من النساء هنا ، فقد رحل الرجال ذوو الأسر بعد أن أنزل بنا الجراد هذه الضربة . والمكان ضيق ، ولكن يحسن أن تتحدثا إلى زوجتى » وفتح الباب المؤدى إلى منزله وقال : « هنا سيدتان تريدان أن تحدثاك » .

وكانت زوجته تعد الفطور ، وهى امرأة صغيرة الجسم ، سريعة الحركة ، كثيرة الكلام فقالت : « طبعاً لا تستطيعين أن تقيمى وحدك على تلك الأرض مع دنوّ الشـتاء . وإنه ليسرنى أن تبقى معنا . والله يعلم أن قليلا من المال ليساعدنا كثيراً ، ولكنه ليس عندنا سوى غرفة نوم واحدة لنا نحن الستة . ومتى جاء دورنا لإسكان المدرّسة عندنا ، فسأحتاج أن أعد لها فراشاً هنا فى المطبخ . وهناك زوجة ديكر صاحب الحانة ، ولكنها امرأة تقيـة . وليس عندها سوى غرفة واحدة ، ولكنها رحيبة ، وليس فيها غيرها هى وزوجها . وهناك أيضاً زوجة وكيل المحطة إنسول ولست أدرى هل تقبل إسكانك ، ولكنه لا ضير من السؤال » .

وكانت المسز ديكر امرأة نحيفة شاحبة الوجه وعيناها سوداوان براقتان ، فوقفت فى مدخل الباب ونظرت بحدة إلى كارولين والطفل وخاتم الزواج على إصبعها وقالت : « لماذا يتركك زوجك هنا ولا يعنى بك ؟ » .

فقالت كارولين : « إنه ذهب إلى الشرق ليعمل ، وسيعود متى استطاع » .

« تدفعين أربعة ريالات فى الأسبوع ؟ » .

فذهلت كارولين ، واتسعت عيناها جداً وهى تنظر إلى المسز ديكر .

وقالت المسـز ديـكر : « إذا كنت لا تستطيعين — لا أستطيع أن أطرد حتى كلباً عن بابى إذا لم يكن له مأوى » .

فقالت كارولين بوقار : « إن هذا أكثر مما أردت أن أدفع ولكنى سأفكر فى الأمر » .

وبدا لكارولين كأن الأمر ليس حقاً وأنها ليست سائرة فى الطريق المعفر فى هذه البلدة الغريبة ، ولا مأوى لها .

وكانت المسز إنسول تقيم فى الطابق الذى فوق المخزن ، وهو البناء الوحيد ذو الطبقتين فى البلدة كلها . فجمعت كارولين كل شجاعتها وصعدت على الدرج ، وفتحت المسز إنسول الباب وهى غاضـبة ، وكانت تنظف البيت

وحول رأسها فوطة ، وفى يدها مكنسة .

قالت كارولين: « إنى أبحث عن عمل ».

« فردت عليها بحدة: ما أكثر العمل هنا! ولكنك تخطئين إذا ظننت أنه يسعى أن أستخدم فتاة . ولو كنا نستطيع أن نعيش عيشة كريمة ، لما جئنا إلى هذه الأرض » .

فقالت كارولين: « إنى مستعدة أن أعمل مقابل السكنى والأكل » .

« اسمعى نصيحتى واذهبى شرقاً . فقد خربت هذه الأرض وصارت للكلاب. وعندنا ثلاثة أولاد كبار نطعمهم ، ولا يبقى بعد ذلك ما يكفى قطة . ومعذرة » وأغلقت الباب .

فدقت المسز سفنسن كفاً بكف وسألت كارولين ماذا تنوى أن تصنع ؟

فقالت كارولين : « سأعود إلى البيت » لقد أقام لها زوجها بيتاً وستقيم فيه . وإذا كان لا مفر عن احتمال الوحدة والبرد ، والذئاب والمتشردين ، فليكن ! وستكون هناك حين يعود زوجها .

وفى تلك اللاحظة خرج من المتجر شاب ، وهو يحاول أن يحمل لفائف معه وأن يمد يده فى الوقت نفسه إلى قبعته :

« صباح الخير ياسيدتى . هل وصلتك الرسالة ؟ »

فقالت : « عم صباحاً . نعم تلقيتها ، وشكراً لك » .

« لقد سألت فى مكتب البريد عنها فقالوا إنها أرسلت إليك » .

فسألته : « هذه خيلك ومركبتك ؟ »

فقال بزهو : « نعم » .

« إنك تعرف أين أسكن ، فهل لك أن تحملنى إلى هناك بريال ؟ »

« بكل تأكيد » .

وحاول سفنسن أن يبدى عن رجولته ، وقال إنه يعد نفسه مسئولا عن سلامتها أمام زوجها ، وأنه مستعد أن يأخذها معه ، غير أن كارولين أبت حتى أن تستمع إلى اقتراح الرحلة إلى المجهول ، واستولت عليها الرغبة فى العودة إلى بيتها .

وتوخت الحيطة فابتاعت بعض المؤن للشتاء ، وشكرت آل سفنسن من أعماق قلبها ، وكانت تعلم أنها لن تراهما مرة أخرى . وقبلت المسز سفنسن كما قبلت أخواتها حين فارقتهن إلى الأبد لترحل إلى الغرب مع تشارلز .

ثم ذهبت تقطع السهوب وراء الخيل السريعة السود ، وكانت حوافرها تقدح الشرر ، وكان عرفها وذيولها تميل مع الريح ، والهواء يصافح وجه كارولين، وهذا الشاب الغريب إلى جانبها وكان هذا كله آخر ما بقى فى ذاكرتها من ذلك اليوم العجيب .

وحمل الشاب المؤن إلى الكوخ، وجاءها

بدلو من الماء من البئر ، فشكرته كارولين وأعطته ريالا .

فقال لها: «إنى أكره أن أتركك وحدك هنا ، ولكنى أحسب أنك ستكونين فى أمان إلى حين ، فى هذا الجو الحسن . متى يعود زوجك ؟ »

« لا أدرى على وجه التحقيق » .

«أعندك مسدس وتعرفين كيف ترمين؟»

« نعم » .

« الأرجح أنك لن تحتاجى إليه ، ولكنه يطمئن — إن فتاتى هى المعلمة — وسوف نعود من هذا الطريق يوم الأحد المقبل إذا كان الجو حسناً — والآن أستودعك الله ! » ، وانصرف .

وفى هذا الأسبوع كتبت إلى تشارلز رسالة طويلة ، واتقت أن تزعجه بإخباره إن آل سفنسن رحلوا ،وكتبت إليه تقول إنها تحبه ، وحدثته عن أسنان الطفل ، وكيف أن سفنسن جزّ لها البرسيم مناصفة، وقالت إن ما بعث به إليها من المال كاف . وإنها هى والطفل فى أحسن صحة،ولا ينقصهما شىء ، وإن سفنسن وزوجته مثال الرقة والعطف ، وإن كل أسباب الراحة متوفرة للشتاء ، وكتبت بعناية وبخطها الدقيق المتقن تقول : « إننا نجتاز الآن وقتاً عصيباً ، ولكنه لا ينبغى أن نفكر فيه ، وعلينا أن نفكر فى المستقبل، فما كان قط من السهل أن نعمر أرضاً ، ولكن ما أسهل ذلك علينا مع ماهو متاح لنا من أسباب الراحة ووسائل التيسير،كالبترول والمواقد والسكك الحديدية والبريد السريع ، بالقياس إلى ماعانى آباؤنا. وإنى لأرجو أن نحيى حتى نرى أياماً أكثر رخاء مما كانت فى الماضى ، وحينئذ نفكر بارتياح واغتباط فى أن هذه الأيام الصعبة لم تمض عبثاً » .

وهــذه الرسالة التى طوتها ووضعتها فى الظرف ، وعنونتها لم ترسل قط ، وبقيت طول الشــتاء بين صفحات الإنجيل ، لأن الجو تغير فجأة ، ولم يستطع الشاب وفتاته أن يجيئا . وكان صباح يوم السبت صافيــاً معتدلا كأيام مايو، وبعد الظهر أقبلت سحابة كثيفــة مــن الشمال الغربى وأطبقت فى السماء ، وتحتها عارض منذر من السحاب كأنه الملاءة المنشــورة . ثم ثارت العاصفة وكأنها جدار أبيض أصمّ ، وجاءت الرياح تعوى مع الثلج .

وظلت الرياح ثلاثة أيام وثلاث ليــال لا تكف عن العواء ، ولما فتحت كارولين الباب لم تستطع أن ترى شــيئاً من الثلج المتهاوى . ولم تدر ما مبلغ البرد ، فإنها لما رأت السحابة بادرت فكومت الدريس فى كل شبر من الكوخ ، وكانت تثنيه بشدة

فإذا احترق كان له لهب شديد قصير الأجل، وتأذت كفاها ودميت من تناول الأعواد الحادة الخشنة، ولكنها واصلت التكسير، وأبقت الكوخ دافئاً. وكانت تصن بالبترول، فتمضي عليها في الساعات الطويلة الحالكة مستضيئة بضوء مضطرب يدخل من بين الألواح، أو من غطاء الموقد المكسور. فانتابتها مخاوف غامضة ثقيلة.

كيف يكون الحال إذا مرض الطفل؟ وإذا أصاب تشارلز شيء فلم يعد أبداً؟ وإذا خرجت وحدها وفاجأها ذئب بوثبة، فماذا يكون مصير الطفل وحده في الكوخ؟

وفي صباح اليوم الرابع استيقظت كارولين على صمت وسكون عميقين، وآذى الهواء البارد منخريها، وتكون الصقيع على طرف البطانية من أنفاسها، وكانت النافذة تبدو شهباء مستسرة في الظلام، فأشعلت المصباح وأوقدت ناراً في الموقد البارد. وكانت إذا أرادت أن تفتح الباب تلقي بنفسها عليه بكل قوتها، فتنثني الألواح المتينة، ويسقط الثلج من فرجة الطنف، ويضرب نور الشمس عينيها، فتحس أن الألم يعميها.

وكان الثلج الذي يغمر الأرض، تحت السماء الزرقاء المتراحبة، يعكس ضوء الشمس البارد، ولا شيء يتحرك، ولا شيء يتنفس. وكان الهواء والشمس والثلج كل العالم المنظور — عالم لا حي ولا ميت، وهو مخيف لأنه غريب عن الحياة والموت.

وتنفست نفساً عميقاً، وانهالت على الجمد بالمسحاة تفتسره شبراً فشبراً لتشق بها طريقاً تمشي عليه وهي آمنة.



وكانت هذه العاصفة القاسية في أخريات أكتوبر تنذر بأن الشتاء سيكون قارساً فوق العادة، وكانت لا تدري متى تثور بها العاصفة التالية. فكان أول ما عنيت به هو الوقود، فحفرت الجمد عن أكوام الدريس إلى جانب المخزن، وحزمتها بحبل وجرتها واحداً واحداً على الطريق إلى الكوخ. ولما أراقت الماء الذي غسلت يديها به، لاحظت أن قطراته رنت على طبقة الجمد، فقد تجمدت وهي تسقط، وصار أنفها وأذناها بيضاً، واحتاجت أن تدلكها بالثلج طلباً للدفء وذلك مؤلم.

وكثرت العواصف بعد شهر نوفمبر وكانت في الأيام التي تضطر فيها إلى البقاء في الكوخ، تكسر الدريس، وتشعل المصباح وهي تنظف وتطبخ وتغسل وتقضي ساعات تلاعب الطفل، وقد صار أكبر، وكان ينظر إلى ضوء النار الموقدة

فيصفق ، واستطاع أن يجلس بلا معونة ، وأن يزحف ، وظلا هي والطفل يعيشان يوماً بعد يوم ،والرياح المولولة والبرد والثلج لا يمسهما منها سوء .

ثم جاءت العاصفة التي دامت سبعة أيام وكان عند كارولين في الكوخ من الدريس ما يكفيهـا ثلاثة أيام ، ولم يسبق أن رأت عاصفة تستمر ثائرة أكثر من ثلاثة أيام ، وفي اليوم الثالث اقتصدت في إحراق الدريس ولكنها لم تنزعج ،وفي اليوم الرابع اضطرت أن تكسر صندوقاً وتوقد فيه ناراً ، وفي اليوم الخامس أحرقت الصندوق الباقي ، وبقيت المقاعد الثقيلة والمائدة ، ولكنها كانت قد تركت الفأس في المخزن .

ولما خمدت النار لم يبق ثم شيء ينبعث منه ضوء ،وغُمَّ عليها الأمر فلم تعد تعرف أهي في النهار أم في الليل ، وإذا رقدت مع الطفل ولصقت به تحت البطاطين فقد يحفظ عليهما الحياة دفء بدنيهما ،وعدلت عن تكسير المقاعد الثقيلة لعجزها عن ذلك بيديها ، ولم يبق إلا المهد ولكنها أشفقت أن تعجل بإحراقه .

وفي اليوم السابع حطمت المهد وأحرقته بحساب وتقتير ، واتخذت من الرأس الذى صاغه تشارلز للمهد ، وقوداً لتغلى الشاى والبطاطس . وعجنت قطعة من البطاطس وغلتها في الماء وأطعمت الصبي بالملعقة ، ثم أطفأت المصباح ورقدت معه تحت كل ماعندها من فراش . وأيقظها تغير في صوت الرياح ،ولم تكن تعلم أهذا نهار أم ليل ،فلما تحاملت على الباب وفتحته ، رأت ريحاً شمالية قوية تطرد مايتساقط من الثلج أمامها ، ولم يكن الثلج يدور وهو يسقط ، فالعاصفة قد انقضت .

وفي الصباح في بريق الشمس والثلج الذى يأخذ البصر ، رأت وراء الخور قطيعاً من الماشية ، وكان متلاصقاً متلاحماً ، ورؤوسه إلى الجنوب ، وأنوفه متدلية إلى الركب ، وهو واقف يتشدد على البرد صابراً . وكان شاطىء الخور يحجب الكوخ عن الماشية ، ولكن إذا تحرك القطيع ولمح الدريس فقد يأتى على وقودها .

ولفت شملتها على جسمها وأخذت المسدس . وكانت تعلم أنها لا تستطيع بفأس أوغيرها أن ترد الماشية المتضورة عن الطعام ، وما كانت تجرؤ أن تخاطر بمواجهتها إذا هى انطلقت ، وإنما تستطيع أن تحولها بطلقات الرصاص ، فإذا أخفقت احتمت بالكوخ . وإذا ضاع الوقود ـــ

ولم تتحرك الماشية ، أفتراها ماتت ؟ كلا ، فإن أنفاسها تخرج بيضاء من خياشيمها ، وسارت على مهل إلى الشاطىء ، والثلج المتساقط يرتفع إلى ركبتها ،واجتازت الخور المتجمد ، ودنت من الماشية حتى صارت على

عشر ياردات منها ، ثم على مسافة خمس ، ثم على مسافة ياردتين ، ولم يرفع القطيع رؤوسه ، ثم رأت كعكات من الثلج على عيونها وعلى أصداغها ، حتى أنفاسها وهى تتصاعد كالبخار قد تجمد وأعماها .

وأدركها عطف قوىّ ، فاندفعت تخوض الثلج إلى أقرب عجل ونزعت الثلج عن عينيه ، فنخر ورفع رأسه فزعاً ، وجرى بضع ياردات ثم دار عائداً إلى القطيع ، وند عن حلقه خُوار طويل من الألم .

وكانت كارولين تعرف ما يجب أن تفعله ، وفكرت فى الصبى الذى يستمد قوته من قوتها ، فمضت إلى أقرب عجل وصوبت المسدس إلى صدغه وأغمضت عينها وأطلقته ، فلما فتحت عينيها كان قد خر ميتاً ولم يخرج من جرحه إلا قليل من الدم يقطر ويتجمد ، ولعلها رحمته بقتله .

ثم كأنها ألهمت ففكرت فى اتخاذ بقرة . ولم لا ؟ وإذا لم تأخذ البقرة ، فإن البقرة ستموت . أما لو أخذت بقرة ! وتوفر اللبن للطفل ! وفوجىء تشارلز بذلك حين يعود ! وكانت تمشى كأنما ينازعها حذاؤها وشملتها وهى تدخل فى غمار القطيع ، فقد كانت تعلم أن البقر لا بد أن يكون فى الوسط ، وكانت هناك بقرة صغيرة ، حمراء ، غير موسومة وتكاد تكون سمينة ، فتخيرتها .

وعادت إلى المخزن لتجىء بحبل ، ومالت الشمس المغيب حين نجحت فى دفع البقرة التى أعماها الثلج وفى شدها وإخراجها من القطيع ، فقد كانت تأبى أن تخرج منه لتظل آمنة ، فجاهدت كارولين جهاداً شاقاً حتى اجتازت بها الخور وصعدت بها إلى الشاطىء وأدخلتها فى المخزن ، وألقت إليها الدريس وأزالت الثلج عن عينيها .

وارتدت إلى القطيع تحمل الفأس والحبل ، واقتطعت من العجل خير أجزائه من اللحم ، ثم ذهبت وهى تنتفض من التعب ، تزيل الثلج عن عيون الماشية واحدة واحدة ، فمضى القطيع يمشى فى تثاقل وضعف على الجمد . لقد أتاحت له كارولين فرصة للحياة ، وشعرت أنها استحقت البقرة .

وفى تلك الليلة كان اللحم يطبخ على الموقد ورائحته تفعم الهواء ، وكان الدريس المغمور بالثلج فى المخزن حسب البقرة من طعام وشراب . وشعرت كارولين أنها قصرت فى واجب الشكر على ما فازت به من نعم ، وتركت فخذتين من العجل فى الثلج خارج الباب لتحتفظ بهما .

ولما ذهبت إلى المخزن فى اليوم التالى ، خارت البقرة واندفعت وعيناها متسعتان فزعتان ، فألقت إليها بالدريس ، ووضعت لها دلوين من الثلج على مقربة منها ، وكلمتها

ليسكن روعها ، وستعرف البقرة على الأيام عطفها عليها فتهدأ وتسلس .

وأغلقت باب المخزن وهى مزهوة بأنها تملك شيئاً ينبغى أن تتحفظ عليه ، وكانت تهم بأن تمضى إلى أكوام الدريس فصدها شعور غريزى ، فوقفت ودارت فتلفتت ، وإذا حول زاوية المخزن ذئب هزيل ، وكان ردفاه يختلجان ، والشعر الخشن يقف على ظهره ، وأنيابه تبدو تحت خطمه الملتوى ، ثم برز اللسان الأحمر يلحس فمه الناتىء فى جشع ، وحرك مخلباً ، ولم تتحرك كارولين ، ودار الذئب بسرعة واختفى فى الثلج المتساقط. وسارت كارولين بخطى ثابتة إلى الكوخ فى الثلج الذى يأخذ البصر ، وكانت تدرك أنها إذا ركضت فإن الفزع الوبيل سيستولى عليها ، ولكن الذئب قد يثب عليها من فوقها وهى تنحدر فى الطريق الهابط على شاطىء الخور ، وبلغت الطريق وانطلقت تعدو . ولم يكن ثم قياس للزمن وهى تجتاز المسافة من حافة السهوب إلى باب الكوخ الذى أغلقته بقوة وراءها ، وسرعان ما تأدى إليها عواء ذئب من السقف فوق رأسها ، فأجابه آخر من ناحية الخور المتجمد .

وفى تلك الليلة سمعت أصوات النهش والقضم والعُواء عند الباب ، فقد وقعت الذئاب على اللحم الغض فى الثلج ، فتركت المصباح مشعلاً ، وجعلت عينها على ورق النافذة ، وكانت أصغر من أن يدخل منها ذئب بسهولة ، وكانت مستعدة أن تطلق الرصاص إذا ظهر مخلب أو رأس ، وكانت قد جاءت بالفأس إلى الكوخ ، فاستقر عزمها على أن تحطم المائدة والمقاعد وتحرقها ، مفضلة ذلك على الخروج مرة أخرى ، ولكنها حرصت على أن يكفيها الدريس يومين ، ثم رأت ضوءاً فضياً فوق الثلج الذى يغطى النافذة ، فعلمت أن الشمس طالعة .

وفتحت الباب بجهد شيئاً فشيئاً ، والمسدس فى يدها ، فما تستطيع أن تقضى الشتاء كله بغير وقود ، ولا مفر من التعرض لبعض الأخطار .

ولم تعثر على أثر للذئاب فى أى مكان ، ووجدت البقرة بخير فى المخزن ، ولم تخرج قط بعد ذلك من الكوخ إلا بالمسدس .

وكان وجود الذئاب يذكرها دائماً بتحذير زوجها لها ، فقد كتب إليها يقول إنه قد يكون هناك ذئاب ومتشردون ، وفكرت وهى تحرك النار ، فى الدخان المتصاعد من المدخنة ، فإنه فى الأيام الصافية يرى من مسافة أميال فى كل الجهات ويدل على أن الكوخ مسكون .

وفقدت الشعور بالزمن فى هذا الشتاء وهو يمضى ، وجاء شهر فبراير وهى لا تدرى ،

وأشرفت على النهاية فترة من الأيام الصافية بردها قارس قبـل الغروب ، فثارت العواصف مرة أخرى . وكان الصندوق مملوءاً بالدريس ، وصحاف العشاء قد نظفت ، وكارولين تسرح شعرها قبل النوم على الضوء الخافت المنبعث من النار المشفية على الهمود .

وخطر لكارولين أن
صوت الرياح أشبه بأصوات
الجن وهي منطلقة تتسابق
وتدور فوق الكوخ ،

وتخرج صيحات وصرخات وولولات ليست مما يخرج من الأرض أو الإنسان ، وإذا بها تصعد عينها فترى فجأة المدخنة تنثني وتقرقع ، ووراعها أن سمعت صيحة آدمية .

إن رجلا فوق الكوخ ولا شك ! وقد أعمته العاصفة فاصطدم بالمدخنة ، وما من رجل شريف نزيه القصد ، أو آخر ضل عن بيته ، يمكن أن ينأى عن مثواه في هذه العاصفة ! فهو لا بد أن يكون من الطرداء الخارجين على القانون الفارين أمام هـذه العاصفة .

وقد اصطدم بالمدخنة من الناحية الشرقية ، فهو متجه إذن إلى الخور ، وليس بينه وبين السقوط في الجمد العميق إلا بضع خطوات يهوى بعدها عن شاطىء الخور ، وحينئذ يقضي عليه وتدفنه العاصفـة في مكان ما ، ولا يبقى منه إلا عظامه بعد أن يذوب الثلج في الربيع . وقالت لنفسها : « اهدئي واسكني ! فليس هذا من شأنك ، ولا تدخليه عندك ، وفكري في الطفل ! »

ثم أدنت فمها من المدخنة وصاحت « ارقد ! وازحف ! شاطىء الخور أمامك ! اتبعه إلى اليمين ! هناك حبل ! أسامع أنت ؟ »

وكانت صيحته التي رد بها خافتة لأن الرياح طغت عليها ، فعادت تقول له « أمامك طريق ! طريق ! تحت ! إلى اليسار ! »

وإذا كان قد رد عليها فإنها لم تسمعه . وتناولت مسدسها ورفعت المزلاج عن الباب وتراجعت ووقفت وراء المائدة ، وانتظرت والمسدس في يدها .

واتسع الوقت أمامها للندم على ما فعلت . ولإدراك أنها ما كانت تستطيع أن تفعل غير ذلك .

ودفعت الرياح الباب فجأة فانفتح ، واندفع الثلج إلى الكوخ ، وظهر الرجل . وكان مديد القامة ، خافي المعالم ، في معطف من الفرو وقبعة وغطاء للأذنين يغطيهما الثلج . وكان متلثما إلى عينيه المحمرتين ، وحاجبيه المكسوين بالثلج ، ومضت هنيهة قبل أن تعرفه وتصرخ ، فالتف عليها ذراعاه القويان الباردان كالثلج .

وقالت بعد هنهة ، وهى تشهق ولا تزال غير مصدقة : « كيف — كيف وصلت إلى هنا ؟ » وكانت يداها تتحسسان الفرو الذى غشيه الثلج ، صاعدة هابطة عليه لتستوثق أن هذا هو تشارلز حقاً .

فقال : « إنى أكاد أقتلك برداً ، فلأغلق الباب » . فلما سمعت هذه الكلمات المألوفة أنشأت تبكى . وقالت وهى تنشج : « هل — هل تعشيت ؟ »

فقال ، كأنما يغنى من الفرح : « قاتل الله العشاء » .

ثم جعل بعد ذلك يعابثها قليلا : « ماذا يدهشك ؟ ألم أقل لك إنى سأعود بأسرع ما أستطيع ؟ » وأنبها جاداً فقال : « الله وحده يعلم يا كارولين ما قاسيت حين قيل لى فى البلدة إن آل سفنسن رحلوا ، وإنك هنا وحدك » .

وكانوا قد أنذروه فى البلدة أنه لن يستطيع مغالبة العاصفة ، ولكنه اعتقد أنه يقدر على ذلك . وما كاد يصل إلى الخور حتى هبت العاصفة : « وخيل إلى أنى متجه إلى الشمال ، ثم لما اصطدمت بالمدخنة ، لم أدر أى شىء هذا ، ثم نأيت عنها ولم أهتد إليها ثانية ، وهذا ما كنت أحاوله — أن أهتدى إليها — حين سمعتك يا كارولين — أيها الملك ! » .

ثم ضمها . وما أكثر ما سئل عنه ، وما خبرها به .

وقال وهو مبتهج : « معى أربعون ريالاً . ألا إن صاحب المطحن لخير الناس فى عشرين ولاية ! وما كنت أتوقع أن يبقى معى مليم ، ولكن — » .

« وكيف رجلك ياتشارلز ؟ »

« لا أزال مضطراً أن أترفق بها قليلا — ألا ترين أنك على ركبتى الأخرى ؟ ولكنها احتملت السير . وستصح وتعود كما كانت فى الربيع فنحرث الأرض » .

« وكان لابد أن تمشى ! أوه ياتشارلز ! »

« وماذا كنت تنتظرين أن أفعل وأنت هنا وحدك ؟ »

ولم يكن لما قالا قيمة فى الحقيقة ، وكانت العاصفة لا تزال ثائرة فى الخارج ولكن ماذا يهم ؟ لقد لف شملهما مرة أخرى — فلتزأر العاصفة !



قال ابن قتيبة قرأت فى كتاب للهند : « ليس من خلة يمدح بها الغنى إلا ذم بها الفقير ، فإن كان شجاعاً قيل أهوج ، وإن كان وقوراً قيل بليد ، وإن كان لسناً قيل مهذار ، وإن كان زِمِّيتاً قيل عَيِّى » .

متشل كوتس وشركاه ليمتد

تأسست سنة ١٨٩٥

وينشستر هاوس - اولد برود ستريت لندن

تقوم بالأعمال الآتية : تجارة عامة . نقل بحرى . تصدير الفحم وتوريده للمراكب . تخزين . تخليص البضائع جمركية . ملاحة . طيران . تأمين . وكلاء عموميون . استيراد وتصدير . هندسة وانتاج صناعى

يمثلها بالقطر المصرى

متشل كوتس وشركاه (الشرق الاوسط) ليمتد .

القاهرة ٣٣ شارع الملكة فريدة   الاسكندرية ٨ شارع فؤاد الأول

بورسعيد ٢٤ شارع السلطان محمود   السويس (بورتوفيق) شارع رشد عمارة N.E.G.I.E

لمجموعة شركات متشل كوتس مكاتب فى جميع بلاد القارة الأفريقية وبريطانيا العظمى وكندا وولايات أمريكا المتحدة وايطاليا وملايا والجزيرة العربية ولها وكلاء فى جميع عالم الأعمال

وللشركات الآتية التابعة لمجموعة شركات متشل كوتس مكاتب رئيسية بالقطر المصرى

شركة كارير مصر (شركة مساهمة مصرية)
شركة ج . ديللوسترولوجو وشركاه ليمتد
شركة جون روس كوتس وشركاهم ليمتد

وأهم شركات متشل كوتس هى

شركات الملاحة

سانت لاين ليمتد لندن

صان شيبنج كومبانى ليمتد ، لندن

نيسين ستيمشيب كومبانى ليمتد ، مدينة الكاب

توكيلات الملاحة والنقل البحرى والمشروعات التجارية

متشل كوتس وشركاه (الشرق الاوسط) ليمتد بالمملكة المصرية : « القاهرة والاسكندرية وبور توفيق » بطرابلس الغرب : « مدينة طرابلس » . بليبيا : « بنغازى وطبرق » . بالسودان : « الخرطوم وبور سودان وسواكن وطوكر والابيض وسنجا وواد مدنى والقضارف وحصاحيصا وسوكى ووادى حلفا » بارتريا : « اسمرا ومصوع وعصب » بالحبشة : « اديس ابابا ودير داوه » . بالصومال الفرنسى : « جيبوتى » ببلاد العرب : « عدن »

متشل كوتس وشركاه (جنوب افريقيا) ليمتد . بجنوب افريقيا : « مدينة الكاب وجوهانسبرج وبورت اليزابيث وايست لندن » . بموزنبيق : « لورنزو ماركيز » . بنيجيريا : « لاجوس » . بالكونغو البلجيكية : « اليزابيثفيل وليوبولد فيل وماتادى »

متشل كوتس وشركاه (شرق افريقيا) ليمتد . بكينيا « نيروبى وممباسا » بتانجانيقا : « دار السلام » بمدغشقر : « تاناناريف »

وليم كوتس وشركاه ليمتد . بجنوب افريقيا : « دوربان »

دنجوول كوتس وشركاه ليمتد . فانكوفر C.B.

دنجوول كوتس انكوربوريشن بنيويورك

جون روس وكوتس وشركاهما ليمتد . بالمملكة المصرية : « اسكندرية والقاهرة وبور توفيق » . بالسودان : « الخرطوم »

اسوسييتد ستيفيدورنس ليمتد . بجنوب افريقيا : « مدينة الكاب وايست لندن »

بريتش افريكا شيبنج آند كولنج كومبانى ليمتد . بجنوب افريقيا : « مدينة الكاب ودوربان »

فرانك روب وجودوين ليمتد . بجنوب افريقيا : « مدينة الكاب »

تمبرليز هازلهست وشركاه ليمتد ، بلندن

تمبرليز هازلهست وشركاه انكوربوريتد ليمتد بنيويورك

سودان كومرتشيال اسوسييشن ليمتد ، بالسودان : « الخرطوم وبورسودان »

ج . ديللوسترولوجو وشركاه ليمتد بالمملكة المصرية : « الاسكندرية والقاهرة وبور توفيق » بالسودان : « خرطوم وبور سودان » بالارتريا : « اسمرا ومصوع » بالصومال الفرنسى : « جيبوتى » وببلاد العرب : « عدن »

ايست افريكان سيزال استيتس ليمتد . بكينيا : « نيروبى »

أ . هـ . جونسون وشركاه ليمتد . بجنوب افريقيا : « مدينة الكاب »

تجار محاصيل المستعمرات

جرين تريدينج كومبانى انكوربوريشن بنيويورك . بالكونغو البلجيكية « ليوبولدفيل واليزابيثفيل » بنيجيريا : « لاجوس »

مخازن استيداع

جنرال استوريدج آند بورتريدج كومبانى ليمتد . بالسودان : « بورسودان »

شركات صناعية

ساوث افريكان بلاستيكس ليمتد ، بجنوب افريقيا : « جوهانسبرج »

وورسستر كميكال وركس ليمتد ، بجنوب افريقيا « مدينة الكاب وجوهانسبرج وورسستر ، C.P. ودربان »

اوركارد سابلايرز ليمتد بجنوب افريقيا : « مدينة الكاب وورسستر C.P. وجوهانسبرج »

مهندسون مدنيون وبحريون

اسوسييتد انجنيرز كومبانى ليمتد بجنوب افريقيا : « جوهانسبرج ومدينة الكاب وبورت اليزابيث وايست لندن ودوربان »

اولدايز آند اونيونز ليمتد ، بلندن وبرمنجهام ، وبجنوب افريقيا : « جوهانسبرج »

كارير - ايجبت شركة مساهمة مصرية بالمملكة المصرية : « القاهرة والاسكندرية »

فريزر آند شالمرز شركة مساهمة ليمتد بجنوب افريقيا « جوهانسبرج ودوربان » وبروديسيا الجنوبية : « بولاوايو وسالسبورى » وبروديسيا الشمالية : « ندولا » وبالكونغو البلجيكية : « اليزابيثفيل »

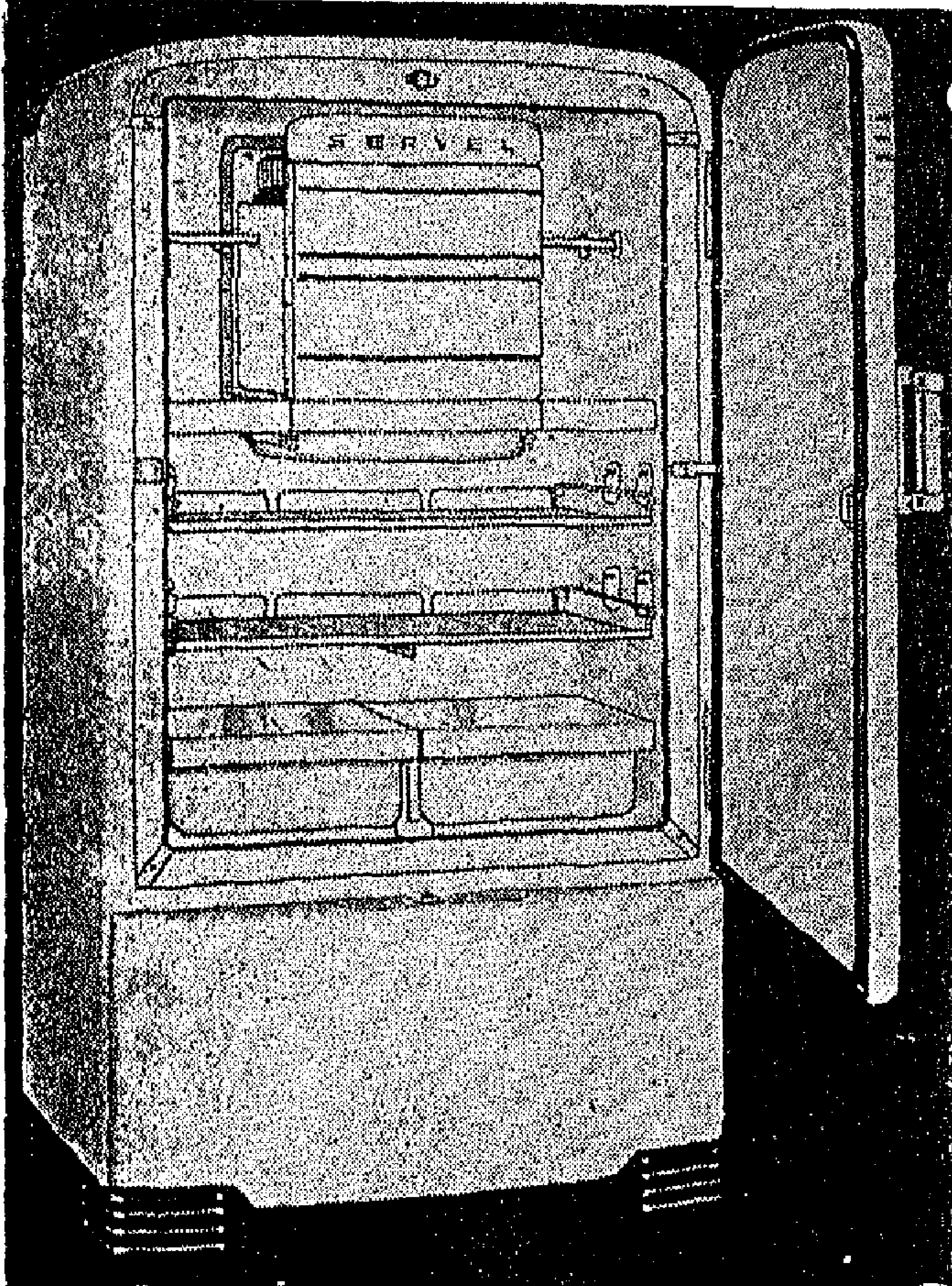
جنرال فاير ابلايسيز ليمتد . بجنوب افريقيا « جوهانسبرج ومدينة الكاب وبورت اليزابيث وايست لندن ودوربان » وبجنوب روديسيا : « بولاوايو وسالسبورى »

راينفورسنج ستيل كومبانى ليمتد ، بجنوب افريقيا : « جوهانسبرج وبريتوريا ومدينة الكاب وبورت اليزابيث وايست لندن ودربان » وبجنوب روديسيا : « بولاوايو وسالسبورى »

استمتع بهذه الثلاجة العجيبة

وهي تعمل
بالجاز الأبيض
بالغاز الطبيعي
الغاز الصناعي
الغاز المعبأ
تهيء لك
مقداراً كبيراً
من مكعبات الثلج
وهي رحبة في الداخل
تجمد بغير اجزاء متحركة





تصوَّر المقادير الكبيرة من مكعّبات الثلج التى تبرّد لك شرابك فى أى وقت تريد تبريده . تصوَّر قدرتك على أن تحفظ الطعام طازجاً مشهّياً أياماً كثيرة حتى فى أشد الأقاليم حرارة . وثلاجة « سرفيل » تهيء لك أن تستمتع بهذه المزايا العظيمة ، مزايا التبريد الآلى الحديث — فى بيتك أو فى متجرك — فى المزارع والحقول .

وذلك لأن ثلاجة « سرفيل » تعمل بقــدر قليل من الكيروسين ، أو بلهب غازىّ ضئيل : وهى تصنع الثلج ، وتوفّر البرودة ، على وجه ثابت لا يطرأ عليه خللٌ . وسبب ذلك أن ليس فى نظام التبريد الخاص بها أجزاء متحركة — ولا آلات — فلا تتآكل ولا تحتاج إلى إصــلاح ولا تحدث ضجة .

وهذه الثلاجة هى نفس ثلاجة « سرفيل » المستعملة الآن فى أكثر من مليونى بيت ومتجر فى جميع أرجاء الأرض . وهى جميلة المظهر ، ومزوّدة بأحدث ما عُرف من وسائل التيسير وحوض الألومنيوم فى داخلها يكفى لصنع أرطال كثيرة من الثلج كلّ يوم . وهى رحيبة فى الداخل ، وبها أقسام لحفظ اللحم أو الخضر ، تسهّل عليك أن تخزن مقادير وافرة من مواد الطعام الكبيرة الحجم .

ومتى صرت صاحب ثلاجة « سرفيــل » اشتد تعجّبك من استغنائك عنها فيما مضى من الأيام .

الثلاجة التى تختلف عما سواها



Servel سرفيل

Servel, Inc., International Division, 51 East 42 St., New York 17, N. Y., U.S.A.

.. حتى يفوق الكمال الذى تدركه غداً الكمال الذى أدركته اليوم



مصنع غزل في مذبح

تقدم شركة « سويفت » للمستهلك أجود اللحم فى العالم . فلكى تتمكن من ذلك ، لا يكفيها أن تنتخب الحيوانات للذبح أدق انتخاب . بل من الضرورى أيضاً العناية بتفاصيل لا تحصى ، فنرى بين هذه التفاصيل أن إعداد الذبائح ، عمل ذو شأن خطير وهى تنتفع بأغطية من القماش مختلفة الأنواع والأحجام والأشكال ، لتضمن الجودة والتماثل فى نوع اللحم ، وهما شىء لابدّ منه ولاغنى عنه . وقد أنشأت شركة « سويفت » مصانع تامة للغزل والنسج فى منطقة مصانعها ، وهناك تجد عمالا مدرّبين حاذقين يقومون على معدات النسيج الحديثة التى تصنع القماش اللازم « لكساء » الذبائح . وهذا الكساء يضمن الجودة التى اشتهر بها « سويفت » ، والتى يحافظ عليها ، بل يحسّنها كلما كان ذلك ممكناً ، بالمثابرة .

COMPANIA Swift INTERNACIONAL

Av. Corrientes 389 - Buenos Aires - Rep. Argentina

شركة " سويفت " الدّولية

مصانع فى الأرجنتين واستراليا والبرازيل ، ونيوزيلندا وأوروجواى توزع منتجات ممتازة منذ أكثر من ٣٥ عاماً

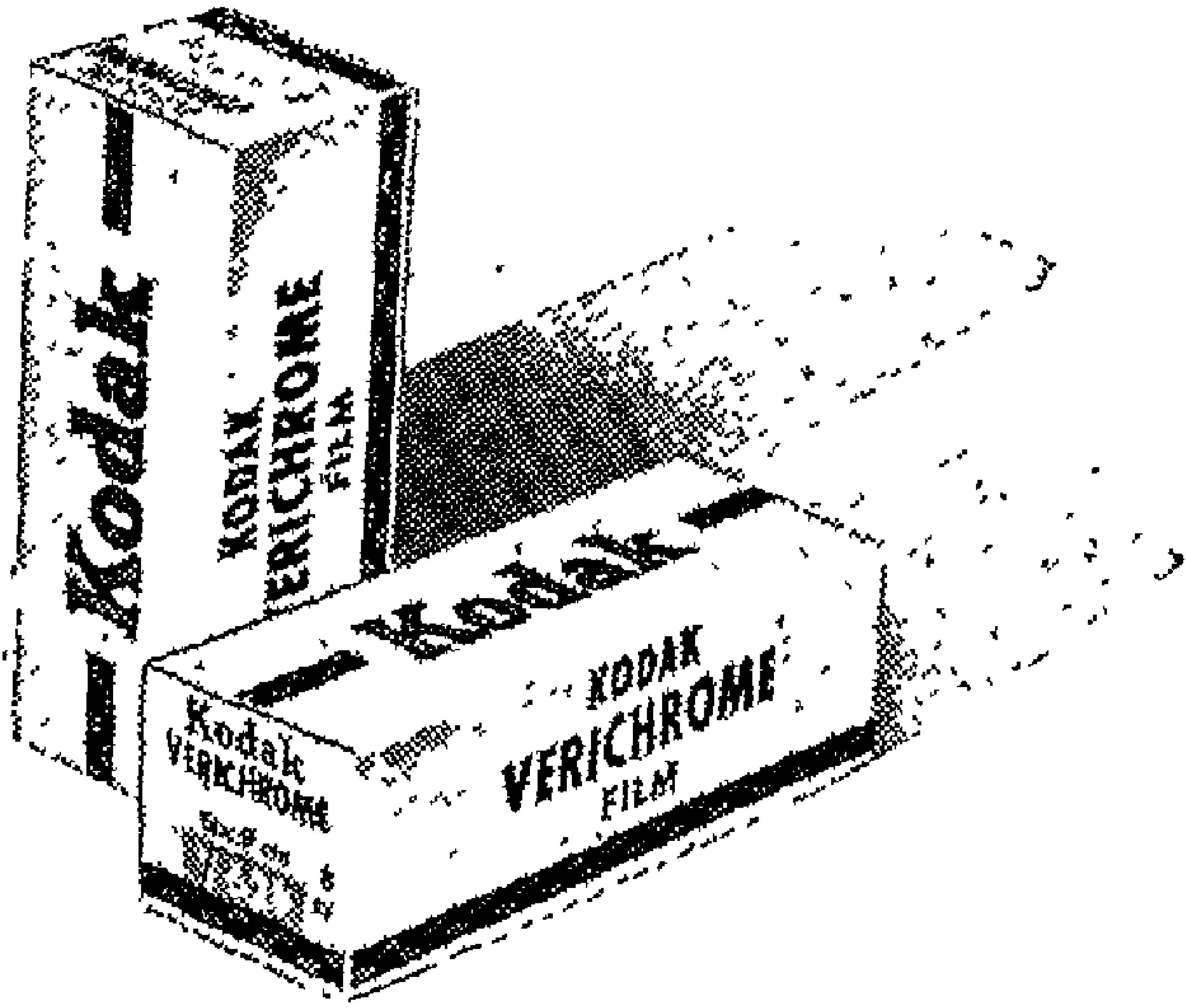

Kodak

... باللغة العربية هى "أمواج الشاطئ"

... باللغة الإنجليزية هى "surf"

... باللغة الهولندية هى "branding"





ولكنك تجد فى جميع
لغات الأرض كلمة واحدة
تدلُّ على كلّ مايلزم لالتقاط
الصور، من أفلام، وآلات
تصوير، ومعدات وأدوات
هى كلمة : *Kodak**

*Kodak ماركة قديمة سجّلتها منذ ٥٩ سنة شركات « كوداك » ونشركات المنتمية إليها، و « كوداك » لها هيئة عالمية من الوكلاء والموزعين . تيسر لكل إنسان أن يظفر بمنتجات « كوداك » فى أنحاء الأرض .

EASTMAN KODAK COMPANY ROCHESTER, N.Y., U.S.A.

مــــاء



كثيراً مايكون الماء فى حالته الطبيعية غير صالح للانتفاع به ، لوجود جراثيم الأمراض فيه ، ولاحتوائه فى أغلب الأحيان على شوائب أخرى أكبر حجما من الجراثيم تجعل مظهرهُ وطعمهُ شيئاً كريهاً . وبفضل البحث الكيميائى البريطانى صار فى وسع الناس اليوم أن يجعلوا الماء مأموناً بتعقيمه بالكلور الذى يقتل الجراثيم ، وبمعالجته بمواد كيميائية أخرى تجعله صافياً ، وتزيل كلّ طعم منه . والحقيقة أن آثاراً قليلة من الكلور لاتقتل الجراثيم فى الماء الذى نشربهُ وحسب ، بل تقضى أيضاً على الأحياء الدقيقة التى تنمو وتتكاثر تكاثرا سريعاً فتسبب متاعب لا تحصى فى نظم استعمال المياه فى الصناعة . ومجمل القول إن الكيميائى قد أتاح لجماعات الناس ماء يستطيعون أن يشربوه مباشرة من الصنبور . وقد بين لهم كيف يمكنهم أن ينقوا الماء للصناعة ، فتتحسن المنتجات التى يصنعونها ، ويمتنع حدوث العطب فى المصنع .



IMPERIAL CHEMICAL INDUSTRIES-LONDON-ENGLAND

الموزعون الوحيدون فى القطر المصرى والسودان
الصناعات الكيماوية الإمبراطورية
(مصر) شركة مساهمة — مصر

فى فلسطين ، سوريا ، شرق الأردن ، لبنان ، العراق
الصناعات الكيماوية الإمبراطورية (الشرق) المحدودة
يافا



في قمة الصفاء ..

[تتمة مقالة الغلاف]

كُتب عليه أن يجاهد جهاداً عنيفاً شاقاً لاهوادة فيه ، حتى يبنى حضارة جديدة كالتى بناها له آباؤه وأجداده .

ومجلّة « المختار » تؤدّى اليوم جزءاً من المهمّة العظيمة التى فُرِض علينا أن نؤديها للعالم العربىّ ، وهى اختيار الجيّد مما يكتب ويذاع من المعارف والعلوم فى العالم العربىّ ، فيصل بيننا وبين الحضارة الحديثة التى تحيط بنا من كل ناحية ، ويتيح لنا أن نعرف مايستجدّ من أنباء العلوم والمعارف والمشاكل الدولية التى لاغنى لنا أن نقف عليها .

ولن يستطيع شعب بعد اليوم أن يعيش فى عزلة ، فإن السرعة التى امتاز بها هذا العصر ، فى المواصلات والنقل والإذاعة ، جعلت الدنيا كلها كأنها مدينةٌ واحدةٌ يعيش فيها ناسٌ لا بد من تعاوُنهم وتعارفهم ، حتى يفهم بعضهم عن بعض ، وينظر بعضهم إلى خير بعض — أى أن يعيشوا بالتآخى والتفاهم ، لا بالتقاطع والتدابر .

ونحنُ وإن كنّا لانزال فى أوّل الطريق ، إلاّ أن سالف مجدنا كفيلٌ بأن يحى فى نفوسنا تلك الشُّعْلة القديمة التى أنارت للشعب العربى القديم طريقه بين ركام الحضارات الغابرة ، فاختار منها ما شاء ، ثم صاغ لنفسه حضارة عظيمة كانت هى الأساس الأوّل للحضارة الغربيّة الحديثة

ونحن اليوم فى الموقف الذى وقفه آباؤنا من الحضارات السالفة ، فعلينا أن نقرأ وأن نقف على كل نبأ من العلوم والفنون والآداب ، ونختار منها ما يلائم حضارتنا ، وعلينا أن نعرف معرفة دقيقةً مشاكل العالم الحديث ، لنقرّر لأنفسنا الخُطّة ونمهد السبيلَ الذى يفضى بنا إلى المشاركة فى بناء الحضارة الإنسانية العامة — وهى الأمل البعيدُ الذى يسعى إليه الجنس البشرى كلّه .

إن كلّ كلمة يقرأها المرء تُوحى إلى نفسه بمعنى أو مثل يرشده فى الطريق الذى كتب عليه أن يقطعه مجداً جاهداً ، فعليه أن يختار ما يقرأ ، وعلى الصحف والمجلات أن تختار لقرائها أولى المعارف بالتتبع والقراءة ، وهذه مجلة « المختار » لم تخلُ صفحةٌ من صفحاتها من هذا الحرص على أن تختار لقارئها العربىّ أحوجَ ما يسدّده من المعارف ، وأحسَنَ مايتطلّب من المُثُل ، وأقوى ما يحفزهُ على أن يعمَلَ فى الحياةِ بعزمٍ وحريّة ومعرفة

محمود محمد

إيّاك والقناعة، حذار من الحسرة

محمود محمد شاكر
مدير تحرير مجلة المختار

الشعوب هى بانية الحضارات ، أما خاصة العلماء والأدباء والفنانين ، فهم الصفوة التى تنشىء مجد الحضارة . فإذا تيسّر للشعب أن يقف على أنباء العلوم والفنون والآداب ويشارك فى معرفتها والإلمام بأصولها ، ثارت فى نفسه تلك القوة الدافعة التى تحرك المرء إلى مُثُل يتطلب تحقيقها يوماً بعد يوم وساعةً بعد ساعة . فلابدّ إذن من شىء يغرى الشعوب بأن تقرأ ثم تقرأ ولا تكف ، حتى لا ينقطع عنها المدد الذى يمدّها به صفوة العلماء والأدباء والفنانين .

ونحن اليوم نعيش فى عالم قد امتلأت جوانبه بألوان من المعارف الإنسانية مختلفة متباينة ، تصدُر فى آلاف من الكتب وملايين من نسخ المجلات والصحف ، ولا طاقة للفرد بتتبّع ضروب المعارف والمشاكل العالمية التى تضمُّها كل هذه الملايين من الكتب والمجلات والصحف . فكان لا بد للقارىء الوسط من مجلات تختارُ له من أنباء العلوم والآداب والمعارف الإنسانية مايكفل له استمرار المدد الذى يهديه إلى هذه الألوان المختلفة المتباينة .

وفى هذه الرقعة المترامية من الأرض — من مراكش إلى بلاد الهند — جيل من الناس يبلُغ تعداده أكثر من مئة مليون نسمة كلهم يتكلم اللسان العربىّ أو يقرأه ، وبين يديه حضارة مستحدثة تزخر بالحياة والحركة ، وتموج بألوان من الفنون والآداب والعلوم ، ولهذه الألوان كل يوم جديد يذاع منها فى كل ساعة نبأ أو أنباء . ثم يتلفّت هذا الجيل فى ماضيه ، فيرى حضارة مجيدة كانت تزخر بالحياة والحركة وألوان من الفنون والآداب والعلوم ، أفتراه يقنع بالنظر والاستمتاع ، أو بالذكرى والتحسُّر ؟

أما الحياة فتقول لكل حى : « إيّاك والقناعة ، وحذار من الحسرة » ، فهو يسمع نداءها ويريد أن يستوعب ما أمامه ويجدّد الذى فات ، فكذلك

[التتمة على الصفحة السابقة]